الجامعة اللبنانية – كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية – العمادة

تصاعد الدور الروسي وتأثيره على الشرق الأوسط

رسالة ماستر 2 في العلوم السياسية – بحثي

إعداد

ريمون فرحات

لجنة المناقشة

الدكتور أمين لبس (أستاذ مشرف)

العميد الدكتور كميل حبيب   أستاذ عضواً

العميد الدكتور طوني عطالله   أستاذ عضواً

بيروت - آذار 2016



الجامعة اللبنانية غير مسؤولة عن الآراء الواردة في هذه الرسالة وهي تعبر عن رأي صاحبها فقط

دليل المصطلحات الملخصة

C I S: Commonwealth of Independent States.

ASEAN: Association of Southeast Asian Nations.

APEC: Asia – Pacific Economic Cooperation.

BRICS: Brazil, Russia, India, China and South Africa.

NATO: North Atlantic Treaty Organization.

ABM Treaty: Anti – Ballistic Missile Treaty.

AMD: Anti Missile Defense.

G7: Group of 7.

G20: Group of 20.

PCA: Partnership and Cooperation Agreement.

GDP: Gross Domestic Product.

ملخص التصميم

مقدمة

الفصل الأول : تصاعد الدور الروسي.

القسم الأول: إنبعاث روسيا الجديدة وتنامي التأثير.

1- مرحلة النهوض.

2- تحديد مسار السياسة الروسية الجديدة.

3- تنامي التأثير الروسي على صعيد السياسة الدولية.

القسم الثاني: الإستراتيجية الروسية الجديدة والمعوقات المتوقعة.

1- الأولويات الإستراتيجية: بناء العلاقات وصيانة الأمن القومي.

2- ضبابية المستقبل: روسيا والمعوقات المحتملة.

الفصل الثاني: تأثير الدور الروسي على السياسة الدولية في الشرق الأوسط.

القسم الأول: الشرق الأوسط بين روسيا والولايات المتحدة: تنافس ومواجهة.

1- مصطلح الشرق الأوسط: أصوله وتطوراته.

2- أهمية الشرق الأوسط في السياسة الروسية.

3- مواجهة السياسة الأميركية في المنطقة.

القسم الثاني: تأثير وفعالية الدور الروسي في الشرق الأوسط.

1- تأثير العلاقات والمواقف الروسية في أزمات الشرق الأوسط.

2- الدور الروسي المباشر في الأزمة السورية.

3- فعالية الدور الروسي المتجدد في الشرق الأوسط.

خاتمة

مقدمة

عاشت روسيا بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي في العام 1991 حالة إرباك ومرحلة انتقالية أدّت إلى انكفائها، وقد أصاب هذا الإرباك موقعها في العالم. مع وصول فلاديمير بوتين إلى السلطة في العام 2000، بدأ العمل لاستعادة الدور الروسي، بعد أن تحسّنت الأوضاع الداخلية سياسياً، إقتصادياً، عسكرياً واجتماعياً.

ظهور روسيا الإتحادية كالوريث الشرعي للإتحاد السوفياتي من الناحية القانونية، لم يسمح لها بالحفاظ على مركزها كقوة عظمى، فالكرملين الذي فقد سلطته على دول البلطيق، وضاعت منه ثروات جمهوريات آسيا الوسطى، يحاول اليوم التأكيد أنه يمتلك عناصر قوة الدولة اللازمة لإعادة تكريس وجوده، سيما أن روسيا تُعتبر من الناحية الجيوبوليتيكية، قلب أوراسيا وجناحاها، وإذا ما أضفنا الإرث السياسي والإستراتيجي، فإن ذلك كله سيجعلها أحد الأطراف الرئيسية على المسرح الدولي بما فيه الشرق الاوسط.

يعتقد المسؤولون الروس أن وجود عالم متعدد الأقطاب يشكل بيئة ملائمة لتحقيق المصالح القومية لروسيا، وتدعيم مكانتها الإقليمية والعالمية. فسعت روسيا لبناء شبكة من التحالفات الإقتصادية لتعزيز مكانتها، والحد من التأثير الأميركي في مناطق نفوذها التقليدية، غير أن محاولاتها لدوزنة علاقاتها مع قوى دولية صاعدة تواجهها بعض الصعوبات، لا سيما لجهة الأولويات وطرق معالجة بعض القضايا المشتركة.

فرضت الجغرافيا على روسيا منذ زمن القياصرة الإهتمام بالشرق الأوسط، بحكم أنها تشغل القسم الأكبر من الكتلة الأورو– آسيوية الملاصقة لهذه المنطقة. الحرب الباردة فرضت على الإتحاد السوفياتي تنشيط سياسته في هذه المنطقة والدخول في منافسة على النفوذ فيها، ومع إنهيار الإتحاد السوفياتي، دخلت السياسة الروسية في الشرق الأوسط مرحلة جديدة لا تزال ملامحها تتشكل حتى اليوم، فتضاءل التأثير الروسي خلال مرحلة حكم يلتسن، وتحوّل مع وصول بوتين إلى الكرملين إنبعاثاً لعلاقات ثابتة تجاه المنطقة، عندما بدأت موسكو تطرق أبواب الشرق الأوسط من جديد، ما أعطى الإنطباع بأن الروس قادمون.

يطرح موضوع تصاعد الدور الروسي وتأثيره على السياسة الدولية إشكالية كبرى، فهل سنشهد عودة للحرب الباردة، أم أن مشاكل روسيا السياسية والإجتماعية والإقتصادية ستحد من قدرتها على المواجهة؟ وما هي حدود هذه المواجهة؟ وما هي طبيعة الدور الذي تلعبه روسيا في الشرق الأوسط في الوقت الراهن وما تأثيره على السياسة الدولية في المنطقة؟ وهل باستطاعتها لعب هذا الدور فعلاً، أم أن نجاحها مرتبط بإعادة جدولة الأولويات بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية؟

تكمن أهمية البحث في كونه يعالج موضوعاً هاماً على الصعيدين الإقليمي والدولي، وذلك من خلال إبراز دور روسيا بعد محاولاتها العودة كقوة عظمى فاعلة ومؤثرة، إضافة إلى تسليط الضوء على سياستها الشرق

أوسطية في مواجهة السياسات الدولية الأخرى، حيث تسعى روسيا إلى تحقيق أهداف استراتيجية في المنطقة من الناحيتين السياسية والإقتصادية، فهي استطاعت العودة من خلال البوابة السورية وفرض نفسها في المعادلة من جديد. إلا أنه ونظراً لضرورات البحث، وكون الصراع ما زال متأججاً في ظل أفق غير معلوم النتائج، كان لا بد لنا من تحديد إطار بحثنا ضمن الفترة الممتدة من إنهيار الإتحاد السوفياتي العام 1991، ولغاية بدء التدخل العسكري الروسي المباشر في الحرب السورية في تشرين أول العام 2015.

إتّبعت في هذا البحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي لوصف واقع روسيا منطلقّاً من تسلسل الأحداث والتغييرات بعد انهيار الإتحاد السوفياتي، ولتحديد الدور الروسي في السياسة الدولية بشكل عام والمصالح والسياسة الدولية في الشرق الأوسط، وأخيراً انتقلت إلى دراسة مدى تأثير الدور الروسي على السياسة الدولية في المنطقة.

قسّم البحث الى فصلين، حيث تناول الفصل الأول تصاعد الدور الروسي من جديد، إنطلاقاً من مرحلة النهوض التي شهدتها روسيا، وما رافقها من تحديد مسار جديد للسياسة الخارجية من أجل تحقيق الهدف الإستراتيجي، المتمثل بتصاعد التأثير الروسي على صعيد السياسة الدولية من خلال إتباع إستراتيجية جديدة عمادها الشراكة الإقتصادية والمحافظة على أمنها القومي، كما تناول هذا الفصل المعوقات أمام هذا المشروع الروسي الجديد. أما الفصل الثاني فقد تناول تأثير روسيا على السياسة الدولية في الشرق الأوسط، من خلال إبراز أهمية الشرق الأوسط في السياسة الروسية، والمجابهة مع الولايات المتحدة في هذه المنطقة، وتأثير المواقف الروسية في أزمات الشرق الأوسط، خاصة لجهة الدور الروسي المباشر في الأزمة السورية، وفعاليته.

الفصل الأول: تصاعد الدور الروسي

سجلت بتاريخ 18 آب 1991، وللمرة الأولى في التاريخ الروسي منذ ثورة 1917 السوفياتية، محاولة انقلاب عسكرية قامت بها " لجنة الدولة لحالة الطوارىء"، معلنةً إقصاء الرئيس ميخائيل غورباتشيف، وتكليف نائبه غينادي ياناييف بالسلطة الرئاسية، بعد أن انتهج الرئيس غورباتشيف سياسة الإنفتاح على الخارج، ما حدى بالمتشدّدين في الجيش والإستخبارات لمحاولة لإطاحة به، إلا أنه تم إحباط هذه المحاولة وأعيد غورباتشيف إلى السلطة التي بدت متصدّعة، حيث بدأ تفكك الإتحاد باستقلال جمهوريات البلطيق.[1]

تعتبر نهاية الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفياتي بمثابة أفول لمرحلة تاريخية طبعت العالم بالخوف والقلق من احتمال اندلاع حرب عالمية جديدة، فبدى هذا التفكك كعامل استقرار لكنه كان فاتحة لأزمات وحروب جديدة طالت ورثته.[2]

فضلاً عن الأزمات الإقتصادية والإجتماعية، برزت لدى روسيا مشاكل إضافية تجلّت في فقدان الأهداف التي نادى بها الإتحاد السوفياتي وبنى من أجلها الجيوش التقليدية والترسانات النووية. وشكلت الأعداد الكبيرة للقوات العسكرية العائدة من أوروبا الشرقية الى وطنها أزمة لم تستطع موسكو استيعابها، حيث غدت حوالي 50 ألف عائلة دون مأوى.[3] أضف الى ذلك الأزمات الحادة التي برزت مع استنهاض الشعور القومي عند الشعوب السوفياتية السابقة، والتي بدأت بالمطالبة باستقلالها، خاصة في القوقاز الذي حاولت روسيا وبشتى الوسائل المحافظة على سيطرتها عليه نظراً لأهميته الإستراتيجية في وصل بحر قزوين بالبحر الأسود ووصل روسيا بالمناطق الغنية بالموارد الطبيعية.[4]

أدّى تفكُّك جمهوريات الإتحاد السوفياتي إلى نتائج قاسية على روسيا، ففقدت سلطتها على دول البلطيق، وضاعت منها ثروات جمهوريات آسيا الوسطى، ولم يَعُد يجمع بين هذه الجمهوريات إلا منظمة فضفاضة،

---

[1] أحمد سيد حسين، دور القيادة السياسية في إعادة بناء الدولة (روسيا في عهد بوتين)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2015، ص208– 209.

[2] ميشال نوفل، "القوقاز ومستقبل روسيا"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 37، كانون الثاني 1995، ص 4–7.

[3] علي جوني، "روسيا : يلتسن والتحديات الجديدة"، مجلة شؤون الأوسط العدد 23، تشرين أول 1992، ص 75–81.

[4] علي صبح، النزاعات الإقليمية في نصف قرن (1945–1995)، دار المنهل اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ص 257.

هي كومنولث الدول المستقلة (C I S). هذا ما جعل صنّاع القرار في موسكو يعتبرون أن إستقلال تلك الجمهوريات، يطلق عليه "كارثة" بالمفهوم الروسي، وصنّفوا فقدانهم للسيطرة عليها على أنها "خسارة قومية".[5]
أما في الداخل الروسي فقد أدَّت الخلافات بين الطبقتين السياسية والعسكرية، إلى شلل في عمليّة تحديد توجّهات روسيا الإستراتيجية العامة، وتجميد أعمال التطوير العسكري الروسي، ولامست الخلافات الداخلية الخيار النووي الإستراتيجي، وتحديث القوات المسلحة، وإعادة صياغة العقيدة الروسيّة، ودور روسيا على الصعيدين الإقليمي والدولي، وتسوية خلافاتها مع جوارها الإقليمي القريب، وإيجاد حلول لمشكلة الأقليّات.

أما على الصعيد الإقتصادي، فقد شهدت أوضاع روسيا إنهياراً حاداً في أعقاب تفكّك المنظومة الإقتصادية السوفياتية، وتفاقمت الأزمة التي اعتقد الرئيس يلتسن أن الطريقة الوحيدة للتغلب عليها هي بالتحوّل إلى الرأسمالية دفعةً واحدةً أو ما يسمى بالعلاج الصدمة،[6] الذي إعتمد على خصخصة الإقتصاد عبر مجموعة إجراءات منها التحرير الكامل والسريع للأسعار، وتحرير التجارة الخارجية، وإغراء الرساميل والإستثمارات الأجنبية،[7] إلا أن هذه السياسة الإصلاحية لم تُكلَّل بالنجاح لما كان لها من انعكاسات سلبية أهمها عجز كبير في الموازنة، إرتفاع في معدلات التضخم، إنهيار سعر صرف الروبل، تدهور مستويات المعيشة، التأخر في دفع رواتب الموظفين، وإرتفاع الأسعار وإرتفاع نسبة البطالة.

أدى تحول روسيا الى إقتصاد السوق، إلى بروز مشاكل جمّة واختلال طبقي واضح بين أثرياء جدد ومواطنين فقراء، ما ساهم بارتفاع معدل الجريمة داخل المجتمع بدافع الفقر والعوز. كما أعلنت الحكومة الروسية عن خفض الضرائب المفروضة على الشركات الأجنبية، وتقديم حوافز لها لتشجيعها على الإستثمار في روسيا، وتزامن ذلك مع انضمام روسيا إلى صندوق النقد الدولي في حزيران 1992 بعد تبنيها الفعلي لاقتصاد السوق، وكان أحد شروط الصندوق تسهيل الإجراءات أمام الإستثمار.[8]

---

[5] عوديد عيران، " رؤية "إسرائيلية" للسياسة الروسية وإمكانية التقارب معها"، معهد أبحاث الأمن القومي الصهيوني، ترجمة وإصدار مركز دراسات وتحليل المعلومات الصحفية، سلسلة ترجمات 176، 2010/9/23، الموقع الإلكتروني: http://www.alzaytouna.net/permalink/5509.html (دخول 15 أيلول 2015).

[6] نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، لبنان، نيسان 1998، ص21.

[7] غسان العزي، روسيا ما بعد الحرب الباردة من "اليلتسينية" إلى "البوتينية"، مجلة الدفاع الوطني، العدد33، لبنان، حزيران 2000، ص7.

[8] نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية، مرجع سبق ذكره ، ص23.

كان "العلاج بالصدمة" أشبه بحرب شاملة على اقتصاد الدولة الذي سيطرت عليه المافيات، وما يسميه الروس "الأوليغاركيين"، أي الأثرياء الجدد أصحاب النفوذ والإحتكارات،[9] الذين أمسكوا بمؤسسات وأجهزة الدولة، وسيطروا على قطاعات من الإدارة والإقتصاد.

القسم الأول: إنبعاث روسيا الجديدة وتنامي التأثير.

أحدثت المستجدات المتتالية على الصعيدين السياسي والإقتصادي صدمة في الوسط الروسي وكان لا بد من عمل الممكن لتفادي الإنهيار الكامل. فقد أحدث إنهيار الإتحاد السوفياتي خللاً في توازن القوى على المستوى العالمي، وأعطى دفعاً قوياً نحو قيام "نظام عالمي جديد" تحت قيادة الولايات المتحدة الأميركية. فقد كانت غالبية دول العالم سابقاً، إذا ما تعرّضت لضغوط من إحدى القوّتين العظميين، تستطيع أن تهدّد بالإنتقال إلى القوة الأخرى المنافسة، فتكسب قدرة تفاوضيّة.[10] كلّ ذلك انتهى بانتهاء الحرب الباردة، حيث غدت الدول مُضطرةً للتعامل مع القوة العظمى الوحيدة، ووقفت روسيا عاجزة حينها أمام الولايات المتحدة الأميركية التي حسمت أمر السيطرة على العالم.

على صعيد القوة العسكرية، أدى إنهيار الإتحاد السوفياتي الى اختلال هيكلية القوات المسلحة، بعد أن فقدت قسماً كبيراً من قدراتها بسبب استقلال بعض دول الإتحاد السوفياتي السابق، وبرزت خلافات بين القادة الروس حول عديد وجهوزية الجيش، كما تمّ خفض الموازنة الدفاعية. أدركت القيادة السياسية ضرورة التحديث، لكن نُدرة التمويل أفشلت هذا المشروع، حيث شكّلت عملية إصلاح الجيش مادة خلافية في الأوساط القيادية، كونها تتطلب أموالاً يصعب تأمينها، وعقيدة عسكرية جديدة تنبع من رؤية واضحة لمتطلبات الأمن الروسي.[11] وزادت الأمور تعقيداً في حرب الشيشان الأولى بين عامي 1994 و1996، حيث ظهر الجيش الروسي ضعيفاً وغير قادر على فرض السيطرة، واهتزّت صورة روسيا وبدأ التشكيك بقدرتها على لعب دورها وإن كقوة إقليمية.

ووقفت روسيا عاجزة أمام رغبة واشنطن بتوسع حلف شمال الأطلسي شرقاً، وكذلك كشف التعاطي الروسي مع الحرب على يوغوسلافيا في آذار 1999، عن عجز تام بالرغم من التصريحات المتشدّدة التي أطلقتها القيادة العسكرية الروسية. وكذلك الحال في الشرق الأوسط، فقد بقي الدور الروسي في مفاوضات العملية

---

[9] غسان العزي، روسيا ما بعد الحرب الباردة من "اليلتسينية" إلى "البوتينية"، مرجع سبق ذكره ، ص7.

[10] لمى مضر الإمارة، روسيا الإتحادية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، الإمارات العربية، 2005، ص 12.

[11] المرجع السابق، ص11.

السلمية محدوداً، كما لم تستطع روسيا لعب أي دور فاعل إبان الحرب على العراق، أو في استثمار نتائج الثورات العربية المتلاحقة، أو كبح الغرب خلال الأزمة الليبية. إزاء كل هذا، كان لا بد من البدء بمحاولات لكبح الإنهيار وإستعادة المبادرة، والنهوض مجدداً باتجاه المستقبل.

1- مرحلة النهوض.

إذا كانت مرحلة التحول في روسيا مرتبطةً بالرئيس بوريس يلتسن، فممّا لا شك فيه أن مرحلة نهوض روسيا مرتبطةٌ بالرئيس فلاديمير بوتين. فبعد استقالة يلتسن تسلّم بوتين السلطة وحصل تداول في السلطة بينه وبين ديمتري ميدفيديف، فتحسن الإقتصاد، وُفرض النظام والأمن، ما سمح ببدء استعادة روسيا لنفوذها الدولي.

أ- ترتيب البيت الداخلي.

وصل بوريس يلتسن إلى السلطة بتاريخ 12 حزيران 1991،[12] كأول رئيس منتخب شعبياً في التاريخ الروسي، وكان موضع أمل الشعب المتطلع للحرية وإلى مستوى أفضل للمعيشة، إلا أن فشل الإصلاحات الإقتصادية التي اعتمدها انعكست سلباً عليه بعد أن أدّت إلى تدهورٍ في نوعية الخدمات ومستوى المعيشة، وزيادة في البطالة والفساد، ما ساهم في ظهور الجريمة المنظمة وتغلغلها في معظم نواحي الحياة الروسية.
في سياق ترتيب البيت السياسي الداخلي للإتحاد، وقّع يلتسن في31 آذار 1992 على دستور فيدرالي يضم 22 جمهورية و9 مقاطعات ومنطقة ذات حكم إداري و49 منطقة إدارية فضلاً عن موسكو وسان بطرسبرغ. كان من نتائج هذا الدستور أن حققت بعض الأقليات القومية مكاسب خاصة بها تمثلت بإعلان دستور لها وانتخاب رئيس من الشعب وتشكيل حكومة وطنية لها صلاحيات داخلية واسعة. إلا أن هذه الإمتيازات لم تكف البعض منها مثل تتارستان والشيشان اللتين رفضتا في حينه التوقيع على الدستور الفيدرالي، حيث أعلنت الأولى عن وضع خاص بها في حين أعلنت الشيشان استقلالها عن الإتحاد الروسي.[13]
خلال شهر آب عام 1999 عيّن يلتسن فلاديمير بوتين القادم من عالم الإستخبارات رئيساً للوزراء خلفاً لستيباتشين الذي حكم أسابيع قليلة، وفي نهاية العام ذاته قدَّم يلتسن استقالته بطريقة مفاجئة، وخلفه بوتين كقائم بأعمال رئيس الجمهورية.[14] لاحقاً فاز بوتين بتاريخ 27 آذار 2000 في الإنتخابات الرئاسية من الدورة الأولى بنسبة 53،4 %، ويعتقد البعض أن مواقفه الصارمة في حرب الشيشان الثانية بين العامين 1999 و2000، لعبت دوراً بارزاً في فوزه، بسبب حاجة الشعب الروسي إلى الأمن والنظام، حيث اعتبرت هذه

---

[12] أحمد سيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص211.
[13] Karl Barlak, “Tchtchenie, une guerre sans nom”, Le monde Diplomatique, Mai 1995, p. 4.
[14] أحمد سيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص 255.

الحرب كرافعة لبوتين لوضعه في مصاف رجال الدولة، في حين نظر كثيرون الى الحرب باعتبارها مصممة لغايات سياسية.[15] فبعد تسلّمه السلطة أعلن أن روسيا لا يمكنها استعادة مكانتها كقوة كبرى والحفاظ على استقلالية قرارها الداخلي والخارجي طالما استمرّت بالإعتماد على ما تتلقاه من مساعدات خارجية.[16]

أُعيد انتخاب بوتين لولاية ثانية في العام 2004 بنسبة 71 % واستمرت حتى العام 2008، حين انتُخب ديمتري ميدفيديف رئيساً، وبعد يومٍ واحد من تسلمه السلطة، سارع إلى تعيين بوتين رئيساً للوزراء ليشكلا ثنائياً يدير شؤون روسيا. إعتبرت فترة حكم ميدفيديف امتداداً لحكم بوتين، الذي أعيد إنتخابه رئيساً في العام 2012 بنسبة 63,6 % لفترة رئاسية جديدة من ست سنوات، وسط بعض الإعتراضات الداخلية، وعُيّن ديمتري ميدفيديف رئيساً للوزراء، وبالتالي استمر بوتين في السلطة إعتباراً من العام 1999، بين مركزي رئيس الدولة ورئيس الوزراء، مما سمح له بتنفيذ سياساته الطامحة الى تحسين موقع روسيا في العالم.

ب-<u>إعادة بناء القدرات الإقتصادية.</u>

حرص فلاديمير بوتين على التعامل بسياسات صارمة مع التركة الإقتصادية التى ورثها عن يلتسن، حيث ظهرت بوادر استراتيجية جديدة تختلف في أسسها ومبادئها عن سياسات الأخير. لقد كان ذلك واضحاً حين أعلن بوتين أن هدفه هو مضاعفة الإنتاج المحلي، وحرص على إعادة الثقة بالإقتصاد الروسي في الداخل من خلال الدعم الذي قدمه لمتوسطي وصغار رجال الأعمال وتخفيض الرسوم والضرائب، ما ساهم في إنعاش النشاط الزراعي والتجاري، كما كان للجانب الإجتماعي في سياساته الإقتصادية دوراً في طمأنة الطبقة الوسطى الناشئة، وإدراكها أن نشاطها الإقتصادي، والإجتماعي، والسياسي، مكفول قانوناً ومدعوم حكومياً. وتؤكد الأرقام أن الإقتصاد الروسي في عهد بوتين أصبح يختلف بشكل كبير عنه فى عهد يلتسن، وذلك من خلال مقارنة معظم مؤشرات الأداء الإقتصادي، ومن أهم المؤشرات التي تعكس الأوضاع الإقتصادية نمّو الإقتصاد الروسي، زيادة التحسن فى مناخ الإستثمار وتدفق الإستثمارات الأجنبية، إنتعاش سوق الأسهم الروسية، ظهور فائض فى الموازنة العامة للدولة وفي الميزان التجاري، إرتفاع إحتياطي الذهب والعملات الصعبة، تسديد روسيا معظم ديونها الخارجية وتراجع معدل البطالة.[17]

إرتبط الإنتعاش الإقتصادي الروسي بصورة أساسية بنمو قطاعي النفط والغاز بالإضافة الى قطاع تصدير الأسلحة، حيث اعتمدت الحكومة الروسية على هذه القطاعات كرافعة لانتشال البلاد من أزمتها الإقتصادية

---

[15] Christoph Zurcher, The Post-Soviet Wars, (New York University Press, New York, 2007), 93.

[16] عدنان أبو ناصر، الدور الروسي والواقع الجديد في العلاقات الدولية، مجلة الوحدة الإسلامية، العدد123، آذار2012، الموقع الإلكتروني: http://www.wahdaislamyia.org/issues، (دخول 20 أيلول 2015).

[17] مغاوري شلبي علي، الإقتصاد الروسي بين آليات السوق ورأسمالية الدولة، الأهرام الرقمي، الموقع الإلكتروني: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx ، (دخول 24 أيلول 2015).

بصورة سريعة، مع ما لهذه السياسة من مخاطر جمة للقدرة على الإستمرار والتطور بالإعتماد على مصدرين يكادان يكونان الوحيدين لتغذية خزينة الدولة. لعبت الدبلوماسية الروسية بالإضافة الى النشاط المتزايد لشركات قطاع الطاقة الروسية، دوراً مهماً في إبراز أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه روسيا في سوق الطاقة الدولي، حيث باتت روسيا تعد اليوم لاعباً مهماً في هذا السوق، لامتلاكها أكبر احتياطي للغاز في العالم (35.4% من الإحتياطي العالمي) وثاني أهم احتياطي نفط (7.5% من الإحتياطي العالمي)، بالإضافة الى أن روسيا تعد أكبر مصدّر للغاز عالمياً وثاني مصدّر للنفط بعد المملكة العربية السعودية.[18]

هذه النظرة المتفائلة، بالإضافة الى تزايد الطلبات العالمية على النفط والوضع غير المستقر في منطقة الخليج العربي، جعلت " العالم يعتبر روسيا منافساً جدياً للدول المنتجة للنفط في الخليج العربي كما لسائر المنتجين الرئيسيين للنفط في العالم."[19]

بشكل عام، يخضع القطاع النفطي الروسي لسيطرة الدولة. التحول الأساسي في العلاقات بين الدولة وقطاع النفط بدأ في العام 2003 عندما أوقف الرئيس بوتين مفاعيل خطة الإصلاح الإقتصادي للعام 1990، وبدأت حكومته باتخاذ تدابير لوقف سيطرة "الأوليغارشية" على قطاع النفط في البلاد.[20] الوسيلة الأخرى لسلطة الكرملين على قطاع النفط تمثّل باحتكار الدولة السيطرة على أنابيب النفط والغاز التي تعتبر الوسيلة الأهم لتصدير النفط والغاز الى الخارج، حيث تملك شركة ترانسنفت العائدة ملكيتها للدولة، على 48000 كلم من خطوط أنابيب النفط الخام، وتسيطر بالتالي على حوالي 99% من عمليات نقل النفط عبر والى خارج البلاد.[21] ويشير مايكل فريدهولم في دراسته حول الإستراتيجية الروسية للطاقة الى أنه "لا توجد أي مؤشرات تدل على نية الدولة الروسية على تخفيف سيطرتها على هذا الإحتكار، كونه يوفر لها السبل الآيلة الى إدارة اقتصادية فعّالة لقطاع الطاقة، وتأمين حماية لأهدافها الإستراتيجية."[22]

---

[18] "*Recent Development in Russia Energy Outlook*" – http://www.eia.doe.gov/emeu/cabs/Russia/background.html; (accessed Sep15 2015).

[19] Keith C. Smith, *"Russian Energy Politics in the Baltics, Poland and Ukraine – a New Stealth Imperialism?"*, (Center for Strategic and International Studies Press – Washington –December 2004), p.9

[20] World Energy Outlook 2004, p. 307, *http;//www,iea.org/textbase/nppdf/free/2004/weo2004.pdf* – accessed February 2007.

[21] Robert Larsson, "*Russia's Energy Policy: Security Dimensions and Russia's Reliability as an Energy Supplier",* (Swedish Defence Research Agency, Stockholm, 2006), p.159.

[22] Michael Fredholm, "*The Russian Energy Strategy & Policy: Pipeline Diplomacy or Mutual Dependance",* (Conflict Studies Research Centre, Watchfield, 2005), p.7.

لقد أقرّت الحكومة الإتحادية في العام 2003 الإستراتيجية الروسية للطاقة حتى العام 2020 والتي تهدف الى تقوية دور الشركات النفطية المملوكة من قبل الدولة، ولتوسيع آفاق التصدير الخارجي، بالتنسيق الدائم مع صنّاع السياسة الخارجية، إذ بات واضحاً أن الرئيس بوتين وحكومته، ومن خلال العمل الدؤوب للسيطرة على قطاع الطاقة، يسعون الى توظيف الدور المهم لهذا القطاع في السياسة الخارجية للدولة الروسية.[23]

في مجال سوق السلاح، أكد الرئيس بوتين أن روسيا سيطرت على أكثر من ربع سوق الأسلحة العالمي، كما أكد مجدداً دعم الدولة لشركات تصنيع الأسلحة، مذكراً بأن هذه الشركات حصلت خلال سنوات الممتدة من 2010 ولغاية 2013 على أكثر من 27 مليار روبل (820 مليون دولار) على صورة أموال دعم من الميزانية الإتحادية، وأن هذا الدعم سيستمر. وتأتي الهند في صدارة الدول المستوردة للأسلحة الروسية كما تعد فيتنام وميانمار وفنزويلا ودول شرق أوسطية من أبرز زبائن هذه الأسلحة.[24] هذا وقد صرّح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بتاريخ 26 تشرين الأول 2015، إن أرباح بلاده خلال العام الجاري في مجال الاستثمار والطلب الأجنبي للصناعات العسكرية، تخطت عتبة 50 مليار دولار.[25]

ج- <u>فرض النظام والأمن وإستعادة النفوذ.</u>

بعد فقدان النظام والأمن في الفترة التي سبقت وصوله إلى السلطة، إهتم بوتين بإنتشال الدولة من الفوضى وبتقوية مركزية السلطة، وركّز على فرض النظام والأمن، سعياً لاستعادة الإستقرار الداخلي، وقد واجه المافيات وأصحاب النفوذ والإحتكارات، كما تدنت أعمال الجريمة المنظمة بعد سلسلة إجراءات أمنية. كما اهتم بتعزيز الإمكانات الدفاعية للبلاد، من خلال بناء قدرات القوات الروسية عبر زيادة موازنة الدفاع أكثر من 50 %، وبدأت القوات الروسية تتلقى الأسلحة الحديثة وتطوير إمكانياتها.

إستعاد الجيش الروسي السيطرة وتمكَّن من إعادة الإعتبار لنفسه بعد حرب الشيشان الثانية العام 2000، وقد أعطى بوتين أهميةً كبرى لهذه الحرب بهدف إعادة الثقة بالجيش، وبقدرات روسيا على مواجهة مشاكلها.[26] وكذلك إستخدم الجيش الروسي القوة في جورجيا العام 2008 بسبب الأزمة في إقليمي أبخازيا وأوسيتيا

---

[23] Martha Olcott, "*The Energy Dimension In Russian Global Strategy – Vladimir Putin and the Geopolitics of Oil",* (The James Baker III Institute for Public Policy, Rice University, Houston, 2004) p.29

[24] " 15% زيادة في صادرات الأسلحة الروسية منذ يناير"، الموقع الإلكتروني: http://www.alriyadh.com/846768

[25] "ميزانية روسيا تتحمل حربا طويلة في سوريا"، هافينغتون بوست، تشرين الأول 2015، موقع العنكبوت، الإنترنت: http://www.alankabout.com/arabic_international_news/news_of_the_middle_east_and_the_arab_world/87643.html

[26] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، طبعة الأولى، 2009، ص 58.

الجنوبية اللذين أعلنا إنفصالهما عن جورجيا، بالرغم من محاولات انضمام جورجيا إلى حلف شمال الأطلسي والمواقف الصادرة عن هذا الحلف. اعتمد بوتين عدة مبادئ جديدة في سياسته الخارجية تتعلق بتطوير دور روسيا في العالم، وبدأ العمل على استعادة دور روسيا في آسيا والشرق الأوسط، وقد ظهر ذلك بشكل خاص في عقيدة الأمن الوطني لروسيا، ثمّ بالعقيدة الخارجيّة الروسيّة. شكّل موقف بوتين في حرب الشيشان الثانية عنواناً لتعامله مع الغرب الذي اضطر للإذعان لإرادته بحسم الحرب عسكرياً، في حين أنه في الحملة على صربيا كان يلتسن قد اضطر للإذعان لإرادة الغرب رغماً عنه.[27]

بدأت روسيا تستعيد دورها في منطقة الشرق الأوسط، حيث عارضت غزو العراق، ورفضت ممارسات إسرائيل في لبنان (2006) وغزة (2008)، كما وقفت إلى جانب إيران في مفاوضاتها بشأن ملفها النووي. وينطبق هذا الحال أيضاً على مناطق أخرى في العالم ومنها أميركا الجنوبية، فقد زار الرئيس الروسي ميدفيديف في تشرين الثاني 2008 البيرو ثم البرازيل وفنزويلا، وافتتح المناورات البحرية المشتركة فيها، ثم قام بزيارة إلى كوبا، وقدم لها قرضاً بـ 20 مليون دولار لاستخدامه في مجالات النفط والمناجم والنقل.

لا شك أن روسيا تملك بعض أوراق الضغط التي يمكن أن تستعملها في القضايا الدولية والإقليمية، منها قدراتها العسكرية والتي أعلنت روسيا عن استمرار تفوقها على أوروبا بصفةٍ خاصةٍ، كما تمتلك روسيا ورقة الغاز بسبب حاجة أوروبا لهذا المصدر من الطاقة، كونها المزوّد الأكبر للغاز، الذي يعتبر المصدر الأساسي للطاقة في وسط أوروبا وشرقها.

2- تحديد مسار السياسة الخارجية الروسية.

لم يكن ممكناً تفادي مرحلة الإضطراب العام في روسيا ما بعد إنهيار الإمبراطورية الشيوعية، إذ أن صدمة تفكك الإتحاد السوفياتي أدت إلى تصاعد موجة كبيرة من الجدل حول التهديدات المحتملة المرتبطة بالإرث الأيديولوجي، وبالسياسات الواجب إعتمادها.[28] كما أن إنهيار الإتحاد السوفياتي "أوجد قضايا جديدة لم تكن مطروحة سابقاً، مثل العلاقات مع دول الكومنولث وقضية الروس الموجودين في هذه الدول".[29]

---

[27] غسان العزي، مرجع سبق ذكره، ص15.

[28] وليم نصار، "روسيا كقوة كبرى"، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 20، خريف 2008، ص 28.

[29] نورهان الشيخ، "دور النخبة الحاكمة في إعادة هيكلة السياسة الخارجية: دراسة حالتي الإتحاد السوفياتي (1987–1991) والجمهورية الروسية (1991–1996)"، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2000، ص 182.

إتسمت حالة روسيا عند تولي فلاديمير بوتين للرئاسة في العام 2000 بعدم الإستقرار السياسي،[30] نتيجة لمشاكل تعود إلى تراكمات العهد السوفياتي. لقد ظل وضع روسيا الإتحادية الداخلي يؤثر في التوجهات السياسية والإستراتيجية. فمن ناحية كان القوميون المتطرفون يعتنقون النظرية الأوراسية الداعية إلى النهوض بدور قيادي رئيسي في الكتلة البرية الضخمة التي تشكل روسيا وبعض دول آسيا والجوار. يتفق مع هؤلاء، إلى حد كبير، قسم ثان هم الشيوعيون والقادة العسكريون السابقون. أما القسم الثالث الأكثر تحرراً، فقد تبنى الإقتصاد الحر طريقة في التخطيط الإقتصادي، وإنتهج ما سمي الإصلاح كوسيلة. وقد كان منهم من يدعو إلى الإصلاح بسرعة دون توقف، في حين رأى آخرون أن يتم الإصلاح بخطى تراكمية، الأمر الذي أدى إلى الكثير من الأزمات الإقتصادية.[31] نتيجة كل ذلك، ظل صانع القرار الروسي يتخبط في تحديد خياراته، ما طرح عدة تساؤلات حول ماهية الرؤية الروسية الجديدة للعلاقات الدولية، سماتها وإتجاهاتها.

أ- **الهدف الإستراتيجي الروسي: استعادة المجد السوفياتي.**

الهدف الأساسي لأي دولة هو حماية سيادتها واستقلالها. بعد الحرب الباردة ساد في روسيا شعور قوي مبني على واقع فقدان موسكو لسيادتها المطلقة واستقلالها الفعلي،[32] حيث شكل هذا الواقع الدافع لإعادة بناء القوة ضمن إطار غير سوفياتي، من خلال وضع موسكو لسياسة مرنة تبقيها قوة كبرى، باعتمادها مبدأ القبول مؤقتاً بعدم المشاركة الفعلية بالسياسة الدولية وخسارة التأثير الدولي، في مقابل حماية المصالح القومية.[33]

إن الخسارة الكبرى المتمثلة في خسارة أوكرانيا، أثّرت على حرية الحركة في البحر الأسود وكذلك في بحر البلطيق، إثر إستقلال جمهوريات البلطيق الثلاث، إستونيا لاتفيا وليتوانيا عنها، ما أدى الى فقدان التواصل المباشر مع إقليم كالينينغراد على الحدود البولونية. إلا أن الإتحاد الروسي أصرّ على إثبات وجوده، كما أصر على إثبات أن موسكو ما زالت مركز القرار على إمتداد الإتحاد الجيوستراتيجي.[34] وما الموقف المتشدد

---

[30] فلاديمير شوبين، "عقيدة السياسة الخارجيّة الروسيّة"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد112 ، خريف 2003، ص41.

[31] يفغيني بريماكوف: محاضرة لبريماكوف حول روسيا في السياسة العالمية، ترجمة سهيل فرح، جريدة النهار، عدد 20089، بيروت 1998.

[32] Dmitri Trenin, “Russia’s Breakout From the Post–Cold War System: The Drivers of Putin’s Course,” Carnegie Institute Moscow Centre, December 22, (2014), http://carnegie.ru/2014/12/22/russia-s-breakout-from-post-cold-war-system-drivers-of-putin-s-course/hxsm# (accessed May 6, 2015).

[33] Irina Kobrinskaya, “Russia: Facing the Facts,” in Enlarging NATO: The National Debates, eds. Gale A. Mattox and Arthur R. Rachwald (Boulder, CO: Lynne Rienner, 2001), 172.

[34] ألكسندر دوغين، أسس الجيوبولتيكا "مستقبل روسيا الجيوبولتيكي"، ترجمة : عماد حاتم، ط1، دار كتاب الجديد المتحدة، 2004، بيروت، ص 265.

خلال الأزمة الجورجية، وفي الأزمة الأوكرانية اللاحقة، إلا ترجمة فعلية للسياسة الروسية الصارمة تجاه المواضيع التي تعتبرها موسكو تمس بأمنها القومي. فالديمقراطية الفتية الروسية رأت في توسيع حلف شمال الأطلسي في أواخر العام 1990 كخسارة تدريجية لنفوذها، وكخيانة للوعود المقطوعة بعدم قبول عضوية أي دولة من دول حلف وارسو السابق،[35] وأكثر من ذلك، بدى الوضع كشعور بعدم العدالة والهزيمة.[36] فمن منظورَي الإستقلال والقدرة على التأثير، شاع في المجتمع السياسي الروسي شعور مَرَضي بعدم القدرة على حماية أمن المجتمع الروسي الداخلي لفترة طويلة.[37] ومن هنا بدأت روسيا بالتصرف بعدائية تجاه الدول التي أعلنت نيتها الإنضمام الى حلف شمال الأطلسي.[38]

كما نتج عن تفاقم الوضع الداخلي في روسيا بفعل الإضطرابات العرقية، النزعات الإنفصالية، وتسرب الإرهاب الى أماكن عدة من روسيا، كالقوقاز والشيشان تحديداً، إزدياد ضبابية الصورة وصعوبة اتخاذ القرار، سواء في وضع إستراتيجية لمواجهة هذه الحالة من جهة، والتعامل مع الخارج وإحتواء الضغوط والإنتقادات الموجهة إليها من جهة أخرى، ما إنعكس سلباً على آليتي إتخاذ القرار والتخطيط الإستراتيجيين. من هنا أصبح على صانعي القرار الجدد في روسيا أن يعيدوا صياغة أهدافهم القومية. لقد إستطاعت روسيا بوتين ومدفيديف، إنهاء عملية التحول والوصول إلى مرحلة من الإستقرار على الصعيدين الإقتصادي والسياسي.[39] علمت القيادة الروسية أن الهيبة لا القوة، هي محرّك العلاقات الدوليّة، فالهيبة مهمة جداً لأنه إذا اعترف الخصم بقوتك فإنك تستطيع أن تحقق أهدافك دون استخدام القوة، وتتأثر المساومة بشكل رئيسي بهيبة أطراف الصراع، وإذا تراجعت هيبة البلد، فإنه يضعف في أي صراع دبلوماسي لاحق. لذا فإن تراجع الهيبة أمر مقلق، لكن الهيبة في النهاية تعني سمعة القوة في الحرب، ولا يمكن حسم الشكوك حول الموضوع إلا

---

[35] Alexander Lukin, “What the Kremlin Is Thinking,” Foreign Affairs 93, no. 4 (2014) , 86.

[36] Sergei Plekhanov, “NATO Enlargement as an Issue in Russian Politics,” in The Future of NATO: Enlargement, Russia, and European Security, eds. Charles-Philippe David and Jacques Lévesque (Montreal: McGill-Queen’s University Press, 1999), 170-174.

[37] David Law, “Why Spain Should Have Been NATO’s Last Member,” in The Future of NATO: Enlargement, Russia, and European Security, eds. Charles-Philippe David and Jacques Lévesque (Montreal: McGill-Queen’s University Press, 1999), 35.

[38] Irina Kobrinskaya, “Russia: Facing the Facts,” op.cit. p 169 -170.

[39] عماد الدين حاتم، "المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 112، خريف 2003، ص 62-63.

بالحرب نفسها. فالبلد يقاتل عندما يعتقد أن هيبته في الدبلوماسية غير متكافئة مع قوته الحقيقية. هذا ما بدأته روسيا الاتّحادية في حربها ضد جورجيا.[40]

(1)- سمات الإستراتيجية الجديدة.

قبل التحدث عن سمات الإستراتيجية الروسية، لابد لنا من تحديد مفهوم كلمة إستراتيجيا. تعددت تعاريف الإستراتيجية كمفهوم، وتطورت مع تطور العلم السياسي والفن العسكري، فتم التفريق بين الإستراتيجية الشاملة والإستراتيجية العسكرية، حيث عادة ما كان يتم الخلط بينهما، فبات ينظر الى الثانية على أنها جزء من الأولى. فالإستراتيجية بشكل عام أصبح يشار إليها كفن وعلم استخدام القدرات السياسية والإقتصادية والنفسية والعسكرية في السلم والحرب لتوفير الدعم الأقصى لإنجاح السياسة المعتمدة.[41]

يمكن تحديد سمات الإستراتيجية الروسية بعد إنتهاء الحرب الباردة من خلال تحديد أهم معالم توجهات روسيا الإستراتيجية، والتي تمثلت بعدة مميزات على الصعيدين السياسي والإقتصادي، وتفاعلها فيما بينها لمواكبة تطور النظام العالمي الجديد. حاولت القيادة السياسية الروسية بناء سياسة براغماتية، عن طريق الإبتعاد عن الحجج الأيديولوجية، التي كانت تميّز العهد السوفياتي، وإحلال مبررات سياسية وإقتصادية تخدم تطلعاتها المستقبلية، من خلال اللجوء إلى قيم جديدة بدأت العمل بها، حيث عمد رؤساء روسيا إلى تأكيد قطع علاقات بلادهم بالماضي، بما فيها الأيديولوجيات الماركسية اللينينية.[42]

تظهر ديناميكية وفاعلية الإستراتيجية الروسية من خلال ما يضمن عدم العودة إلى عصر الأيديولوجيات المتصارعة على الساحة الدولية، حيث ظهر فلاديمير بوتين كحام للخط الإستراتيجي الجديد الذي إنتهجته روسيا في عصر العولمة وحرية السوق، مع الإصرار على وحدة الإتحاد الروسي، وإتباع مختلف الوسائل، بما فيها القوة العسكرية، لتأكيد هذه الوحدة.[43] وشكلت سمة المنافسة هدفاً جديداً أجاز لأجله الدستور الروسي الجديد المنافسة مع الأسواق العالمية مكان المواجهة الأيديولوجية، وسرعان ما إنعكست الإستراتيجية الجديدة على الجو العام من خلال إعادة ترتيب الأولويات، التي أثّرت على حركة الإنفتاح على الخارج.[44]

---

[40] عامر عواد، التحول في العلاقات الروسية الأميركية، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 26، ربيع 2010، ص 49.

[41] الإستراتيجية العسكرية، الجيش اللبناني، مديرية التعليم، اليرزة، دون تاريخ نشر، ص1.

[42] غينادي زيوغانوف، روسيا والعالم المعاصر، ترجمة عدنان جاموس، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1996، ص 15.

[43] لمى مضر الإمارة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، طبعة أولى، بيروت، 2009، ص201.

[44] فلاديمير شوبين، "عقيدة السياسة الخارجية الروسية"، مرجع سبق ذكره، ص43.

أما حرية الحركة فتجسّدت في عدم فرض شروط على روسيا أو على مصالحها، الأمر الذي أعطاها القدرة على التحرك والتحدي والمعارضة لأي نمط جديد في العلاقات الدولية، وبما يتلاءم مع مصالحها وذلك باتباعها نهج وسط بين الإفراط في الترابط وبين فك الإرتباط الفعلي.[45]

أظهرت روسيا مرونة من خلال الإختلاف في المفاهيم مع الولايات المتحدة بخصوص مسألة الأمن العالمي. ففي حين تنظر الولايات المتحدة للمناطق الحساسة في العالم على أنها جزء من النفوذ الغربي، تؤيد روسيا الجهود الرامية الى إشراك جميع أعضاء مجلس الأمن والأطراف المعنية لحل أي أزمة تنشب في العالم.

(2)- أهداف السياسة الخارجية الروسية.

من الواضح أن بوتين قد كرّس اهتمامه لصياغة اتجاه جديد لسياسته الخارجية، في محاولة لاستعادة المكانة التي كان يتبوأها الإتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة. لقد اعتمدت روسيا في سياستها الخارجية عدة دوائر تماهت مع تقدم نمّوها واستقرارها السياسي والإقتصادي. وفي كل هذه الدوائر كان الهدف الأسمى هو تحقيق الإستراتيجية الأمنية على المدى البعيد.[46]

تمثلت أهم أهداف السياسة الخارجية الروسية في إضفاء الطابع القومي على هذه السياسة، والتأكيد على ضرورة استرداد روسيا لمكانتها، والوصول الى تعددية قطبية بما يتناسب مع اتجاهات العالم الجديد. سعت روسيا إلى علاقات مميّزة مع أصدقاء الإتحاد السوفياتي السابقين، كما عملت على الإتفاق مع دول الجوار الإقليمي حول كيفية إقرار السلام والإستقرار وعلى زيادة التعاون وتعزيز العلاقات مع كومنولث الدول المستقلة،[47] وكذلك هدفت السياسة الخارجية الروسية لاتخاذ الديمقراطية كخيار وتعزيزها في العالم.[48]

ومن أهم الخطوات التي اتخذت لتفعيل سياسة البلاد الخارجية، برز اندماج روسيا في العديد من نشاطات السياسة الخارجية مثل مجموعة الدول الصناعية الثماني الكبرى، ومنتدى آسيا باسيفيك للتعاون الإقتصادي، ورابطة الأمم لجنوب شرق آسيا، ومؤتمرات القمة الروسية مع الإتحاد الأوروبي وغيرها من النشاطات التي أعادت لروسيا موقعها بين الدول المؤثرة على القرارات والإتفاقات الدولية.[49]

---

[45] سهيل فرح، "الجيوبولتيك الروسي: ملامح القوة والضعف"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت،العدد 112، خريف 2003، ص 35.

[46] نبية الأصفهاني، "مستقبل التعاون الروسي– الإيراني في ضوء التقارب الأخير"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 144، المجلد 36، نيسان 2001، ص 164.

[47] عبد العزيز مهدي الراوي، "توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة"، دراسات دولية، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، بغداد، العدد 35، ص 162- 163.

[48] المرجع السابق.

[49] السيد أمين شلبي، "بوتين وسياسة روسيا الخارجية"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 175، المجلد 44، كانون الثاني 2009، ص 258.

لقد أكد بوتين أنه لا يجوز تحديد قواعد الإقتصاد العالم والسياسة الدولية بمعزل عن مصالح موسكو، ومشدداً على السعي إلى التعاون في شأن قضايا مكافحة الإرهاب الدولي، والرقابة على الأسلحة، وصون الأمن الدولي، وشدد أن الخطوات الفردية في هذه المجالات سوف تجابه بالرد المناسب.[50] وأشار إلى أن روسيا استعادت خلال السنوات الأخيرة موقعها بين القوى العالمية الرئيسة، معتبراً أن قدراتها تؤهلها للعب دور أوسع، وتجعل مشاركتها في الشؤون الدولية ضرورية أكثر.

ويمكن القول بأن ثَمَّة تطورات ساهمت في تعزيز الدور الروسي على الساحة الدولية، كان من أهمها استغلال ميزة القوى الكبرى الدبلوماسية، ووضع إستراتيجية لإحياء الإقتصاد والتغلب على الصعوبات الإقتصادية والنجاح في تقوية التأثير الروسي كقوة أوراسية، والتوجه الدبلوماسي جنوباً نحو الصين والهند والدول الآسيوية الكبرى الأخرى بهدف تقوية الدور الروسي في الشؤون العالمية.[51]

(3)- <u>المتغيرات في الإستراتيجية الروسية.</u>

سعت روسيا للمحافظة على مصالحها والدفاع عنها بالقوة إذا لزم الأمر، وهذا ما جعلها تعيد تقييم استراتيجياتها السياسية والعسكرية،[52] التي شهدت تغييرات هامّة في مجالات رئيسية بعد استعادة روسيا عافيتها إقتصادياً، ومحافظتها على جزء هام من ترسانتها النووية الإستراتيجية. كما تم وضع وثيقة السياسة الخارجية التي حددت مرتكزات سياسة روسيا الخارجية، والتي ظهرت ملامحها في أماكن عديدة من العالم.

إنّ التغيير الذي شهدته الإستراتيجية الروسيّة يعود في أهم جوانبه إلى استغناء روسيا عن النظريّة الماركسيّة اللينينيّة، والإستراتيجية السياسيّة للحزب الشيوعي كمصادر للفكر الإستراتيجي.[53] ومن هذا المنطلق، يمكن الإشارة إلى المجالات الرئيسيّة للتغيير في الإستراتيجية الروسيّة، والتي يُمكن إدراجها على الشكل التالي:

(أ)- كانت النظريّة الماركسيّة اللينينيّة تنظر إلى الحرب بوصفها حالة حتميّة بين النظامين الإجتماعيَين الرأسمالي والإشتراكي، بينما القيادات الروسيّة الحالية باتت تتبنّى مفهوماً تقليدياً عن الحرب، يقوم على أنّ احتمالات اندلاع الحرب تنبع من استمرار حالة الفوضى.

(ب)-الإعداد لمواجهة الحروب المحليّة والإقليميّة، فالإستراتيجية السوفياتيّة لم تعطِ اهتماماً كافياً للعمليات القتاليّة ذات الطبع المحلي والإقليمي، وذلك بسبب إنشغالها في المواجهة الواسعةِ النطاق ضد الغرب. أما حالياّ فقد أدركت موسكو أنّ لمثلِ هذه الصراعات منطقها الخاص.

---

[50] أحمد دياب، "عودة بوتين: تحديات وطموحات روسيا بعد انتخابات الرئاسة"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 188، المجلد47، نيسان 2012، ص 106.

[51] عبد العزيز مهدي الراوي، مرجع سبق ذكره، ص ص 165- 166.

[52] أحمد علّو، السياسة الخارجية الروسية في علاقاتها الدولية، مجلة الجيش، اليرزة، العدد263، أيار 2007، ص 33.

[53] لمى مضر الإمارة، روسيا الإتحادية، مرجع سبق ذكره ص 84.

(ج)– إنّ التغيّرات الجديدة لا تعني وجود تغيير جذري في العقيدة الروسية العسكرية عن العقيدة السوفياتيّة السابقة، بل هي عقيدة معدّلة تمّ اتّخاذها لمواجهة التهديدات الأمنيّة والعسكريّة الجديدة ومنها الإرهاب.

(4)– السياسة العسكرية الروسية.

تتبنى روسيا اليوم السياسة العسكرية الروسية القديمة التي تتلخص بالسعي للحصول على منافذ للمحيطات، وإقامة قواعد بحرية خارجية وتشكيل أسطول بحري حديث وقوي. وقد سبق لقيصر روسيا بطرس الأكبر أن قال في هذا الصدد أن الدولة التي ليس لها سوى الجيش لا يكون لها إلا ذراع واحد، ولهذا لا بد لها من امتلاك أسطول بحري لكي يصبح لها ذراعان.[54] وهكذا فإن قوة روسيا ووضعها لا بد أن يحاكي وضع وقوة الإتحاد السوفياتي السابق، حيث تسعى الى تحقيق مفهومين أساسيين في المجال المزدوج للجغرافيا السياسية والجغرافيا الإستراتيجية، الأول قارياً يتطور خلف قواعد إنطلاق تشكلها البلدان الصديقة والحليفة، والثاني فهو بحري يشبه المفهوم الغربي.[55]

وفي حالة الشرق الأوسط، تشكل سوريا أحد أهم قواعد هذين المفهومين، كما تسعى روسيا الى تحديث أسطولها البحري وخاصة لجهة حاملات الطائرات والغواصات النووية بوصفها وسائل فاعلة في عمليات نقل ونشر القوات في مناطق العمليات الإستراتيجية المحتملة، وللحصول على ذراع بحري قادر على تحقيق توازن استراتيجي على الصعيد الدولي. وكذلك الأمر بالنسبة الى أوكرانيا وجورجيا، حيث يمكن ربط جزء من المشكلة فيهما بالجغرافيا الإستراتيجية، من حيث إصرار روسيا على العودة الى البحر الأسود، الأمر الذي سيسمح لها بتأمين الطرق البحرية من خلال التواجد الدائم في موانئ دافئة، ومحافظتها على حرية إنطلاق أساطيلها الى المحيطات عبر مضائق البوسفور والدردنيل وصولاً الى البحر الأبيض المتوسط الذي يحتفظ بأهميته الإستراتيجية الإقليمية، خاصة في حالات الحرب المحدودة وحتى الشاملة.[56]

وتسعى القيادة الروسية من خلال سيطرتها على الأقاليم المجاورة، ورفضها اقتراب حلف شمال الأطلسي من حدودها، الإستفادة من الجوانب الإيجابية التي تقدمها لها الجغرافيا الإستراتيجية، والمحافظة على العمق الدفاعي الإستراتيجي الذي شكل الضمانة لموسكو في وجه أي هجوم عسكري من الغرب، حيث برهن التاريخ أن الهجومات الضخمة المركّزة من الغرب امتصها هذا العمق الشاسع، كما في حملتي نابوليون وهتلر.

ويبرز هنا السؤال حول حاجة روسيا الى إعادة بناء جيوشها التقليدية في ظل أسلحتها النووية التي تؤمن لها دفاعاً رادعاً ضد أي اعتداء من الغرب. هذا الأمر يبدو منطقياً عند اعتبار أن الخطر المحدق بروسيا ينبع

---

[54] بيير سيليرييه، الجغرافية السياسية والجغرافيا الستراتيجية، ترجمة أحمد عبد الكريم، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1988، ص 127.

[55] المرجع السابق، ص127.

[56] المرجع السابق، ص 137.

من أوروبا فقط، إلا أن موسكو ما زالت تعتبر أن التهديد ما زال ذو طابع أميركي، وبالتالي فإن التدمير النووي لأوروبا لن يكون حاسماً بالنسبة لأي حرب كونية. أضف الى ذلك أن الأرض لم تعد هدفاً للحرب، بل أصبح الهدف الأساسي هو استثمار الموارد والوسائل على هذه الأرض، فمن الخطأ تدمير أوروبا التي تفصل روسيا عن الولايات المتحدة، وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم الخلفيات التي تحدو بالقوة القارية الروسية لتجديد قواتها التقليدية وتزويدها بالعتاد الذي يعطيها قدرات هائلة على الإختراق،[57] بالإستفادة من الأسلحة النووية التكتية التي وضعت بالتصرّف المباشر لقادة الفيالق العسكرية باعتبارها أسلحة تكتية وليست استراتيجية. ومن الجدير ذكره أن القوات العسكرية الروسية قد شهدت تطويراً نسبياً وإعادة تأهيل جدّية إعتباراً من العام 2008.[58]

ويبقى السؤال المهم هل ستتمكن روسيا من تحقيق التوازن في ظل الفارق التكنولوجي الكبير في مجال التسليح مع الغرب، وهل سيؤدي العمل على تحقيق هذا التوازن الى سباق تسلّح جديد تدفع روسيا ثمنه إقتصادياً كما فعل الإتحاد السوفياتي؟

ب-التحولات الكبرى في سياسة روسيا الخارجية.

لعل أهم معضلة خارجية واجهت روسيا، هي كيفية صياغة سياسة خارجية جديدة، في ظل نظام عالمي شهد صعود قوى جديدة، ظلت السيطرة فيه للولايات المتحدة من ناحية أخرى. فقد شهدت روسيا منذ العام 1991 إعادة إنبعاث الجدل التاريخي حول هويتها، هل هي دولة أوروبية أم دولة آسيوية؟ لقد أدت هذه الإشكالية في الواقع إلى بروز توجهين أساسيين تحكما بالسياسة الخارجية الروسية، أولهما أوروبي- أطلسي (1991-1995) والثاني أوروبي آسيوي (أوراسي).[59]

إنطلق التوجه الأول من أهمية إندماج روسيا مع الغرب، وبالتحديد مع مجموعة دول حلف الأطلسي، بإعتبار أن هذا الإندماج "غير المشروط"[60] هو وحده الطريق لتمكينها من النهوض إقتصادياً، نتيجة تحولها إلى دولة عادية، وإتباع سياسة تتلاءم مع هذا الواقع بالإعتماد على سياسة المصلحة وليس الأيديولوجيا. إلا أن سياسة روسيا الخارجية إنعطفت باتجاه أوروبي آسيوي بسبب إستمرار توسيع حلف شمال الأطلسي شرقاً، ما أدى

---

[57] بيير سيليرييه، الجغرافية السياسية والجغرافيا الستراتيجية، مرجع سبق ذكره، ص 148.

[58] Mikhail Barabanov, "Changing the Force and Moving Forward after Georgia," in *Brothers Armed: Military Aspects of the Crisis in Ukraine*, ed. Colby Howard and RuslanPukhov (Minneapolis, USA: East View Press, 2014), 91-121.

[59] "The Petersburg Experience: Putin's Political Career and Russian Foreign Policy", www.cdi.org/russia/johnson/8097-16.cfm (accessed September 14, 2015).

[60] Mark Webber, The International Politics of Russia and the Successor States, (NewYork: Manchester University Press 1996), 29.

الى الإتجاه نحو دعم الترابط بين دول الإتحاد السوفياتي السابق، ودعم بيئتها الأمنية عن طريق تقوية علاقاتها مع الصين والهند. لكن أحداث 11 أيلول 2001 وما تلاها، أدت إلى حدوث تحوّل في السياسة الخارجية الروسية نحو الأورو- أطلسي نتيجة دعم الإستراتيجية الأميركية الجديدة في محاربة الإرهاب، وعزز تحولها هذا تفاقم الأزمة الإقتصادية الروسية. إلا أن روسيا ما لبثت أن تحولت عن هذا التوجه في ظل حكم بوتين نظراً عدة عوامل، أهمها السياسة المتفردة التي إتبعتها الولايات المتحدة بعد 11 أيلول، وإرتفاع أسعار النفط ما أدى إلى زيادة الناتج القومي الروسي وتقليل إعتمادها على المساعدات الغربية.

(1)- أبرز ملامح التوجه الجديد في السياسة الخارجية الروسية.

بدأت روسيا تعمل على بناء قوتها الذاتية باعتبارها المقياس الأساس لمكانتها على الساحة الدولية، تجلى ذلك بإنتقادها للسياسة الأميركية الأحادية، والمطالبة بإنشاء نظام عالمي متعدد الأقطاب، وفي هذا السياق ذكر المستشار السياسي لمجلس الشيوخ الروسي فلاديمير شوبين أنّ الإقتراب الروسي من الولايات المتّحدة بعد 11 أيلول لا يعني تخلّي روسيا عن إقامة عالم متعدد الأقطاب.[61]

يمكن تلخيص الإيجابيات بإستعادة روسيا موقعها كواحدة من "الدول الكبرى" نتيجة إنتعاش إقتصادها الوطني ونموه وبالتالي استعادة هيبتها وإحترامها في العالم، فإستطاعت صد موجة الثورات الملونة[62] بالقرب من حدودها، والتي مثّلت تقدماً جيوسياسياً أميركياً في محيطها،[63] والحفاظ على آليات التكامل القديمة مع رابطة الدول المستقلة ومنظمة الأمن الجماعي لدول وسط أسيا.[64] وإستعادت روسيا كذلك علاقاتها مع الدول الحليفة تقليدياً للإتحاد السوفياتي السابق وبنت علاقات مع حلفاء جدد. أما السلبيات فتبرز من خلال المعضلات التي واجهت تنفيذ السياسة الخارجية الجديدة، لعل أبرزها عدم القدرة على لعب دور الشريك الأول لدول قريبة منها كالصين والهند، نتيجة لمعضلاتها الإقتصادية، إضافة إلى المعضلة الديموغرافية، ومعضلة توسيع حلف شمال الأطلسي ومسألة الدرع الصاروخية (AMD)، التي ستشكل مجتمعة الإختبار الحقيقي للقوة الروسية، فهذه المواضيع مرتبطة مباشرة بالمصالح القومية الروسية، والصمود أمامها سيشكل نواة عهد جديد في السياسة الخارجية الروسية ويخلق آفاق جديدة للعودة الى العالمية.

[61] فلاديمير شوبين، مرجع سبق ذكره، ص46.

[62] الثورات الملونة هي الثورات الشعبية المطالبة بالديمقراطية والتي اندلعت في الدول المحيطة بروسيا واتخذت من اللون البرتقالي شعاراً لها في أوكرانيا، واللون الوردي في جورجيا.

[63] أحمد سيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص 318.

[64] فلاديمير شوبين، مرجع سبق ذكره، ص 48.

(2)- **وثيقة السياسة الخارجية الروسية.**

تم وضع وثيقة السياسة الخارجية الروسية مع وصول فلاديمير بوتين إلى الحكم في العام 2000، حيث سعت روسيا من خلالها لتحقيق توازن بين المعارضة التدريجيّة الليّنة إزاء توسّع حلف شمال الأطلسي، وبين المحافظة على علاقاتها بالولايات المتّحدة وألمانيا وفرنسا.[65] ومن أبرز بنود هذه الوثيقة دفع الولايات المتحدة للتخلي عن نظام الدفاع الصاروخي في أوروبا، وتأكيد التعاون مع الإتحاد الأوروبي، خاصة ألمانيا، فرنسا، إيطاليا وإسبانيا وتأسيس مجال نفوذ روسي، وتعزيز "كومنولث الدول المستقلة" وإجتذاب أوكرانيا ورومانيا إلى مدار التعاون الإقتصادي، وتطوير شبكات نقل الغاز في أوكرانيا.

3- تنامي التأثير الروسي على صعيد السياسة الدولية.

مهما تعددت الآراء والمناقشات حول اعتبار موسكو قوة عالمية أو إقليمية، أو حول النظام العالمي الحالي المتأرجح ما بين الأحادية أو التعددية القطبية، فإن حجم والموقع الجغرافي، إضافة الى التجارب المختلفة عبر التاريخ، تجعل من روسيا لاعب أساسي في صناعة الأمن الإقليمي وحتى العالمي.[66]

في نهاية العام 2006 بدا واضحاً أن التحركات الإستراتيجية الروسية تتم عبر تطبيق مخططات الإدارة الإستراتيجية للصراعات الدولية والإقليمية، من خلال قاعدة الهجوم السلبي أو الإيجابي وقاعدة الدفاع السلبي أو الإيجابي.[67] وانطلاقاً من المقولة "النابوليونة" أن معرفة جغرافية الدولة تعني معرفة سياستها الخارجية، فإن روسيا تسعى لبناء سياستها الخارجية بما يتلاءم وموقعها الجغرافي، حيث تم تقسيم المحيط الإقليمي الروسي إلى خمس دوائر إقليمية رئيسية هي: دائرة آسيا الوسطى، الباسيفيك، القوقاز، أوروبا ودائرة الشرق الأوسط. ففي وسط آسيا، تعمل فيها روسيا من أجل إبعاد الوجود الأميركي عن جمهوريات آسيا الوسطى، تركمانستان، طاجيكستان، أوزبكستان، كازاخستان وقيرغيزستان، عن طريق ربط المصالح الإقتصادية لهذه الدول مع دائرة الإتحاد الفيدرالي الروسي، وإبعاد أي وجود عسكري أميركي في هذه المنطقة. أما في القوقاز

---

[65] علي حسين باكير، عالم متعدد الأقطاب: روسيا تتحدى تفرد الولايات المتحدة الأميركية، مجلة الدفاع الوطني، العدد54، اليرزة، تشرين الأول 2005، ص 74.

[66] Michael Cox, "From the Cold War to the World Economic Crisis," in The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations, eds. John Baylis, Steve Smith and Patricia Owens (Oxford: Oxford University Press, 2011), 69-73.

[67] "النزاع وصراع المصالح بين الولايات المتحدة، روسيا، أوروبا الغربية"، منتدى الدراسات والبحوث السياسية، تشرين ثاني 2009، الموقع الإلكتروني: http://press-is.yoo7.com/t102-topic أنظر أيضاً: "ما هي مخططات الاستراتيجية الروسية في العالم؟"، الموقع الإلكتروني:https://www.aljaml.com (دخول 10 تشرين أول 2015).

فتعمل روسيا على دمج مصالح هذه الدول فيه ضمن شبكة إمدادات النفط الروسي ودعم الحركات السياسية المعتدلة، في مواجهة الثورات الملونة، والحد من توسيع حلف شمال الأطلسي إلى هذه المنطقة.

أوروبياً، تعمل القيادة الروسية وفقاً لإعتبارات متعلقة بخصوصية الوضع الأوروبي، حيث تركز في علاقاتها على القوى الأوروبية ذات الوزن داخل وخارج الإتحاد الأوروبي. نجحت روسيا في إحداث إختراق إستراتيجي بارز الأهمية عبر الإتفاق المبدئي مع فرنسا وألمانيا على تمديد خطوط أنابيب لنقل النفط والغاز الروسي مباشرة إلى أراضي هذه الدول، وهذا ما يؤشر الى رغبة روسية للتعامل مع دول أوروبا في مجال الطاقة ضمن إطار فردي بدلاً من التعامل معها في إطار الإتحاد الأوروبي.[68]

أما في دائرة شمال غرب المحيط الهادئ، ترتبط روسيا بعلاقات وثيقة مع كل من الصين وكوريا الشمالية، وذلك في مواجهة حلفاء أميركا كاليابان، كوريا الجنوبية وتايوان. ووفقاً للحسابات الإستراتيجية، تعتبر هذه المنطقة الدائرة الأخطر في صراع سباق التسلح وإنتشار الرؤوس الحربية النووية وإستخدام الصواريخ البالستية، بسبب تواجد روسيا والصين وكوريا الشمالية في مواجهة دول تستضيف أسلحة نووية أميركية. يركز الروس في هذه الدائرة على التعاون الوثيق مع الصين وكوريا الشمالية، وعلى التهدئة مع أميركا، والعمل على تعزيز العلاقات التجارية مع أميركا الشمالية والجنوبية، أما مع اليابان وكوريا الجنوبية فهناك إتفاق روسي– ياباني– كوري جنوبي، على ربط كوريا الجنوبية واليابان بإمدادات النفط والغاز الروسية القادمة من شرق سيبيريا. كما ويحاول الروس التوصل إلى إتفاقية مع اليابان حول الجزر المتنازع عليها.[69]

ويبقى الشرق الأوسط الذي يعتبر الساحة الحقيقية لقياس قوة التأثير للدول صاحبة القرار، والذي شهد تراجعاً لقوة التأثير الروسية في فترة ما بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي وحرب الخليج الأولى، ما أضر بالمصالح الروسية الحيوية في العالم عامةً وفي الشرق الأوسط خاصةً. فقد أدى التراجع الروسي إلى فراغ إستراتيجي في الشرق الأوسط، فراغ إستفادت منه الولايات المتحدة الأميركية لتوطيد هيمنتها على المنطقة.

أ– <u>أهداف روسيا الآسيوية عامة وفي وسط آسيا خاصة (منطقة قزوين).</u>

السياق التاريخي للأحداث الدولية المعاصرة، يعطي انطباعاً وازناً لاعتبار دوافع السياسة الروسية كتكملة لأنماط قديمة تحركها أمجاد العظمة السابقة، الأوراسية الجديدة، والرغبة في التأثير الإقليمي والعالمي. بعد الخوض في تجربة الديمقراطية الليبرالية الغربية، لمس الروس ضعف جهوزية الغرب لدعم الديمقراطية

---

[68] أحمد سيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص 320.

[69] "النزاع وصراع المصالح بين الولايات المتحدة، روسيا، أوروبا الغربية"، مرجع سبق ذكره.

"الروسية" وقِيَمها بشكل مطلق. من هنا ظهرت الفرصة لروسيا لتأكيد قوة تأثيرها المستقل عن الدعم الغربي في لحظات حساسة من المتغيرات الجيوبوليتيكية. [70]

في العام 1994 بدأ يلتسن في تغيير توجه سياسته الخارجية، حيث بدأت تتبلور ملامح توجه "أوراسي جديد" أساسه أن روسيا دولة أوروبية آسيوية (أوراسية)، وعليها أن توجه سياستها نحو هذه المنطقة للدفاع عن مصالحها بدلاً من رؤية نفسها من منظور الشراكة مع الغرب،[71] حيث تبلورت التوجهات الروسية حول إنشاء نظام عالمي يقوم على التعددية القطبية، نتيجة تحالف أوراسي بين روسيا والصين والهند "كمثلث إستراتيجي" يوازن القوة الأميركية. في هذا الإطار، أسهمت روسيا في إنشاء منظمة شنغهاي للتعاون، وعارضت توسيع حلف الأطلسي الى دول الكتلة السوفياتية السابقة كذلك دافعت عن تقوية دور الأمم المتحدة بعدما بدا أن دورها يتراجع لحساب حلف شمال الأطلسي.[72] مع وصول بوتين إلى السلطة عام 2000، سعى إلى تعميق التوجه الأوراسي في سياسته الخارجية التي قامت على مجموعة مبادئ أهمها تطوير دور روسيا في عالم متعدد الأقطاب وإستعادة هذا الدور في آسيا والشرق الأوسط.[73]

سعت روسيا إلى تقليص النفوذ الأميركي في آسيا الوسطى، وطالبت الولايات المتحدة بسحب قواعدها العسكرية من أوزبكستان وقيرغيزستان، ونجحت في ذلك، فبعد قيام أوزبكستان في العام 2005 بتفكيك الوجود العسكري الأميركي على أراضيها، نجحت موسكو في إقناع قرغيزيا في مطلع عام 2009 بإغلاق القاعدة العسكرية الأميركية التي أقيمت على أراضيها منذ عام 2001، وتروّج الصحف الغربية أن موسكو وعدت قرغيزيا بدفع 2 مليار دولار سنوياً مقابل ذلك القرار الذي تأمل موسكو منه تخفيف التأثير الغربي في آسيا الوسطى.[74]

سعت روسيا كذلك إلى بناء شراكة إستراتيجية مع الصين في إطار منظمة شنغهاي للتعاون، والتي تضم دول آسيا الوسطى ماعدا تركمانستان، وشمل ذلك مشاركة نفطية لمد خطوط نقل النفط الروسي من سيبيريا إلى الصين، مع السعي إلى إعطاء المنظمة بعداً عسكرياً، كذلك عملت روسيا على إعادة تقوية علاقاتها مع دول

---

[70] Andrew Monaghan, “An enemy at the gates or from victory to victory? Russian foreign policy,” International Affairs 84, no. 2 (2008): 717.

[71] جيفري مانكوف، "روسيا والغرب: نظرة أبعد مدى"، ترجمة جمال صالح خضر أبو ناصر، مراجعة محمد مجد الدين باكير، مجلة "الثقافة العالمية"، الكويت، السنة 26، العدد 148 ، أيار – حزيران 2008، ص 69.

[72] نجوان الأشول، "العلاقات الأوروبيّة – الأميركية: بين الاستقلال والتبعيّة"، السياسة الدوليّة، العدد 157، تموز 2004، القاهرة، ص 117.

[73] أيمن طلال يوسف، "روسيا البوتينية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولويات الجيوبوليتيكية الخارجية، 2000 – 2008"، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، السنة 31، العدد 358 ، كانون الأول 2008، ص 82.

[74] “Russia Buys a Vowel in Kyrgyzstan”, Investor’s Business Daily, February 04, 2009.

رابطة الدول المستقلة، من خلال عدة أساليب، بما فيها الدبلوماسية "القسرية"،[75] فنجحت في إعادة دول آسيا الوسطى إلى حظيرتها عبر إنشاء معاهدة الأمن الجماعي.

إلا أنه في إطار تحليل السياسة الروسية تجاه دول آسيا، لا بد من الإجابة على عدة تساؤلات، منها ما هو مرتبط بأهمية آسيا على أجندة السياسة الخارجية الروسية، الى أهداف روسيا في آسيا، الى الأدوات التي تستخدمها لتحقيق هذه الأهداف ولتذليل العقبات التي تواجهها في هذا الصدد.

(1)- **أهداف روسيا في آسيا.**

تشكل أهداف السياسة الخارجية الروسية تجاه آسيا جزءاً من أهدافها العامة، لذلك تسعى روسيا لإقامة علاقات شراكة من أجل تدعيم التعاون الدولي فيها، والمحافظة على مصالح المواطنين الروس في الخارج والتعريف بروسيا بما يساعد على فهمها بشكل إيجابي على المستوى الدولي.

تجاور روسيا دول آسيا الوسطى، مروراً بالصين التي ظلت لعقود على علاقة متوترة معها، إلى دول الجوار التي لا تزال لروسيا معها خلافات إقليمية كما هو الحال بالنسبة لليابان، فضلاً عن دول كانت تعتمد على المساعدات السوفياتية زمن الحرب الباردة، تحاول موسكو إعادة مد جسور التواصل معها، كما هو الحال بالنسبة لكوريا الشمالية. وبعيداً عن دول الجوار المباشر، فإن باقي دول القارة باتت تشكل ثقل سياسي وإقتصادي متصاعد، كالهند وكوريا الجنوبية ودول جنوب شرقي آسيا، وأصبحت محط إهتمام القوى العالمية، ومنها روسيا التي تسعى لتحديد سياساتها حسب قوة ومكانة الدولة التي تريد أن تتعامل معها.[76]

يمكن تقسيم أهداف السياسة الخارجية الروسية تجاه آسيا إلى أهداف سياسية إستراتيجية، وأهداف إقتصادية وأهداف ثقافية. فعلى صعيد الأهداف السياسية الإستراتيجية، تحاول روسيا حشد الدعم لرؤيتها حول طبيعة النظام الدولي، وتدعيم علاقاتها مع الدول صاحبة الطرح المشابه في القارة الآسيوية، كالصين والهند وكوريا الشمالية وإيران وماليزيا.[77] كما تسعى إلى إستعادة موقعها في القضايا الأمنية الآسيوية، ما جعلها تعمل على الإنضمام للتجمعات التي تهتم بمناقشة القضايا الأمنية في القارة الآسيوية كالمنتدى الإقليمي للآسيان (ASEAN)، منظمة شنغهاي، ورابطة الكومنولث (C I S).

---

[75] "Kyrgyzstan, Uzbekistan: Moscow's Maneuvers in Central Asia", Stratfor, July 13, 2009, https://www.stratfor.com/analysis/kyrgyzstan-uzbekistan-moscows-maneuvers-central-asia (accessed Oct 13 2015).

[76] علي الدين هلال، "النظام الدولي الجديد، آفاق ما بعد الحرب الباردة"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، عدد106، 2010، الموقع الإلكتروني: http://www.alkutubcafe.com/book/vdFkAq.html (دخول 10 تشرين أول 2015).

[77] المرجع السابق.

أما إقتصادياً فتسعى روسيا للحصول على حصة مناسبة من الأسواق والإستثمارات الآسيوية لصالحها، والدخول في علاقات قوية مع التجمعات الإقتصادية في القارة، والحصول على دعم الدول الآسيوية لإندماجها في النظام الإقتصادي الدولي بمؤسساته التجارية والمالية والنقدية[78]. في إتجاه آخر، تسعى روسيا لزيادة صادراتها إلى آسيا، بما فيها صادرات السلاح والطاقة، (تصدير الطاقة إلى اليابان عبر سخالين، مد أنابيب غربي الصين وشرقها، وفيما بعد إلى الكوريتين)، ولمنتجاتها الصناعية عبر عروض تصدير التكنولوجيا للدول الآسيوية. كما تسعى لتكون حلقة وصل بين دول آسيا، عبر مد خطوط المواصلات البرية. وفي الإطار الإقتصادي أيضاً، إهتمت روسيا بالتجمعات الآسيوية، حيث إنضمت إلى منتدى التعاون الإقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادئ (APEC)، وإلى الآسيان(ASEAN)، كما سبق وذكرنا. كما يوجد إهتماماً روسياً ثقافياً كبيراً بآسيا يبدأ من المحافظة على دعم الروابط القوية مع دول آسيا الوسطى، ليمتد إلى المحافظة على الروابط الثقافية مع الدول التي كانت محسوبة على الإتحاد السوفياتي السابق مثل كوريا الشمالية وفيتنام.[79]

(2)- **<u>تحديات السياسة الروسية في آسيا.</u>**

تواجه السياسة الروسية تجاه آسيا مجموعة من التحديات، منها ما هو نابع من هذه السياسة ذاتها، ومنها ما هو نابع من البيئة التي تتحرك فيها، سواء من جانب القوى الآسيوية نفسها أو من جانب القوى صاحبة النفوذ في الكثير من شؤون القارة كالولايات المتحدة الأميركية. يعتبر البعض أن التوجه الروسي نحو آسيا هو فعل تكتيكي وليس إستراتيجي، يهدف للحصول على مكاسب أكثر من الغرب أو الحد من إقتراب الغرب أكثر من الحدود الروسية. لكن التحدي الأكبر فيما يتعلق بالسياسة الروسية في آسيا يتمثل في إستعادة الدولة الروسية لعافيتها على صعيد التنمية الإقتصادية، والتغلب على المشاكل الإجتماعية، والمحافظة على تماسك الدولة. إن تحديات البيئة الآسيوية نفسها فناتجة عن التطلعات المستقبلية للدول فيها ورغبتها في لعب أدوار أكثر فاعلية في المنطقة وحتى على الصعيد العالمي. فبينما يدور الحديث عن شراكة إقتصادية وإمكانية قيام تحالف مع الدول التي وصل مستوى العلاقات معها إلى مرحلة متطورة مثل الصين والهند، فإن البعض يحذر من الإعتماد المكثف عليهما فيما يتعلق بصادرات السلاح الروسية، كما هناك تخوف أيضاً من الإنفتاح

---

[78] المرجع السابق.

[79] Kari Roberts, “Institutions and Individuals in the Making of Russian Foreign Policy Toward the United States Since 1991”, Paper prepared for presentation at the 43rd Annual International Studies Association (ISA) Convention in New Orleans, LA, 24-27 March 2002.

الكبير على الصين، خاصة في منطقة الشرق الأقصى، تحديداً بسبب الخلل السكاني في المنطقة الحدودية، والذي أدى إلى تزايد معدلات هجرة الصينيين إلى داخل روسيا.

من جهة التحديات التي تفرضها الولايات المتحدة، فبعضها مباشر من خلال السعي لوجود دائم في آسيا، والآخر غير مباشر من خلال حلفائها في المنطقة. في ضوء طبيعة التعامل الروسي الراهن مع هذه التحديات، فإن المؤشرات تدل على التقدم الروسي في الحصول على مكانة أفضل مما كان عليه الحال في السابق داخل القارة الآسيوية، ما لم تحدث تغيرات جذرية مفاجئة داخل روسيا ذاتها.

(3)- <u>الأهمية الإستراتيجية لمنطقة بحر قزوين.</u>

تركّزت تحركات دولية واسعة النطاق تجاه منطقة بحر قزوين التي تكوّن قلب أوراسيا، إدراكاً منها لأهمية المكاسب التي ستجنيها من سياساتها فيها،[80] فإلى جانب الأهمية الإقتصادية الإستراتيجية المترتبة على موارد الطاقة فيها، هي تتمتع بأهمية جيوستراتيجية مؤثرة، وقد اجتهد الفكر الإستراتيجي الروسي بوضع تصوراته حول هذه المنطقة لتحقيق الأهداف الإستراتيجية لروسيا الإتحادية.[81]

(أ)- <u>الأهمية الجيوستراتيجية للمنطقة.</u>

تعتبر روسيا هذه المنطقة ذات أهمية جيوستراتيجية، وتسعى كي يكون لها تأثير وتواجد قوي فيها يكون جزءاً من مظاهر استعادة القوة والسيطرة.[82] إن روسيا الساعية الى استعادة نفوذها الدولي، لن تقبل أن تغدو وسيطاً لتسهيل ضخ موارد وثروات المنطقة لصالح أي من القوى الدولية الأخرى، فهذه المنطقة تعتبر منطقة نفوذ طبيعية بالنسبة لها، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بأمنها القومي ومصالحها الإقتصادية والإستراتيجية، ولعل وجود ملايين المواطنيين الروس على أراضي جمهوريات الإتحاد السوفياتي السابق، واعتماد هذه الجمهوريات إقتصادياً على روسيا بوصفها الشريك التجاري الأكبر بالنسبة لها، خير دليل على استمرار الدور والنفوذ الروسي القوي في الجمهوريات المشاطئة لبحر قزوين.[83] وقد سعت روسيا الى إيجاد إطار يربط هذه الدول بدائرة نفوذها منعاً للإختراقات الدولية والإقليمية، لاعتبار هذه المنطقة مهمة بالنسبة للأمن القومي الروسي ولمصالح روسيا الإقتصادية، إضافة الى اعتبار هذه المنطقة جسر استراتيجي يربط ما بين روسيا ومنطقة الشرق الأوسط، بعد الأخذ بعين الإعتبار الوجود الأطلسي في تركيا من جهة آسيا الصغرى.

---

[80] بيروز زاده، "النظام القانوني لحوض قزوين: الجغرافيا السياسية"، مجلة شؤون الشرق الأوسط، العدد 109، مركز الدراسات الإستراتيجية للبحوث والتوثيق، بيروت، 2003، ص 28.

[81] طارق ذنون الطائي، "العلاقات الأميركية الروسية بعد الحرب الباردة"، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد وبيروت، دون طبعة، 2012، ص 205.

[82] طارق ذنون الطائي، "العلاقات الأميركية الروسية بعد الحرب الباردة"، مرجع سبق ذكره، ص 207.

[83] أيمن طلال يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 87-88.

وتعلم روسيا أهمية فرض هيمنتها على أوراسيا، إذ أن النزعات الإنفصالية فيها، وخاصة تلك الإسلامية، ستضعف في حال تفاقمها الموقف الروسي الداعي الى عدم التدخل الخارجي، وسيخلق أرضاً خصبة لتدخلات خارجية تطال مناطق شكّلت على مر التاريخ عمقاً استراتيجياً أمنياً ودفاعياً واقتصادياً واجتماعياً روسياً. وتبلورت أهداف روسيا من خلال العمل على تأمين منطقة عازلة لحماية أمنها من الجنوب، فأي صراع يمكن أن تصل تأثيراته الى روسيا بالذات وتمهد لتدخل أجنبي في مناطق نفوذها القريبة.

وحتى في خضم الأحادية القطبية الأميركية، عملت القيادة الروسية على التخفيف من تأثير التغلغل الأميركي في هذه المنطقة. ففي الوقت الذي نجحت فيه واشنطن في التغلغل في جمهوريات آسيا الوسطى بحجة أعمال التموين لقواتها المتواجدة في أفغانستان، والتي طالما اعتبرتها روسيا خطوطاً حمراء لا يمكن أن تسمح بتواجد عسكري فيها لأي قوة دولية، فإن موسكو عملت جاهدة، ولكن بحذر، على إجهاض هذه الحجة وطرحت البدائل من خلال السماح للقوات الأميركية باستخدام خطوط سككها الحديدية ومطاراتها وموانئها لتأمين عمليات التموين اللوجستي للقوات المقاتلة في أفغانستان، فقد كانت هذه "المرة الأولى في التاريخ الحديث تتواجد قوة عظمى أخرى في الباحة الخلفية لروسيا".[84]

حاولت روسيا تأمين نقل جزء من صادرات منطقة بحر قزوين النفطية الى أوروبا عبر شبكة خطوط الأنابيب الروسية باتجاه البحر الأسود، في سعي حثيث للحصول على أجور الترانزيت المربحة للخزينة الفدرالية من جهة، وممارسة السيطرة على توزيع الإمدادات النفطية القزوينية من جهة أخرى،[85] وبالتالي إحكام القبضة الروسية اقتصادياً على الجمهوريات السوفياتية السابقة. هذا بالضبط ما سعت الولايات المتحدة الى عدم تحقيقه منعاً للسيطرة الروسية على تدفق الطاقة،[86] وهذا ما دفع الأخيرة باتجاه التخطيط لإقامة شبكات خطوط أنابيب في مسارات بديلة لا سيما خط باكو– تبليسي– سيحان والتي اعتبرتها الولايات المتحدة مسألة تمس بالأمن القومي الأميركي، إذ أنها تتعلق بأمن طاقة أميركا التي تعتمد على تنوع المصادر، وكذلك تتعلق بمنع الإختراقات الإستراتيجية من قبل من لا يشاركون أميركا القيم نفسها.[87]

---

[84] ليليا شيفتسوفا، روسيا بوتين، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2006، ص 259.

[85] مايكل كلير، الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات الدولية، ترجمة عدنان حسن، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002، ص 103.

[86] Ariel Cohen, Domestic Factors Driving Russia’s Foreign Policy, Published on November 19, 2007, http://www.heritage.org/about. (accessed December 15, 2015).

[87] مايكل كلير، دم ونفط: أخطار ونتائج إعتماد أميركا المتزايد على النفط، تعريب هيثم جلال غانم، دار الشروق، عمان، 2007، ص 239.

(ب)- **<u>الوضع القانوني لبحر قزوين.</u>**

أدى تفكك الإتحاد السوفياتي وما نتج عنه من تغيير في الجغرافيا السياسة المحيطة ببحر قزوين الى خلق إشكالية قانونية، فالمعاهدات الموقعة بين الإتحاد السوفياتي وإيران عامي 1921 و1940 التي اعتبرت بحر قزوين بحيرة مغلقة مشتركة بينهما، والتي منعت أي طرف ثالث بالقيام بأي نشاط فيه، أصبحت بفعل تكوّن كيانات سياسية جديدة مشاطئة للبحر، بحكم المجمّدة إن لم تكن بحكم ملغاة، وبدأت هذه المنطقة تأخذ بعداً واهتماماً دولياً.[88] فمع تعاظم المصالح الوطنية والدولية حول بحر قزوين، ظهرت الإشكاليات القانونية حوله والمرتبطة بأحقية استغلال ثرواته، وتمحورت الخلافات بشأن اعتباره بحراً أو بحيرة إذ ينعكس ذلك على طبيعة حقوق الدول المشاطئة في ثرواته.

تؤيد كل من روسيا وإيران وتركمانستان الرأي الأول، والذي يدعو الى اعتبار قزوين بحيرة داخلية تتقاسم الدول المطلة عليه الثروات فيه بصورة متساوية، وهذا ما يعني أن المياه الإقليمية للدول المطلة ستكون 20 ميلاً من الشاطئ تليها منطقة اقتصادية بعمق 20 ميلاً إضافياً، أما خارج الأربعين ميلاً فتكون كمنطقة استثمار مشترك. أما أذربيجان وكازاخستان فتؤيدان الرأي الثاني الذي يدعو الى اعتبار قزوين بحراً يسري عليه قانون البحار، وهذا يعني اقتسامه بين الدول المشاطئة التي تملك كل منها مياه إقليمية بعمق 12 ميل من الشاطئ ولها السيادة الكاملة على هذه المنطقة وعلى مجالها الجوي وعلى المنطقة الإقتصادية الدولية التابعة للدول الساحلية، حيث يجعل ذلك المناطق الأكثر غنى بالنفط تابعة لأذربيجان وكازاخستان.

بعد الترويج لنظرية اعتبار البحر بمثابة بحيرة، بدأ الموقف الروسي لاحقاً بالتبدل لصالح النظرة الآذرية، بعد الأخذ بالإعتبار المصالح الجيوسياسية الروسية والتي اعتبرت أن أذربيجان هي المدخل لأي تدخل أجنبي في المنطقة وبالتالي التقرّب منها سوف يؤدي الى تحجيم هذا التدخل، واعتبار روسيا أنها إذا تمكنت من ضم أذربيجان الى صفها وإبعادها عن الولايات المتحدة، فسيكون من السهل إيجاد لغة مشتركة مع إيران.[89] وتسعى روسيا من خلال ذلك الى أن تكون منطقة بحر قزوين بمثابة منطقة إقليمية بحتة، يتم حل الخلافات فيها بموجب إتفاقيات ثنائية من دون السماح لأية قوة من خارج الإقليم أن تتدخل وتفرض واقعاً قانونياً على هذه المنطقة. إلا أن ما نجحت فيه روسيا سياسياً فشلت في تحقيقه إقتصادياً، فقد نجحت الولايات المتحدة عبر شركاتها النفطية من الإندفاع لاستثمار مليارات الدولارات في كل من أذربيجان وكازاخستان، والفوز

---

[88] فريد الشحف، العلاقات الروسية – الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس، دار الطليعة، دمشق، 2005، ص 126.

[89] فريد الشحف، العلاقات الروسية – الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس، مرجع سبق ذكره، ص 132 – 133.

بنصيب الأسد في حقول أذربيجان محققة خرقاً للبعد القانوني الذي حاولت روسيا التسويق له مطولاً،[90] وانتقلت بعده الى إنشاء قواعد عسكرية في هذه المنطقة، وقد سعت روسيا بقوة الى رأب هذا الصدع في منطقة نفوذها المباشر، ونجحت لغاية الآن في جعل الأميركيين يقفلون قواعدهم العسكرية، فهل ستنجح مستقبلاً الشركات الروسية أن تأخذ مكان شركات النفط الأميركية؟

الى ذلك إستفادت روسيا من قضية الصراع الأرمني الأذربيجاني على إقليم ناغورني كاراباخ لتثبيت موقعها الإقليمي، خاصة بعد نجاحها في رعاية المحادثات التركية الأرمنية في زوريخ السويسرية خلال شهر تشرين الأول 2009 المتعلقة بإعادة العلاقات بين البلدين وفتح الحدود، وما تبع ذلك من توتر في العلاقات التركية الآذرية، والذي انعكس خطراً على مخططات مشروع خط نابوكو لنقل الغاز من وسط آسيا باتجاه أوروبا، والذي اعتبر من قبل الروس كتهديد اقتصادي لهم بعد أن كانت روسيا المصدر الأساسي لتوريد الغاز لأوروبا. حاولت روسيا استغلال التوتر التركي الآذري لإحكام سيطرتها على مصادر الطاقة في منطقة بحر قزوين وآسيا الوسطى، حيث وضعت موسكو في اعتبارها أن السيطرة على موارد الطاقة في تلك المنطقتين تضمن لها زيادة أهميتها الجيوستراتيجية في مواجهة الغرب.[91] ولتنفيذ خطط ضرب مشروع نابوكو، قدمت روسيا عروضاً مغرية الى أذربيجان لشراء الغاز منها، ما جعل الأخيرة تتجه أكثر الى التقارب مع روسيا، في ظل تحسن العلاقات التركية الأرمنية وعدم إحراز أي تقدم لحل مشكلة إقليم ناغورني كاراباخ.[92]

ب-<u>تعزيز علاقات روسيا الدولية: إستعادة العلاقات السوفياتية السابقة ومد جسور جديدة.</u>

إستعادت روسيا علاقاتها ودورها مع الدول الصديقة تقليدياً للإتحاد السوفياتي السابق كالهند مثلاً، وبنت علاقات مع أصدقاء جدد في أميركا الجنوبية كالبرازيل وغيرها، فبرزت سياسة خارجية جديدة من شأنها تمثيل وضمان مصالح روسيا.

ضمن هذه السياسة الجديدة، أجرى بوتين زيارة إلى الهند، مؤكداً دعم روسيا للهند بحقّها في الحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن. ويبدو أنّ روسيا كانت تسعى عبر هذه الطريقة إلى مواجهة التفرّد الأميركي بطريقة شرعية عبر لعبة مجلس الأمن، إذ لا شك أنّ دخول هكذا دول الى نادي الأعضاء الدائمين، سيحد من حرية حركة الولايات المتّحدة أو يصعّبها على الأقل، وطرحت روسيا كذلك على الهند زيادة التعاون

---

[90] محمد أبو النور، روسيا في مطلع القرن الحادي والعشرين: القضايا والآفاق في آفاق التحولات الدولية المعاصرة، تحرير وليد عبد الحي، دار الشروق، عمان، 2002، ص 127.

[91] معمر فيصل خولي، مرجع سبق ذكره، ص 66.

[92] محمود موسى، "السياسة التركية تجاه أرمينيا وأذربيجان، حسابات الربح والخسارة"، السياسة الدولية، القاهرة، العدد 182، تشرين الأول 2010، ص 135- 137.

العسكري بين البلدين، خاصة وأنّ الأخيرة تعتبر سوقاً كبيرة للسلاح الروسي،[93] ولعل هذا يفسّر حرص القيادة الروسية على تطوير العلاقات مع الهند، نظراً لموقعها الإستراتيجي في منطقة المحيط الهادئ.

إلا أن بعض يرى أنّ العلاقات الروسية الهندية لن تشهد تطوراً مثيراً نظراً لخيارات المناورة المحدودة المتاحة للدولتين، إنما سيقتصر الأمر إلى حد كبير على شراء الهند للأسلحة التي تحتاج إليها من روسيا، وشراء روسيا منها المواد الاستهلاكية كالشاي والأغذية الأخرى الرخيصة. وهذا يناسب الدولتين إذ أن كلتاهما بحاجة ماسة إلى أسواق أجنبية.[94] إلا أنه يبدو أنّ الهند غير مستعدّة لتفعيل علاقاتها إلى مستوى متقدّم مع روسيا، خاصة وأنّ علاقاتها بإسرائيل متقدّمة جدّاً، حيث تهدف من تعاونها مع إسرائيل إلى تطوير وتحديث قدراتها العسكرية في مواجهة باكستان، كما تنظر الهند إلى إسرائيل باعتبارها البوّابة إلى الولايات المتحدة، والتي تسعى الهند إلى توثيق علاقاتها بها في المجالات كافة.[95] إنّ حلفاً مع روسيا سيفقد الهند عنصر إسرائيل الذي لا يمكن الإستغناء عنه في هذه المرحلة، كما أنّ الهند ترى أنّ موسكو هي أقرب إلى الصين منها، لذلك تحاول إحداث نوع من التوازن في العلاقات لا سّيما وأنّ الصين مرشّحة للصدام مع الهند مستقبلاً، فإذا كانت موسكو تأخذ منحى الصين، فعلى الهند الإستعانة بالولايات المتّحدة.[96]

أما بالنسبة للبرازيل، فقد قام الرئيس بوتين بزيارة إليها في شهر تشرين الثاني 2004 على اعتبار أنّ البرازيل تشكّل رأساً قيادياً للدول المهمّة المعارضة للنفوذ الأميركي في أميركا اللاتينيّة. ودعم بوتين حق البرازيل في الحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن، وتمّ الاتفاق على زيادة التعاون الروسي البرازيلي على الصعيد النووي واعتبرت روسيا في تصريح لبوتين أنّ البرازيل يحقّ لها تطوير قدراتها النووية السلميّة. هذا وتعتبر روسيا أنّ تعاوناً كبيراً مع البرازيل يعني دخول كل من فنزويلا وكوبا ومعظم دول أميركا اللاتينيّة في هذا الإطار على اعتبار أنّ البرازيل، كأكبر نفوذ سياسي واقتصادي بالمنطقة، بوسعها جرّ الجميع معها خصوصاً أنّها تحاول مواجهة النفوذ الأميركي في أميركا الجنوبيّة. إذ أنّه و عقب نجاح داسيلفا في إنتخابات الرئاسة

[93] نورهان الشيخ، "هل تتّجه روسيا إلى استعادة دورها العالمي"، ملف الأهرام الإستراتيجي، العدد 106،أكتوبر 2003، المجلّد التاسع، الموقع الإلكتروني: http://www.ahram.org.eg/acpss/ahram/2001/1/1/FI1E11.HTM (دخول 13 تشرين أول 2015).

[94] "العلاقات الروسيّة الهنديّة"، وكالة الأخبار الاسلاميّة (نبأ)، الموقع الإلكتروني: http://www.islamcnews.net/Common/ViewItem.asp?DocID=49875&TypeID=2&ItemID=322 (دخول 16 تشرين أول 2015).

[95] أحمد طاهر، "العلاقات الهنديّة الإسرائيليّة و تداعيات 11 سبتمبر"، السياسة الدوليّة، القاهرة، نيسان 2002.

[96] علي حسين باكير، عالم متعدد الأقطاب: روسيا تتحدى تفرد الولايات المتحدة الأميركية، مرجع سبق ذكره، ص 90.

البرازيلية تصاعدت الحملات الرافضة في الولايات المتحدة لوصوله إلى الحكم محذّرة من خطورة تولي يساري رئاسة أكبر دولة في أميركا اللاتينية على الأمن والاستقرار في المنطقة.[97]

وبالتالي فإن نجاح روسيا في تفعيل علاقاتها مع البرازيل، يعني أنّها نجحت في اختراق الحديقة الخلفيّة للولايات المتّحدة وهذا يعدّ ضربة كبيرة لنفوذ الأخيرة هناك، خاصة أنّ البرازيل على خلاف كبير مع الولايات المتّحدة حول العديد من القضايا أبرزها إقامة منطقة تجارة حرّة بين الأميركيتين والتي تتبنّاها أميركا وترفضها البرازيل، والخلاف حول إدارة الأمن الإقليمي لأميركا الجنوبيّة. [98]

نظرياً إن هذه المحاور تتلاقى مع السياسة روسيا في مواجهة أميركا، إلا أنّ التعاون مع البرازيل لم يصل إلى مراحل متقدّمة، حيث يبدو من المستبعد حصول تقارب سريع بين الدولتين لعدة اعتبارات، منها الروابط الوثيقة بين الولايات المتحدة والدول التي تشكل التجمعات الإقتصادية في أميركا اللاتينية، والتي تضم البرازيل أيضاً، كتجمّع دول أمريكا اللاتينية والكاريبي "سيلاك" واتحاد دول أمريكا الجنوبية، أضافة الى أن البرازيل لم تبدِ أي استعداد للتخلي عن التعاون العسكري مع الولايات المتحدة، حتى في خضم الأزمة بين البلدين التي نشأت عقب فضيحة التجسس الأميركي على رئيسة البرازيل خلال العام 2013.

إلا أن المستقبل يمكن أن يحمل بعض التغيرات، على ضوء تطوّر علاقات البرازيل مع دول مجموعة BRICS. وفي هذا الصدد يقول خوسيه لويز فيوري أستاذ الاقتصاد السياسي الدولي بجامعة ريو دي جانيرو الفدرالية "أن المكانة القيادية الجديدة للبرازيل في أمريكا الجنوبية وقرارها عدم مواءمة نفسها بشكل تلقائي مع الولايات المتحدة على الصعيد الدولي ظهرا في رد فعل البرازيل على حدثين كبيرين وقعا في عام 2014، الأول صمتها بشأن الأزمة الأوكرانية والثاني تنديدها الشديد بالإجتياح البري الإسرائيلي لغزة، ما سلط الضوء على السياسة الخارجية الأكثر استقلالاً التي تتبعها البرازيل"،[99] والمتوائمة الى حد كبير مع توجهات السياسة الخارجية الروسية.

ج- <u>الحضور الروسي في أميركا الجنوبية.</u>

نظراً لأن موسكو لا تستطيع مواجهة الحلف الأطلسي على كافة جبهات حديقتها الخلفية في آسيا الوسطى وأوروبا، فإنها تناور في المقابل بطريقة عكسية بأن تذهب بنفسها الى حديقة الخلفية للولايات المتحدة بالعودة

---

[97] رضا محمد هلال، " البرازيل-أميركا: مستقبل العلاقات"، السياسة الدولية، القاهرة، العدد 151، كانون الثاني 2003، ص198.

[98] المرجع السابق ص 196-198.

[99] "البرازيل والولايات المتحدة تتجاوزان خلاف التجسس ولكن علاقاتهما لازالت متباعدة"، الموقع الإخباري العربي، 2015/04/09، الموقع الإلكتروني: http://arabic.news.cn/world/2015-04/09/c_134137185.htm (دخول 12 تشرين أول 2015).

الى مياه الكاريبي ودول أميركا اللاتينية. إلا أن التواصل الجغرافي لا يشكل في الحالة الروسية عاملاً مساعداً لها، كما هو الحال بالنسبة الولايات المتحدة، التي إستفادت من وجودها في كل من أوروبا الغربية وتركيا لتحقيق التماس الفعلي مع مناطق اهتمامها في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى والقوقاز. في المقابل يشكل عامل البعد الجغرافي وعدم الإتصال الإستراتيجي عامل إعاقة في تحقيق روسيا النجاح الذي حققته الولايات المتحدة في نفس الإطار.[100]

وتعتبر فنزويلا بوابة الحضور الروسي الرئيسية التي تهدد نفوذ الولايات المتحدة في أميركا اللاتينية، حيث استفادت روسيا من مواقف الزعيم هوغو تشافيز المناهضة للولايات المتحدة، ووقعت معه عدة اتفاقيات إقتصادية وعسكرية، عادت بموجبها روسيا الى البحر الكاريبي عبر عدد من القطع البحرية مدعومة بقاذفتين استراتيجيتين استقرتا في القاعدة الجوية في ليبيرتادور في فنزويلا.[101]

تابعت الولايات المتحدة ما يجري في حديقتها الخلفية بقلق خاصة بعد أن أصبحت قناة بنما التي أنشأتها الولايات المتحدة ممراً لقطع الأسطول الروسي وآلت إدارتها الى شركة صينية.[102] بالإضافة الى فنزويلا، شكلت كوبا إحدى البوابات القديمة الجديدة لروسيا في منطقة الكاريبي، حيث وقع البلدان عدة اتفاقيات الإقتصادية، كان أهما السماح لشركات النفط الروسية التنقيب عن النفط في مياه الخليج المكسيكي.[103]

بالرغم من أن البعض ما زال يستخف بالخطوات الروسية باتجاه أميركا اللاتينية والكاريبي، باعتبار أن قطع الأسطول الروسي لا تشكل خطراً حقيقياً على أمن الولايات المتحدة بقدر ما تشكل خطراً على البحارة الروس الذين تحاصرهم مخاطر الغرق، مثل ما حدث للغواصة النووية كورسك عام 2000"،[104] فإنه من الخطأ الإعتقاد أن الولايات المتحدة الأميركية تقف موقف المتفرّج من الإستعراضات الروسية في حديقتها الخلفية، فبالرغم من التقييم الجيوسياسي أن روسيا تلعب في الحديقة الخطأ، يمكننا وضع التطورات الإيجابية الحاصلة ما بين الولايات المتحدة وكوبا في خانة الرد الأميركي على محاولات الإختراق الروسية، حيث تم في الآونة

---

[100] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 97.

[101] المرجع السابق.

[102] “A sea change in the Caribbean”, Investor’s Business Daily, May 12, 2008, http://news.investors.com/120508-452055-a-sea-change-in-the-caribbean.htm?p=full (accessed November 12,2015)

[103] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 98.

[104] ليليا شيفتسوفا، مرجع سبق ذكره، ص 149، أنظر أيضاً:

“Russian’s interest in South America should alert the US”, Los Angeles Times. November 26, 2008, http://www.latimes.com/opinion/editorials/la-ed-medvedev26-2008nov26-story.html (accessed November 12, 2015).

الأخيرة إعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين البلدين منذ ستينيات القرن الماضي، بالإضافة الى تبادل السفراء وبدء العمل على تطبيع العلاقات بين الجارين اللدودين.

د- رؤية جديدة للعلاقات مع الولايات المتحدة: صراع مصالح ونفوذ.

تعدَّدت تعاريف الصراع الدولي ومفاهيمه بتعدد الكُتاب والباحثين، التي إتفقت على إعتبار الصراع تنافس أو صدام من أجل تحقيق الأهداف، إلا أنه يبقى مختلفاً عن الحرب شكلاً ومضموناً. ففي الوقت الذي تتنوع فيه مضامين الصراع ومظاهره، ترتبط الحرب أساساً بحالة الإلتحام العسكري المباشر. ولذلك يفترض مشهد الصراع أن العلاقات الأميركية الروسية تتسم بالصراع، الذي لم يصل الى الصدام العسكري بينهما.

الصراع في العلاقات الأميركية الروسية هي مسألة تاريخية، فالهيبة والشموخ التي كانت موجودة لدى الدولتين خلال الحرب الباردة، لا تزال ترصد في مواقف وقرارات السياسة الخارجية للدولتين، على الرغم من التغيّرات التي طرأت على سياسة روسيا الإتحادية إزاء التحول من الطابع الأيديولوجي السوفياتي الى الطابع البراغماتي المصلحي في روسيا ما بعد الحرب الباردة.[105] وتسعى روسيا الى تحقيق مصالحها الإستراتيجية، وتوطيد هيبتها الدولية مقابل سياسة الإحتواء القديمة الجديدة التي تحاول الولايات المتحدة إستخدامها لكبح تعاظم مكانة روسيا إقليمياً ودولياً. في الواقع، إن روسيا منذ أيام بطرس الأكبر تجد صعوبة في التصالح مع الغرب، أي أنها ترفض سيطرة أميركا وأوروبا عليها، ليس بمعنى القوة أو الحرب، بل بالمفاهيم الثقافية وطرق الحكم والإدارة وسياسة الناس.[106]

(1)- **أهم ميادين الصراع: حماية الأمن القومي.**

تتمحور أهم ميادين الصراع المتجدد بين الأميركيين والروس حول مرتكزات أساسية تعتمدها الدولتان كمؤشر لقياس هيبتها على الصعيدين الدولي والإقليمي. ويعتبر حفظ الأمن القومي من أهم مرتكزات السياسة العامة في كلا الدولتين، مع اختلاف النظرة الى ماهيته على جانبي الصراع، ففي حين ترى موسكو أن التفرد الأميركي في القرار الدولي وسعي الولايات المتحدة الى توسيع حلف شمال الأطلسي ومحاولات الإحتواء الجديدة ومشروع الدرع الصاروخي الأميركي/ الأوروبي تهديداً مباشر لأمنها القومي، ترى الولايات المتحدة من جانبها أن دعم روسيا لمحور دول "الشر" وسعيها للسيطرة على موارد النفط والغاز في وسط آسيا واحتكار أسواق الطاقة في أوروبا تهديداً مباشراً لأمن الطاقة وبالتالي تهديداً لأمنها القومي.

---

[105] طارق ذنون الطائي، مرجع سبق ذكره، ص 243.

[106] جورج سمعان، " سورية بين نظرية بريماكوف وهجوم بوتين"، جريدة الحياة، عدد 21 أيلول 2015، الموقع الإلكتروني: http://www.alhayat.com/Opinion/Abdullah-nasser-Al-Othiabi (دخول 16 تشرين الثاني 2015).

في هذا السياق، أدركت روسيا خطر السياسة الأميركية على مصالحها، فالوجود العسكري الأميركي في منطقة الخليج وأفغانستان والعراق وفي بعض جمهوريات آسيا الوسطى كان بمثابة تطويق شامل لها، ويتكامل مع محاولات توسيع حلف شمال الأطلسي في أوروبا، وهذا ما حتّم على القيادة الروسية القيام بدور أكثر فعالية في مواجهة السياسة الأميركية، من خلال السير بخطى ثابتة ولو بطيئة لاستعادة بعض مواقع النفوذ التي فقدتها روسيا إثر تفكك الإتحاد السوفياتي، وتصحيح الخلل في التوازن الدولي الى علاقة متكافئة في إطار نظام متعدد الأقطاب ينهي التفرد الأميركي في إدارة الشأن الدولي.[107]

امتازت السياسة الخارجية لروسيا إجمالاً بمطالبتها باحترام القانون الدولي الذي تعده الأساس والمرجع لتنظيم العلاقات الدولية، والعمل على إقامة عالم متعدد الأقطاب،[108] وقد رمت هذه السياسات الى تعزيز قوة روسيا الإتحادية في توازنات القوى الدولية، من خلال مقارعة سياسة الولايات المتحدة تجاها ضمن إطار سعيها الدائم الى محاصرة أي دور روسي عالمي أو إقليمي، وهذا ما دفع بالقادة الروس الى اتهام الولايات المتحدة بمحاولة تطبيق سياستها القديمة الجديدة المرتكزة على استراتيجية الإحتواء[109] تجاه الإتحاد الروسي، لضمان عدم ظهور دور دولي جديد وفاعل لروسيا الإتحادية في السياسة الدولية.

(2)- <u>الأمم المتحدة: الوجهة الأخرى للصراع.</u>

شكلت منظمة الأمم المتحدة ميداناً مهماً للصراع الروسي الأميركي المتجدد، في ظل جدلية واضحة برزت بين النظام الدولي المستجد بعد تفكك الإتحاد السوفياتي من جهة، والتنظيم الدولي القائم من جهة أخرى. مع اهتزاز توازنات النظام الدولي لصالح الولايات المتحدة، إهتز كذلك مدى إلتزام الأخيرة بالمواثيق الدولية. فالخلل في موازين القوى الذي نتج عن إنتهاء الحرب الباردة أدى الى خلل في عمل منظمة الأمم المتحدة التي خضعت الى هيمنة القوة العظمى الوحيدة المتبقية في العالم، ودخلت قراراتها في فلك هيمنة القطب الواحد، ما أدى الى تراجع مصداقيتها ودفع باتجاه تزايد الطلب لإصلاح المنظمة، في ظل تأكيد روسي على أهمية دور الأمم المتحدة وعلى أولوية القانون الدولي في ظل شعورها المتزايد بأنها متضررة من الوضع الدولي المستجد الذي فرضته الأحادية الأميركية. من هنا يمكن إدراج الطلب الروسي لتفعيل دور الأمم

---

[107] نورهان الشيخ، "العلاقات الروسية- الأوروأطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الإستراتيجية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 70، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2007، ص 50.

[108] لمى مضر الأمارة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 206-207.

[109] John Lewis Gaddis, Strategies of Containment: A Critical appraisal of American National Security Policy during the Cold War, (New York: Oxford University Press, 2005), 24.

المتحدة لاستخدام الأخيرة كرافعة لتجاوز تراجع دور روسيا العالمي من خلال الإستفادة من عضويتها الدائمة في مجلس الأمن بهدف صون مصالحها والدفاع عنها، وإعادة إحياء لعبة التوازن مع الولايات المتحدة.[110]

وتتضح جدلية العلاقة بين النظام والتنظيم الدوليين التي تتأثر مباشرة باختلاف رؤية الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، خاصة روسيا والولايات المتحدة، فرؤية كل من الدولتين لإصلاح الأمم المتحدة ودورها في السياسة الدولية هي انعكاس لمكانة الدولتين في النظام الدولي، كما أن مستقبل هذه الرؤية مرهون بتعزيز مكانة روسيا، كما أنها مرهونة برؤية الدولتين للآخر.[111]

شكّل النظام الدولي بما يمثل من نمط للتفاعلات بين الفاعلين الدوليين، ميدان صراع مستجد بين روسيا والولايات المتحدة، خاصة بعد تعافي الأولى من مشاكلها الداخلية والبدء بالتطلع ناحية تجديد دورها على الساحة الدولية. عند تفكك الإتحاد السوفياتي اضطرت روسيا أن تتخلى عن مكانتها بوصفها دولة كبرى نظراً للمصاعب الإقتصادية والسياسية التي واجهتها، إلا أنه مع تحسن الأوضاع الإقتصادية واستقرار السياسة الداخلية، إتجهت روسيا بوتين الى إعادة تثبيت سياستها الخارجية بقوة، واستعادت مكانتها الدولية بوصفها قوة كبرى.[112] ومن منتصف التسعينات من القرن الماضي سعت روسيا لوضع تصوراً استراتيجياً يتعلق بهيكل القوة في النظام الدولي، وأعلنت معارضتها صراحة لهيمنة قوة واحدة عليه في إشارة واضحة للولايات المتحدة الأميركية.[113] وقد ساعد روسيا ظهور قوى دولية ذات قدرات تنافسية على الصعيد الإقتصادي والتكنولوجي، في وقت تجاوزت طبيعة القوة الدولية الجديدة القيد العسكري، حيث أصبح بإمكان القوة الإقتصادية التقنية أن تؤثر في مجالات دولية واسعة، وهذا ما عزز موقع كل من ألمانيا واليابان وروسيا في النظام الدولي.[114]

إن الرغبة الروسية لتطوير عمل الأمم المتحدة وسعيها الحثيث لعالم متعدد الأقطاب يستند الى مقومات قوة حقيقية، حيث يمكن تلّمس ذلك في المجالات الإقتصادية والسياسية، إذ كان التعامل الواقعي مع الأزمة الشيشانية ومن ثم الإستخدام الفاعل للمزج بين الدبلوماسية والقوة في التعامل مع الأزمة الجورجية[115] والأوكرانية لاحقاً، الأثر الواضح في محاولة روسيا إنهاء التفرد الأميركي في الشؤون الدولية. وتؤكد أدبيات

---

[110] لمى مضر الأمارة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 239.

[111] Thomas Graham, Resurgent Russia and US Purposes, (Washington: The Century Foundations, 2009), 6 –7.

[112] وليم نصّار، "روسيا قوة كبرى"، مرجع سبق ذكره، ص 46.

[113] نورهان الشيخ، "الإستمرار والتغيير في السياسة الروسية تجاه العراق (في فترة ما بعد الإحتلال الأميركي)"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 24، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص 53.

[114] فوزي حسن حسين، الصين واليابان ومقومات القطبية العالمية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2009، ص 44.

[115] Robert. E. Hamilton, Russia's Strategy in the war against Georgia, The center for Strategic and International Studies, Critical question, August 14, 2008, 1–2.

السياسة الروسية محاولات الأخيرة المتعددة لإصلاح النظام الدولي بجعله عالم متعدد الأقطاب بالتعاون مع قوى أخرى كالصين وغيرها، وقد لحظت وثيقة الإستراتيجية الأمن القومي الروسية حتى العام 2020 بأن أولويات روسيا "إقامة عالم متعدد الأقطاب مكان نظام القطب الواحد وإنهاء الهيمنة الأميركية".[116]

كما وتعتبر قضية توسيع حلف شمال الأطلسي من القضايا الملحّة في علاقات الدولتين، ففي حين أملت روسيا أن ينتفي الهدف من بقاء حلف شمال الأطلسي بعد حل حلف وارسو، إلا أن الولايات المتحدة كانت تسعى إلى تفعيل الحلف وتوسيعه ليضم دول وسط وشرق أوروبا وبعض جمهوريات الإتحاد السوفياتي السابق،[117] وإسناد مهام جديدة له لطالما إعتبرت من صلاحيات الأمم المتحدة، وهذا ما حدى بروسيا إلى إعتبار السياسة الأميركية كمصدر خطر على مصالحها، وقد أدركت أن الوجود العسكري الأميركي في منطقة الخليج العربي وأفغانستان وفي بعض جمهوريات آسيا الوسطى، هو بمثابة تطويق شامل للحدود والمصالح الروسية، يتكامل ذلك مع تمدد حلف شمال الأطلسي (NATO) ونشر الدرع المضادة للصواريخ في دول أوروبا الشرقية.[118]

هـ-<u>قدرة التأثير الروسية في السياسة الدولية: عالمية أو إقليمية.</u>

تعلم القيادة الروسية أن قدرة التأثير في السياسة الدولية يلزمها التصرف بحكمة لتخطي المنزلقات الخطرة التي يمكن أن تنجر إليها، كما تعلم في المقابل أنه لا بد من الحزم عند منعطفات قد تمس بالأمن القومي أو المدى الإقليمي الحيوي. إنطلاقاً من هنا، يمكن مقارنة الفعالية والحزم في ردات الفعل تجاه الأزمات المتعددة التي واجهتها القيادة الروسية قياساً لما مثّلته هذه الأزمات من مخاطر على الأمن القومي الروسي. وعلمت القيادة الروسية كذلك أن القدرة على التأثير عالمياً لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال تأكيد قدرتها على التأثير في الأقاليم المجاورة لها أولاً. ويمكن التدقيق في نجاحات روسيا في هذا المجال من خلال سياساتها في مجال الطاقة وطريقة تعاملها مع الأزمة الجورجية العام 2008، وتلك الأوكرانية بدءاً من العام 2013.

---

[116] Marcel de Haas, Medvedev's security policy: A provisional assessment, Russian analytical digest, No. 62, 18 June, 2009, p3.

[117] Stratfor Global Intelligence, Russia's Expanding Influence, 8 March, 2010, https://www.stratfor.com/analysis/russias-expanding-influence-introduction-targets (accessed December 10,2015).

[118] أحمد دياب "روسيا والغرب: من المواجهة إلى المشاركة"، السياسة الدولية، العدد 149، القاهرة، حزيران 2002، ص 172.

(1)- سياسات الطاقة: احتكار وهيمنة.

تنفيذاً لأهدافها الإستراتيجية المتمثلة باسترجاع أمجاد الإتحاد السوفياتي السابق، عملت القيادة الروسية على بناء قدرات البلاد الإقتصادية باستغلال الثروات الباطنية كرافعة أساسية وسريعة لعملية الإنبعاث الإقتصادي، وقامت بإتخاذ مجموعة من الإجراءات بهدف تعزيز مكانتها في سوق الطاقة العالمي، من خلال التعاون والتنسيق مع كبار منتجي الطاقة لتنمية الصادرات الروسية من النفط والغاز لمختلف الأسواق، وفي مقدمتها الإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، حيث من المتوقع أن يغطي الغاز الروسي في عام 2020 حوالي 70% من إحتياجات القارة الأوروبية.[119]

أثار النفوذ النفطي المتزايد لروسيا في سوق الطاقة العالمي مخاوف واشنطن من إستخدام إمدادات النفط كسلاح سياسي على ضوء رفض روسيا السماح للإستثمارات الغربية المشاركة في تطوير قطاعها النفطي، والجدير بالذكر في هذا السياق أن شركة غازبروم التي تحتكر الغاز الطبيعي في روسيا تورد وحدها نحو ربع احتياجات اوروبا من الغاز والنفط، الأمر الذي يثير بعض المخاوف الأوروبية من تسييس قضايا الطاقة وتحويلها إلى ورقة ضغط سياسية بيد موسكو.[120] إلا أن التعديل الذي طرأ في أيلول من العام 2015 على القوانين الروسية، سمح للشركات الأجنبية تطوير ما يسمى بالحقول الاستراتيجية في روسيا، إذا ما اكتشفتها بنفسها، على ما ورد في صحيفة " فيدوموستي" الإقتصادية الروسية.[121] إلا أن العقبة تبقى في تحديد ما المقصود بالحقول الإستراتيجية، ومن سيحدد إذا ما كانت الحقول المكتشفة استراتيجية أم لا، ما يمكن أن يشكل عائقاً مقصوداً لفرملة الهجمة الإستثمارية الخارجية من جهة، وللقول أن القوانين الروسية تتماشى مع الطلب الأوروبي الداعي الى فتح الحقول الروسية للإستثمارات الأجنبية من جهة أخرى.

الى ذلك، تبقى محاولات روسيا للهيمنة على سوق الطاقة الأوروبي عرضة للإختراق، فقد ذكرت صحيفة " غازيتا. رو" الإلكترونية الروسية، بأن مصانع تكرير النفط الأوروبية بدأت تشتري النفط من المملكة العربية السعودية، حيث شهدت الأشهر الأخيرة من العام 2015 إقبال شركات النفط الغربية على زيادة مشترياتها من نفط السعودي. وذكرت المصادر " أن المملكة العربية السعودية بدأت ببيع نفطها في بولندا، وبأسعار إغراق. وذكر ألكسندر باسيتشنك رئيس قسم التحليل في صندوق أمن الطاقة القومي الروسي أن الأمر يرتبط بممر

---

[119] نورهان الشيخ، "العلاقات الروسية- الأوروأطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الإستراتيجية"، مرجع سبق ذكره، ص 46- 55.

[120] دويتشه فيله، " تقارب أوروبي روسي بخصوص التعاون في قطاع الطاقة"، 2006/10/21، الموقع الإلكتروني: http://www.dw.com/ar (دخول 14 كانون الأول 2015).

[121] آنا كونتشما، "روسيا تسمح للأجانب بالاستثمار في قطاع الثروات الطبيعية الضخمة"، موقع روسيا ما وراء العناوين، 2015/09/03، الموقع الإلكتروني: http://arab.rbth.com/author (دخول 14 كانون الأول 2015).

لوجستيّ جديد، مضيفاً أن ميناء غدانسك البولندي بدأ يستقبل شحنات النفط السعودية، ما يشكل بعض المخاطر بالنسبة لروسيا."[122] وبحسب التقديرات فإنه من الممكن أن تخسر روسيا في العام 2016 ثلث كمية صادراتها النفطية الى أوروبا في ظل النشاطات السعودية المتزايدة، الى احتمال دخول النفط الإيراني كعامل سلبي إضافي، عندما ترفع العقوبات فعلياً عن إيران. ومن المنطقي أن يؤدي التنافس على السعر في السوق الأوروبية إلى خفض سعر النفط الروسي، أو إلى خسارة روسيا لنسبة من حصتها في هذه السوق.[123]
ويبقى السؤال المهم حول المدة التي ستستطيع خلالها روسيا الإستمرار في فرض هيمنتها على توريد الطاقة الى أوروبا وغيرها من المناطق الأخرى، وهل سينجح روسيا في وضع اليد على الإحتياطات النفطية الجديدة المكتشفة حول أوروبا، كالقطب الشمالي مثلاً؟

خلص العلماء إلى اعتقاد مفاده أن الاستكشافات النفطية في القطب الشمالي ربما تمثل شرقاً أوسطاً ثانياً باحتياطات نفطية تمثل، وفق التقديرات، ما يتراوح من 17–30% من احتياطي النفط العالمي.[124] فعلى سبيل المثال، أوضح تقييم مسحي جيولوجي أجرته الولايات المتحدة في العام 2008 أن هناك 90 مليار برميل نفطي على الأقل و44 مليار برميل غاز طبعي مسال في القطب الشمالي. ولعل تلك الحقيقة هي ما دفعت دولاً كثيرة إلى التواجد وبقوة حول الأراضي المتنازع عليها. ففي 2014، أعدت روسيا بصورة رسمية وثائق لتعزيز مطالبها بأحقيتها في المياه والأراضي في القطب الشمالي كي تتمكن من تأمين النفط الذي تزخر به المنطقة، واحتفى الروس بالخطط وكأنها سباق آخر إلى الفضاء أو حتى حرب باردة جديدة.[125]
وبدء من العام 2013، أكد فلاديمير بوتين على قناعته التامة بأن كل القطب الشمالي جزء من روسيا بالفعل. وقال بوتن في هذا الوقت: "القطب الشمالية، وعلى نحو غير مشروط، هو جزء لا يتجزأ من روسيا الإتحادية التي تقع في نطاق سيادتنا منذ قرون عدة."[126]

في هذا الإطار، روسيا ليست الوحيدة التي كشفت عن أطماعها في نفط القطب الشمالي، فالدانمارك تطالب بحقوقها هناك أيضاً، ما دفع موسكو إلى القيام بمحاكاة غزو عسكري ضد الدانمارك، ما ينذر بخطر شديد لكون الدنمارك عضو في حلف شمال الأطلسي. كذلك تظهر كل من كندا والنرويج اهتماماً بأحقيتها في نفط

---

[122] آنا كونتشما، "هل يخوض النفط الروسي معركة أوروبا؟"، موقع روسيا ما وراء العناوين، 2015/10/22، الموقع الإلكتروني: http://arab.rbth.com/author (دخول 14 كانون الأول 2015).

[123] المرجع السابق.

[124] محمد البرقوقي، " نفط القطب الشمالي ينذر بحرب عالمية ثالثة"، الموقع الإلكتروني : http://www.masralarabia.com/ (دخول 13 كانون الأول 2015).

[125] محمد البرقوقي، " نفط القطب الشمالي ينذر بحرب عالمية ثالثة"، مرجع سبق ذكره.

[126] المرجع السابق.

القطب الشمالي، وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يتوقع أن تستأنف شركة " شل" النفطية عمليات التنقيب عن النفط قرب ألاسكا. وكان الرئيس أوباما قد أطلق في 2013 الإستراتيجية القومية القطبية التي تجعل القطب الشمالي أولوية عسكرية إستراتيجية.[127]

ويعود جزء كبير من التوتر بين روسيا وبقية الدول المطلة على القطب الشمالي (الولايات المتحدة وكندا والدنمارك والنرويج) الى أنه لم يتم بعد تحديد الوضع القانوني لتقاسم ثروات هذه المنطقة. فلو طبق عليه قانون البحار الدولي الصادر عن الأمم المتحدة عام 1982 سيسمح ذلك لكل دولة بحدود 370 كلم فقط أمام الجرف القاري لسواحلها وترك ما خارج ذلك كمناطق مفتوحة للإستخدام الدولي وهي منطقة تبلغ مساحتها 1،7 مليون كلم^2.[128] في العام 2009 اتفقت دول الإقليم على تطوير مبدأ قانون البحار الدولي بأن يسمح لكل دولة بأن تتوسع في امتداد منطقة الجرف القاري إذا ما كان امتداد جيولوجي في المحيط القطبي. وتعوّل روسيا على مثل هذا التفاهم في اكتساب مزيد من الثروات في المحيط القطبي نظراً لتوقع وجود اتصال جيولوجي بين سلسلة جبال لومنوسوف ومندلييف المترامية في قاع المحيط القطبي والجرف القاري السيبيري. في المقابل تؤكد كندا أن الجبال المشار إليها لا تتصل بالساحل السيبيري بل بالساحل الكندي، أما النروج فقد خصصت ما يقرب من 40 مليون دولار لرسم خرائط لمنطقة القطب الشمالي للتحقق من أن ثروات المحيط القطبي متصلة جيولوجياً بالجرف القاري لجزيرة غرينلاند التابعة لها.[129] ومن المتوقع أن يتطور التنافس الإقتصادي في هذه المنطقة الى تنافس عسكري مع استعداد كل من الولايات المتحدة وروسيا الى عسكرة الإقليم وإعلان كندا نيتها إنشاء قاعدتين عسكريتين لحماية مصالحها في الإقليم.[130]

إزاء هذا الواقع، فمن المتوقع أن ترتفع حدة التنافس على ثروات القطب الشمالي، مع الأخذ بعين الإعتبار أن الذي يتحكم بالقطب الشمالي، سيتحكم مستقبلاً بالشريان الأساسي لحركة المواصلات العالمية.[131] إن التصميم الروسي في هذه المسألة يبدو جدياً على ضوء معلومات تحدثت عن نشر موسكو في خريف 2015 آلاف الجنود في القطب الشمالي، وقد تبدو تلك الخطوة تحولاً استراتيجياً في شمال أوروبا،[132] وتدل على تنبه

---

[127] محمد البرقوقي، " نفط القطب الشمالي ينذر بحرب عالمية ثالثة"، مرجع سبق ذكره.

[128] Dimitri Trenin, The end of Eurasia on the border between geopolitics and globalization, (Washington: Carnegie, endowment for international peace, 2002), 141.

[129] Geotimes, Cold wars: Russia claims Arctic land, August 01, 2007, http://www.geotimes.org/aug07/article.html?id=WebExtra080107.html (accessed December 12,2015).

[130] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 64.

[131] سهيل فرح، "الجيوبوليتيك الروسي مصدر القوة والضعف"، مرجع سبق ذكره، ص 29.

[132] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 64.

القيادة الروسية لأهمية هذه المنطقة من الناحية الإقتصادية والأمنية كذلك، إذ أن دخول قوى أجنبية إليها بحجة المسح والتنقيب ستشكل نقاط ضعف في الهيكلية الدفاعية والأمنية للجبهة الشمالية لروسيا، ما سيسمح باستخدام منصات التنقيب كمنصات تجسس ومراقبة.

(2)- <u>القدرة العسكرية لفرض الحلول: الأزمة الجورجية كمثال.</u>

شكلت الأزمة الجورجية تحدياً آخر لقدرة روسيا على التأثير في محيطها الإقليمي القريب. في الأساس تعود جذور الأزمة الجورجية الحالية الى الإختلاف العرقي ما بين الجورجيين والأبخاز الموجودين في إقليم أبخازيا الواقع على الساحل الشرقي للبحر الأسود في جورجيا. المقاومة الأبخازية للجورجيين قديمة العهد، وقد ساهمت أعمال القمع الكبيرة التي قادها ستالين ضد الأبخاز إبان الحقبة الستالينية للإتحاد السوفياتي، وهو جورجي الأصل، الى ترحيل الآلاف منهم عن ديارهم وتوطين الجورجيين مكانهم في شريط يفصل بين جبال القوقاز الغربية والبحر.[133] خلال ثمانينات القرن الماضي، بدأ القوميون الأبخاز تحركاتهم من جديد، حيث تظاهر العام 1989 الآلاف، مطالبين بالإنضمام الى روسيا.

في العام 1990 ألغت جورجيا المناطق السيادية التي تتمتعت بها كل من أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا منذ إلحاقها بجورجيا أيام الحكم الستاليني، وعمدت الى اجتياح أوسيتيا الجنوبية وسحق العاصمة تسخينفالي وأفرغت من سكانها.[134] وفي نفس الوقت الذي كانت جورجيا تطالب بانسحاب القوات الروسية الموجودة على أراضيها، أعلن الأبخاز فيها حرب استقلالهم عنها في صيف 1992 مطالبين مجدداً بإنضمامهم الى روسيا.

استغلت روسيا هذا الموقف الجديد، وبدأت بتدريب الأبخاز وتسليحهم لاستعادة السيطرة على عاصمتهم سوخومي التي خسروها لصالح القوات الجورجية،[135] وبدلاً من سحب القوات الروسية من أبخازيا أصبح وجود هذه القوات بنظر موسكو ضرورة أمنية كقوات فصل بين الأبخاز والجورجيين، حيث ثبتت موسكو بذلك موطئ قدمها في هذه المنطقة الإستراتيجية التي تؤمن حرية المناورة لأسطول البحر الأسود الروسي وتضمن استفادته من خدمات مرفأ سوخومي في أبخازيا من جهة، وتضع جورجيا تحت الضغط والمراقبة الشديدة للقوات الروسية المرابطة في القسم الأبخازي منها من جهة أخرى. إلا أن رياح التغيير التي بدأت تعصف بالعلاقات بين روسيا والغرب مع بداية القرن الحادي والعشرين، واندفاع الولايات المتحدة لتوسيع حلف شمال الأطلسي خلافاً لما اتفق عليه مع روسيا، بدأ يدغدغ أحلام القوميين الجورجيين للتخلص من الهيمنة الروسية

---

[133] "الصراع بين جورجيا وأبخازيا"، مجلة معلومات، المركز العربي للمعلومات، بيروت، العدد 59، تشرين الأول 2008، ص 31.

[134] نعوم تشومسكي، "أوسيتيا– روسيا– جورجيا: التفكير في اللامفكّر فيه"، مجلة معلومات، المركز العربي للمعلومات، بيروت، العدد 59، تشرين الأول 2008، ص 94.

[135] "الصراع بين جورجيا وأبخازيا"، مرجع سبق ذكره، ص 31.

الجديدة، وبدأت جورجيا وبدعم أميركي، بحسب الإدعاء الروسي، العمل على استعادة السيطرة على أراضيها الواقعة تحت السيطرة الروسية- الأبخازية- الأوسيتية.

ردة الفعل العنيفة من الجانب الروسي تجاه الأعمال العسكرية الجورجية ضد أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية في آب 2008 مع ما رافقها من توغل روسي كبير في الأراضي الجورجية، عكست في طياتها عوامل أعمق، بينها التصدي لتوسيع حلف شمال الأطلسي نحو الشرق، والغضب من مسائل تتراوح من استقلال كوسوفو الى وضع أنظمة دفاع صاروخية في أوروبا، وتأكيد مفهوم السيادة المحدودة للدول السوفياتية السابقة، وإظهار ثقة بالنفس وعدوانية جديدتان في الشؤون الخارجية على صلة وثيقة بشخصية بوتين ونظرته العالمية.[136]

لقد ظهر واضحاً أن الأزمة الجورجية تزامنت مع تحوير المهمة الأساسية لحلف شمال الأطلسي من مؤسسة تسعى لحماية أراضي الدول الغربية الى مؤسسة متحركة تسعى الى نشر الأيديولوجيا الليبرالية الغربية باتجاه الحدود السوفياتية السابقة، ما دفع بروسيا لتذكير الغرب أن اختراق محيطها القريب لن يمر بسهولة.[137]

أحدث الصراع بين روسيا وجورجيا تحولاً في العالم الجيوسياسي المعاصر مخلفاً نتائج مهمة على السلام والأمن في أوروبا وخارجها. وعكست هذه الأزمة الأخطاء الفادحة المرتكبة لا سيما الفشل في الضغط على الرئيس الجورجي للتخلي عن محاولة استعادة السيطرة الجورجية على أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، كما الفشل في قراءة الغضب الروسي من تراكم ممارسات الغرب منذ انتهاء الحرب الباردة.[138]

الرد العسكري الروسي في جورجيا أقلق الغرب المتفاجئ، وحث الدول الواقعة في المحيط القريب لروسيا للأخذ بعين الإعتبار الخطر الروسي المحتمل حيال أي تصرّف غير محسوب جيداً.[139] لقد شكل التدخل العسكري الروسي في جورجيا علامة فارقة جديدة، حيث أنها كانت المرة الأولى التي تستخدم فيها روسيا قواتها التقليدية ضد دولة أخرى منذ نهاية الحرب الباردة.[140]

في تحليل للأزمة الجورجية ونتائجها، يظهر جلياً نجاح السياسة الروسية في عدة مجالات، أهمها تأكيد قوة الحضور الروسي في منطقة القوقاز، وأدت الى تفاقم الإنقسام بين مكونات حلف شمال الأطلسي خلال قمة

[136] "العالم الجيوسياسي المعاصر في مرحلة ما بعد الدخول الروسي الى جورجيا"، مجلة معلومات، المركز العربي للمعلومات، بيروت، العدد 59، تشرين الأول 2008، ص 14.

[137] Patrick Porter, *The Global Village Myth. Distance, War, and the Limits of Power,* (London: Hurst and Company, 2015), 31.

[138] "العالم الجيوسياسي المعاصر في مرحلة ما بعد الدخول الروسي الى جورجيا"، مرجع سبق ذكره، ص 14.

[139] Roger N. McDermott, “Russia’s Conventional Armed Forces and the Georgian War”, in *Parameters* (Spring 2009): 65.

[140] Roy Allison, “The Russian Case for Military Intervention in Georgia: International Law, Norms and Political Calculation”, in *European Security* 18, No. 2 (2009): 172.

بوخارست في نيسان 2008، حول الموافقة على خطة لضم جورجيا الى الحلف أم لا. النجاح الأكبر الذي يمكن تسجيله لروسيا خلال هذه الأزمة هو إعادة طرح السؤال حول دور حلف شمال الأطلسي ومستقبله.

على المستوى الأوسع، أثارت الأزمة أسئلة مهمة عن قدرة الإتحاد الأوروبي والأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي على معالجة مسائل أساسية. ففي حين تحرّك القادة الأوروبيون للتوصل الى اتفاق لوقف إطلاق النار، عكس هذا عجزهم عن الرد بفاعلية على التحرك الروسي، كما أن مجلس الأمن المنقسم لم يصدر شيئاً حول الصراع، وأعادة أزمة الشكوك حول قدرة المجلس على معالجة أي مسألة تتضارب فيها مصالح الأعضاء الخمسة الدائمين. وفي إطار السعي الى تبرير أفعالها، اتخذت روسيا من مبدأ "مسؤولية الحماية" الذي وافقت عليه الأمم المتحدة كذريعة لتدخلها مساوية بين أفعالها وأفعال حلف شمال الأطلسي في يوغوسلافيا،[141] وترافق ذلك مع حملة واسعة قادتها موسكو لتوزيع جوازات سفر روسية على سكان أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية،[142] في حين اعتبرت سلطات الإتحاد الأوروبي أن توزيع الجوازات من قبل السلطات الروسية يعتبر إنتهاك لقواعد السيادة الدولية.[143] في النهاية أصبح 90% من سكان هاتين المقاطعتين من حملة جوازات السفر الروسية.[144]

وفي هذا السياق اعتبر الرئيس الروسي ديميتري ميدفيديف ان الإعتراف الروسي باستقلال كل من أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية الذي تلا توقف الأعمال العسكرية، لا يتعارض مع الأعراف الدولية، موضحاً أنه في حالة كوسوفو قال العالم الغربي أنها حالة خاصة، والحال في كوسوفو لا يختلف عما هو عليه في أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية، في إشارة واضحة الى اعتراف الدول الغربية على استقلال كوسوفو في شباط 2008.[145] واعتبرت موسكو أن اعترافها هذا يأتي كرد على العدوان الجورجي والأطلسي، وأن عضوية جورجيا للحلف سيشكل خطراً داهماً على روسيا كل من أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية.[146]

---

[141] "الملخص التنفيذي لتقرير مجموعة الأزمات الدولية"، ترجمة نسرين ضاهر، جريدة النهار، 2008/08/27.

[142] Andrey Illarionov, "*Another Look at the August War"*, Center for Eurasian Policy, Hudson Institute, Washington (September 12 2009,), 7.

[143] Independent International Fact-Finding Mission on the Conflict in Georgia, Report, Vol 2, (September 2009), 18.

[144] Edward Lucas, *The New Cold War, Putin's Threat to Russia and the West,* (London: Bloomsbury Publishing, 2014), 190.

[145] "ميدفيديف يعترف باستقلال أوسيتيا وأبخازيا"، جريدة السفير، العدد 11084، تاريخ 2008/08/27، ص 14.

[146] Anton Novoderzhkin, "*Georgia's NATO bid prompts new treaty between Abkhazia, Russia, says foreign minister,*" Tass Russian News Agency, October 25, 2014, http://tass.ru/en/world/756498 (accessed November 3, 2014).

أثبتت روسيا قدرتها من جديد، فبعد أن سحقت القوات الروسية جورجيا بسرعة، بات على العالم أن يعيد حسابات الجيو– استراتيجيا، إذ أثبتت روسيا بوتين أنها ليست روسيا يلتسن، وأن حلم السيطرة على جسر أوراسيا تحول الى كابوس بعد أن وضع القيصر الجديد حراسه على طرفي الجسر.[147] ويظهر أن الحرب الجورجية أعادت وضع روسيا على طاولة الأقوياء ما انعكس تراجعاً في الدور الأميركي بعد فشل السيطرة على ممر لأنابيب النفط والغاز التي تصل الى أذربيجان وآسيا الوسطى، والتي كانت الولايات المتحدة قد اختارت جورجيا كممر لها لتتجاوز كل من روسيا وإيران من جهة، ووضع حد لتوسيع حلف شمال الأطلسي شرقاً الذي وصفه جورج كينان في العام 1997 بأنه الخطأ الأكثر فداحة في السياسة الأميركية خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة.[148]

من أهم ما ولّدته الحرب الجورجية بداية اهتمام دولي بروسيا في مقابل تناقص للدور الأميركي، وهذا ما عبّر عنه الرئيس التركي لصحيفة الغارديان البريطانية عندما اعتبر أن الصراع في جورجيا يثبت عجز الولايات المتحدة عن تشكيل سياسات العالم بمفردها وعليها تقاسم السلطة العالمية مع الدول الأخرى.[149]

(3)– <u>أوكرانيا: إمتحان قدرة القطب العائد.</u>

بالنسبة لروسيا فإن السيطرة على ما كان يعرف بالاتحاد السوفياتي دون أن يترتب عليها أية مسؤوليات كانت على رأس أولويات الإستراتيجيات الروسية، وتعد أوكرانيا في هذا السياق العنصر الأساسي المفقود.[150] فأساس الأزمة الأوكرانية يبدو كصراع ما بين اتجاهين جيوسياسيين. روسيا من جهة تريد تحصين نفسها من خلال إنشاء عازل جغرافي يحيط بها، أما الولايات المتحدة فتسعى الى منع صعود أي قوى إقليمية قد تنافس هيمنتها. هذان التوجهان تصادما في أوكرانيا، التي من بين جميع دول الإتحاد السوفياتي السابق، تتمتع

---

[147] "أوراسيا، دببة بوتين الشرسة تحرس جسور القوقاز"، مجلة معلومات، العدد 59، تشرين أول 2008، المركز العربي للمعلومات، بيروت، ص 32.

[148] "أوراسيا، دببة بوتين الشرسة تحرس جسور القوقاز"، مرجع سبق ذكره، ص 96.

[149] Gulsah Gures, Security Dimension of Turkey's Relations with Russia: 2000– 2010, A Thesis Submitted to the Graduate School of Social Sciences of the Middle East Technical University, January 2011, p 61–62.

[150] George Friedman, "Russia's Strategy", Geopolitical Weekly, Stratfor Global Intelligence, April 24, 2012, https://www.stratfor.com/weekly/russiasstrategy?elq=15cfbf7957ba4eb5a98dac3f979fd68e&utm_campaign=20120424&utm_content=title&utm_medium=email&utm_source=freelist–f&utm_term=gweekly (accessed Dec 12, 2015).

بأهمية استراتيجية قصوى بالنسبة لروسيا. فأوكرانيا الى جانب روسيا يجعل من الأخيرة قوة إقليمية منيعة وعالمية محتملة، أما أوكرانيا الى جانب الغرب فيجعل روسيا وموقعها العالمي عرضة للخطر.

وتعد أوكرانيا حجر الزاوية للدفاعات الروسية كما أنها كانت مسرحاً لحرب القواعد الأمريكية الروسية. وتأوي أوكرانيا أكبر تجمع روسي في العالم خارج روسيا، وتعد امتداداً طبيعياً للصناعة والزراعة الروسية، كما أنها تعد نقطة عبور لما يقرب من 80% [151] من الغاز الطبيعي الروسي الذي يتم شحنه إلى أوروبا، كما هي همزة الوصل لمعظم البنية التحتية للصناعات الروسية سواء عبر خطوط الأنابيب أو الطرق أو السكك الحديدية التي تسير بين روسيا والغرب.

فمنذ تشرين الثاني 2013، فرض الحراك الشعبي الأوكراني أسئلة صعبة، تحوّلت الى مصيرية وفي 21 شباط 2014، حين فرَّ الرئيس فيكتور يانوكوفيتش المدعوم روسياً من قصره الرئاسي، و"انهارت معه روابط التاريخ مع أوكرانيا، وكذلك الرابط الوحيد بين روسيا والطموح الإمبراطوري، فروسيا بلا أوكرانيا ليست أمبراطورية، على الأقل هذا ما يقوله الخصوم، بل هناك من ينسب إلى لينين يقوله أن روسيا بدون أوكرانيا كالجسد بدون قلب.[152]

تشكل المحافظة على قاعدة سيفاستيبول في شبه جزيرة القرم أهمية عسكرية استراتيجية وسياسية بالنسبة لروسيا، فخسارة روسيا لهذه القاعدة من جراء عدم تعاون الحكومة الأوكرانية قد تؤثر على الهيبة الروسية، خاصة مع وجود سابقة أوكرانية في هذا المجال في العام 2008، عندما منعت أوكرانيا السفن الحربية الروسية التي اشتركت في القتال ضد جورجيا من العودة الى سيفاستيبول.[153] خطة الرئيس بوتين لتلافي هكذا واقع كان بالتخلص من أي معارضة حكومية أوكرانية للسياسة الروسية، بالتزامن مع تعزيز الدعم الشعبي في المناطق التي تتميز تاريخياً بروابط تقليدية مع روسيا، باستخدام سياسة لينة لا تثير قلق الغرب مما قد يدخل روسيا في مواجهة مباشرة معه. ودعمت هذه السياسة بمحاولات إظهار عدم أهلية أوكرانيا للإنضمام الى الإتحاد الأوروبي نظراً لعدم استقرار الوضع الداخلي فيها. [154]

---

[151] Stratfor Global Intelligence, Russia's Expanding Influence, March 8, 2010, https://www.stratfor.com/analysis/russias-expanding-influence-introduction-targets

[152] توفيق شومان، " أزمة أوكرانيا والنظام العالمي الجديد"، 2014/04/28، الموقع الإلكتروني: https://faysaljalloul.wordpress.com/2014/04/28 (دخول 14 تشرين الأول 2015).

[153] Lucas, *The New Cold War*, op.cit, 185.

[154] Lawrence Freedman, “Ukraine and the Art of Crisis Management”, *Survival: Global Politics and Strategy,* 56, No.3, (May 2014), 7-42.

إن ردة الفعل الروسية المتمثلة بضم شبه جزيرة القرم، كرد على توسيع حلف شمال الأطلسي والإتحاد الأوروبي ومحاولة نشر الديمقراطية الليبرالية الغربية،[155] لم تخرج عن السقف المتوقع، إذ أن هذه الجمهورية روسية الأصل، أهداها الرئيس خروتشوف إلى أوكرانيا العام 1954، وكان لا يزال أسطول البحر الأسود الروسي يستخدم الموانئ فيها بموجب إتفاقيات خاصة.

صحيح أن الأزمة الأوكرانية تبدو حادة المعالم، إلا أنها لا تخضع لقواعد الصراع الدولي خلال الحرب الباردة. فبالنظر إلى تشابك المصالح الروسية والغربية، ليس من السهل القول أن الحرب الباردة على الأبواب، ولعل النظر إلى لغة الأرقام يجعل مقاربة مسارات الأزمة الأوكرانية أقل تعقيداً، إذ يبلغ حجم التبادل التجاري بين روسيا والإتحاد الأوروبي أكثر من 460 مليار دولار (مع الولايات المتحدة 40 ملياراً)، وتصدّر روسيا إلى دول الإتحاد حوالي 35% من حاجتها إلى الطاقة، وكذلك فقد دشن الرئيس بوتين في 25 كانون الأول 2012، المرحلة الثانية من أنبوب النفط بين سيبيريا والمحيط الهادي، وليصبح حجم نقل هذا الأنبوب بمرحلتيه الأولى والثانية، حوالي 60 مليون طن إلى دول مثل اليابان والصين والولايات المتحدة وكوريا الجنوبية وسنغافورة والفيليبين وتايوان، وباستثناء الصين، كل هذه الدول غربية السياسة.[156] كما يبلغ حجم الإستثمارات الأجنبية التي تدفقت إلى الاقتصاد الروسي في العام 2013 حوالي 170.2 مليار دولار، بزيادة نسبتها 10.1% عن العام 2012.[157] عملياً، تعني هذه الأرقام أن روسيا منخرطة تماماً في النظام الإقتصادي العالمي، وهي عضو في منظمة التجارة العالمية منذ العام 2012، وعليه فإن ليس من مصلحة أي طرف من أطراف النزاع الذهاب إلى أبعد مما حصل.[158]

تستفيد أوكرانيا جغرافياً من العجز الذي تعيشه الموانئ الروسية على بحر البلطيق والبحر الأسود غير القادرة على التصدير الى أوروبا، حيث تصدّر روسيا 40% من سلعها عبرها، بل إن إجمالي الغاز الذي تستهلكه أوروبا من روسيا يمر عبر الأراضي الأوكرانية من خلال الخط المعروف بخط دروشبا (خط الصداقة) بينما يمر 3% من الغاز الروسي المصدر الى أوروبا عبر روسيا البيضاء (بيلاروسيا).[159]

---

[155] John Mearsheimer, “Why the Ukraine Crisis is the West’s Fault.” *Foreign Affairs* 93, No. 5, (2014), 77 – 89.

[156] توفيق شومان، " أزمة أوكرانيا والنظام العالمي الجديد"، مرجع سبق ذكره.

[157] المرجع السابق.

[158] المرجع السابق.

[159] Rosaria Puglisi, Clashing Agendas? Economic interests, elite coalations and prospects for cooperation between Russia and Ukraine, Europe-Asia Studies, vol. 55, No 6, 2003, p 832-834.

وقد اعتبر البعض أن ضم شبه جزيرة القرم قد وفّر لروسيا بعض الربح الإقتصادي من خلال وقف عروض أسعار الغاز المخفضة لأوكرانيا ووقف دفع بدل إيجار القاعدة البحرية في سيفاستيبول. إلا أن هذه الفوائد الإقتصادية وبالرغم من أهميتها، فقد فشلت في إعطاء دفع فوري وحقيقي للإقتصاد الروسي نتيجة للعقوبات الإقتصادية التي فرضت على موسكو نتيجة لهذه الأزمة. وبالرغم من أن سيطرة روسيا على القرم يؤمن لها الوصول الى الثروات غير المكتشفة في البحر الأسود، إلا أن التنقيب واستخراج هذه الثروات يبقى بحاجة الى استقرار أمني، وحل للمشاكل القانونية العالقة وللإستثمارات، بالإضافة الى ثبات أسعار الطاقة العالمية على معدلات مربحة، الأمور التي لا تزال غير واردة وغير مضمونة في المدى المنظور.[160]

من المنطقي أن تكون المصلحة الروسية بقاء أوكرانيا موحّدة وحيادية خارج عضوية حلف شمال الأطلسي. أما الغرب فبات يدرك أن أي خطوة غير مدروسة قد تؤدي الى ردات فعل روسية خارجة عن السيطرة.
لقد أظهرت الأزمة الأوكرانية ردات الفعل الروسية المتوقعة إزاء مواضيع مشابهة، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي الى عدم استقرار عبر المنطقة بكاملها،[161] ما يعني أن التحدي الروسي للغرب بات عالمي وليس محلي، متواصل وليس مؤقت.[162]
من جهة أخرى، وفي الوقت الذي عملت روسيا الى جانب الغرب لإيجاد حل لبرنامج إيران النووي ضمن تفاهم دولي لمنع انتشار الأسلحة النووية،[163] فإن التصرفات الروسية إزاء كييف قد تفضي الى سعي أوكرانيا وباقي دول الإتحاد السوفياتي السابق ذات الطموحات المماثلة، للحصول على قدرات نووية، بعد أن ضربت بعرض الحائط الضمانات التي نصّ عليها تفاهم بودابست في العام 1994 الذي قضى بتسليم هذه الدول الأسلحة النووية السوفياتية التي كانت موجودة على أراضيها لروسيا مقابل وعود بالمحافظة على وحدة

---

[160] John Biersack and Shannon O'Lear, "The Geopolitics of Russia's Annexation of Crimea: Narratives, Identity, Silences and Energy," *Eurasian Geography and Economics* 55 no. 3 (2014): 257-260.

[161] Lawrence Freedman, "Ukraine and the Art of Crisis Management," in *Survival: Global Politics and Strategy*, 56, no. 3 (2014): 9.

[162] General Philip Breedlove, Press Briefing in the Pentagon Briefing Room, February 25, 2015, transcript at http://www.defense.gov/Transcripts/Transcript.aspx?TranscriptID=5598 (accessed November 26, 2015).

[163] Shashank Joshi, "Iran Nuclear talks: the Final Stretch," *RUSI Analysis* November 19, 2014. https://www.rusi.org/analysis/commentary/ref:C546C8F79D761A/#.VWxYXmDbLmI (accessed November 24, 2015).

أراضيها وسلامتها،[164] هذه الوعود التي تم تجاهلها من قبل روسيا باجتياحها للقرم.[165] فلو كانت أوكرانيا لا تزال تحوز على السلاح النووي، هل كانت روسيا تصرفت على نحو ما تصرفت به أو كانت اختلفت المقاييس؟ إزاء كل ذلك، هل يمكن اعتبار أن قدرة التأثير متوازنة بين الفاعلين الأساسيين على الساحة الدولية قياساً على معايير الأزمة الأوكرانية، وبالتالي هل هي مرحلة إعادة هيكلة المصالح في عالم متعدد الأقطاب؟

القسم الثاني: الإستراتيجية الروسية الجديدة والمعوقات المتوقعة.

1- الأولويات الإستراتيجية: بناء العلاقات وصيانة الأمن القومي.

تسعى الإدارة السياسية الروسية الحالية إلى الإنفتاح على دول العالم المختلفة، لا سيما دول الشرق، مع اتّباع دبلوماسية جديدة تقوم على تعزيز دورها كوسيط مقبول من كل الأطراف في حل النزاعات والأزمات الدولية والإقليمية، فانضمت روسيا إلى مجموعات ومنظمات مؤلفة من عدة دول مشكلةً محاور وتحالفات، كما نسجت علاقات تنسيق وتعاون مع دول عديدة حول العالم وفقاً لاستراتيجيتها الجديدة.

أ- محاولة الإنخراط كشريك إقتصادي عالمي.

إن نجاح روسيا في احتكار تصدير الطاقة الى معظم أوروبا، لم يحقق لها ما كانت تطمح إليه من الإنخراط كشريك اقتصادي فاعل ومؤثر على الصعيدين الأوروبي والعالمي. فقد حرص الأوروبيون ومن ورائهم الأميركيين على حصر الدور الروسي في تأمين مصادر الطاقة لأوروبا، لحين تأمينها من مصادر بديلة، ومنع روسيا من الإنخراط المباشر في الإقتصاد الأوروبي ومنعها من الإستفادة من التقنية المتقدمة المتوفرة لدى الأوروبيين في مجال الصناعات، وتزامن هذا مع محاولات متكررة لكسر الإحتكار الروسي للطاقة من خلال التخطيط لمشاريع ضخمة تسمح بوصول النفط والغاز من مصادر غير روسية الى أوروبا. من هنا كان على روسيا السير بخططها البديلة للإنخراط الفعلي في الإقتصاد العالمي، فاتجهت أنظارها ناحية الشرق الأقصى، بما يحويه من دول صناعية صاعدة باستطاعتها في حال نجاح التعاون معها، إيجاد حالة اقتصادية عالمية لا يمكن تجاوزها، حتى من قبل الولايات المتحدة الأميركية نفسها.

---

[164] "Budapest Memorandums on Security Assurances, 1994," http://www.cfr.org/nonproliferation-arms-control-and-disarmament/budapest-memorandums-security-assurances-1994/p32484 (accessed September 8, 2015).

[165] Mark Fitzpatrick, "The Ukraine Crisis and Nuclear Order," in *Survival: Global Politics and Strategy*, 56, no. 4 (2014): 81.

(1)– إنضمام روسيا إلى مجموعة البريكس (BRICS).

بريكس هو مختصر للحروف الأولى باللغة اللاتينية المكونة لأسماء الدول صاحبة أسرع نمو اقتصادي في العالم، وهي: البرازيل، روسيا، الهند، الصين وجنوب أفريقيا. فقد عُقدت أول قمة بين رؤساء الدول الأربع الأولى في روسيا في حزيران 2009، وانضمت جنوب أفريقيا إلى المجموعة العام 2011، فأصبحت تسمى بريكس بدلاً من بريك سابقاً.[166]

نتج عن عمل هذه المجموعة تبلور أفكار ترتكز على قناعات جديدة لدى قادتها مغايرة لتلك السائدة، ستنعكس إذا كتب لها النجاح على إدارة العالم. إن التعاون الذي بدأ على مستوى إقتصادي ومالي، قطع شوطاً لا بأس به باتجاه تشكيل كتلة استراتيجية فاعلة في إدارة شؤون العالم تقوم على مبدأين أساسيين هما السيادة، والقانون الدولي.

كان اللافت في قمة نيودلهي العام 2012 ثلاث قضايا محورية هي بمثابة استراتيجية تطبيقية ترتكز على دور مجموعة البريكس في صياغة برنامج سياسي مشترك يقدم حلولاً للتوترات السياسية والإجتماعية المحلية، والإقليمية، والدولية، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول على غرار إستغلال المفهوم المتعلق بمسؤولية الحماية وضرورة تحمّل المسؤولية الجماعية لمواجهة المخاطر المحدقة بكل من الدول الأعضاء.[167]

يبقى السؤال المهم حول استعداد شركاء روسيا في مساندتها على ضوء التطورات، إذ يرى البعض أن النتيجة الأولى للمواجهة بين الغرب وروسيا، على أثر الأزمة الأوكرانية، وتباشير مواجهة محتملة في سوريا إثر التدخل العسكري الروسي المباشر، هي وضع نهاية لمجموعة البريكس (BRICS). فعلى مدى عدة سنوات، كانت هذه المجموعة فاعلاً رئيسياً في السياسة العالمية، تحدّت قوة ونفوذ أوروبا وأميركا الصناعيتين. ولكن مع احتمال إستبعاد روسيا من الأسواق العالمية والمحافل الإقتصادية متعددة الأطراف، على ضوء العقوبات الغربية عليها، فهل ستكون البلدان الأعضاء الأربعة الأخرى ضمن مجموعة البريكس مستعدة لتعريض

---

[166] Information about BRICS, Brazilian Ministry of External Relations, , HTTP://BRICS.ITAMARATY.GOV.BR/ABOUT-BRICS/INFORMATION-ABOUT-BRICS (ACCESSED OCTOBER 13 2015).

[167] جورج ساسين، "حوكمة مغايرة على أساس سيادة الدول والقانون الدولي"، الجمهورية، الموقع الإلكتروني: http://www.elnashra.com/news/show(دخول 15 تشرين أول 2015).

مواقعها في الإقتصاد الخاضع للعولمة للخطر، بالإنجرار إلى الصراع الروسي مع العالم، وهل ممكن أن ينطبق نفس السيناريو على مجموعة الدول الثمانية (G8) ومجموعة الدول العشرين (G20)؟[168]

وفي هذا السياق برز البيان الصادر عن اجتماع وزراء خارجية بلدان مجموعة السبع في لوبيك شمال المانيا من دون روسيا في 2015/04/15 الذي ربط رفع العقوبات الإقتصادية المفروضة على روسيا باحترامها لاتفاقات التسوية السلمية للنزاع في أوكرانيا.[169]

(2)- <u>إنضمام روسيا إلى منظمة شنغهاي</u>.

تأسست في العام 1996 في محافظة شنغهاي الصينية بدفع من الصين، وضمت إلى الصين، روسيا، طاجيكستان، كازاخستان وقيرغيزستان ثم انضمت إليها أوزبكستان، وكان هدفها يشمل حل الخلافات الحدودية بين الصين وجمهوريات الإتحاد السوفياتي السابق المحاذية لها، وتعميق الثقة العسكرية بين الأطراف الموقعة، خاصة بين كل من الصين وروسيا.[170]

في العام 1997، وقعت الدول نفسها معاهدة خفض القوات العسكرية في المناطق الحدودية، وفي العامين 2001 و2002 تم توسيع أهداف ومبادئ المنظمة على نطاق واسع لتشمل المجالات الإقتصادية والسياسية والثقافية، كما تم ضم الهند وباكستان ومنغوليا وإيران إليها بصفة مراقب.

خطت المنظمة خطوة كبرى إلى الأمام نحو البدء بالتحوّل من تكتل إقليمي محدود الأهداف إلى ما يمكن أن يتطور في المستقبل إلى حلف عسكري. فالمبادئ الثلاثة التي رفعتها المنظمة بداية والتي تمثلت بمحاربة الإرهاب والتطرف والنزاعات الإنفصالية الداخلية، تطورت إلى تعهد قادة المنظمة بتعزيز الأمن الإقليمي وإجراء مناورات عسكرية مشتركة بشكل منتظم. يعتقد معظم المحللين أن أهم أهداف هذا التجمع هو الرد المباشر على التهديد الذي بات يفرضه تمدد القواعد العسكرية الأميركية في المنطقة.[171]

منذ تشكيلها قدمت منظمة شنغهاي نفسها للعالم كتكتل إقليمي يهدف الى رفاهية شعوب آسيا الشمالية والوسطى، حتى أن أحد أهدافها المبكرة كانت إعادة إحياء طريق الحرير التاريخي. الحقيقة أن المنظمة ولدت لأهداف عسكرية وأمنية بالأخص لمجابهة صعود الحركات الإسلامية المسلحة في آسيا الوسطى خلال

---

[168] Giles Merritt, “The Post Russian World order”, Syndicate project, March 19, 2014, http://www.project-syndicate.org/commentary/giles-merritt-examines-the-likely-fallout-from-the-kremlin-s-international-isolation. (Accessed October 10 2015).

[169] "مجموعة السبع: رفع العقوبات عن روسيا بشروط والأخيرة تحاول المناورة بين أوبك وايران"، موقع وكالة النبأ، الموقع الألكتروني: http://n.annabaa.org/news98 (دخول 12 تشرين أول 2015)

[170] سعيد محيو، "قمة معاهدة شنغهاي: نحو نظام عالمي جديد"، الجيش العربي، الموقع الإلكتروني:-http://www.arabic-military.com (دخول 18 تشرين أول 2015).

[171] المرجع السابق.

عامي 1999 و2000. إلا أنه يبدو أن منظمة شنغهاي قد وقعت بين قوتي جذب متنافرتين في الأهداف ومتوازيتين في النتائج، فالصين كانت تسعى لاستغلال المنظمة كأبواب "شرعية" لمزيد من التمدد التجاري، أما روسيا فسعت لاستغلال المنظمة لتحقيق تجمع عسكري آسيوي يحقق قدراً من التماسك أمام الإختراق الأميركي الذي كان قد بدأ في كل جورجيا وأذربيجان، وثبت أقدامه بزرع قواعد عسكرية في أوزبكستان وقرغيزيا.[172] غير أن تصرفات حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة الهادفة الى توسيعه الحلف شرقاً، قرّب الصين من الهدف الروسي.

ب-<u>بناء علاقات استراتيجية مع الصين.</u>

تعتبر الصين خاصة إحدى أهم القوى الصاعدة إقتصادياً وعسكرياً، وهذا ما يشكل قلقاً لدى موسكو التي رأت أن التحالف هو السبيل الأمثل للتعامل مع تنامي القدرات الصينية وهو ما يمكن إيجازه بمقولة "فلنصعد معا".[173] فموسكو تدرك جيداً واقع آسيا كساحة إستراتيجية من النواحي كافة، وأنه إذا لم تتمكن من توسيع نطاق حضورها في هذه القارة، فإنها مهددة بأن تكون لاعباً ثانوياً على الصعيدين الإقليمي والدولي، لذا ينطلق الموقف الروسي هذا إزاء الصين من مجموعة عوامل تمثل مرتكزات للشراكة المتنامية بين البلدين.

تبرز الصين كحليف أساسي وأحد الأطراف التي ترى موسكو في الشراكة معها عاملاً أساسياً لموازنة الهيمنة الأميركية والحد منها، لاسيما في منطقة آسيا الوسطى التي تحظى بأهمية خاصة لدى البلدين، كذلك في منطقة شرق وجنوب شرق آسيا، حيث الوجود الأميركي المكثف في اليابان وكوريا الجنوبية.[174] وتلتقي المصالح الصينية الروسية على نقطة أساسية مشتركة حيث يرغب الطرفان في تدعيم قوّتهما مقابل الولايات المتّحدة، سواءٌ من جهة القيادة الروسية التي تعرف أنها في موقف أضعف مما كان عليه الإتّحاد السوفياتي، أو من قبل القيادة الصينية التي ترى أنّها مؤهّلة لأن تكون القوّة العظمى في ما بعد.[175]

أما على الصعيد الخارجي، فيرفض كلا الطرفين التدخّل الخارجي في أسيا الوسطى ويخشيا من سقوط هذه المنطقة تحت النفوذ الغربي، ويرفض كلا الطرفين المظلة الدفاعية الصاروخية الأميركية ويخشيا كذلك من انتشار أسلحة الدمار الشامل ومن استخدامها ضدّهم سواءً عبر دول أخرى أو جماعات.[176]

---

[172] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 105.

[173] نورهان الشيخ، "روسيا... الشريك الطبيعي للصين"، السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات، الموقع الإلكتروني: http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/12/116/1593 (دخول 12 تشرين أول 2015).

[174] المرجع السابق.

[175] علي حسين باكير، العلاقات الاستراتيجية الصينية-الروسية، الدفاع الوطني، 56، لبنان، نيسان 2006، ص 64.

[176] المرجع السابق، ص 66.

تعتبر الشراكة الروسية الصينية توجهاً ثابتاً في السياسة الروسية، ليس فقط لإحداث التوازن في سياسة موسكو الخارجية، وإنما بهدف جذب الإستثمارات ورؤوس الأموال الصينية لروسيا، وزيادة التبادل التجاري بين البلدين، وفتح الأسواق الصينية أمام المنتجات الروسية، خاصة في المجال العسكري.[177] كما أن التفاهم الإستراتيجي بين البلدين تمَ حول مجموعة من القضايا، في مقدمتها معارضة البلدين لهيمنة قوة واحدة على النظام العالمي، إحترام كل منهما مصالح الطرف الآخر وما يعتبره مناطق نفوذ تمس أمنه القومي.

لقد إبتعدت السياستان الروسية والصينية عن المنطلقات الأيديولوجية، وأصبحتا تسعيان لتحقيق مصالحهما الإقتصادية بالدرجة الأولى، ولاشك في أن مصالح الطرفين المتبادلة وشراكتهما في المجالات العسكرية والتقنية تمثل حجر الزاوية في تحالفهما الإستراتيجي. كما تتلاقى مصالح البلدين في مجال الطاقة، حيث تعتبر روسيا أكبر مصدر للغاز الطبيعي والنفط، في حين تعتبر الصين ثاني أكبر مستهلك له. وقد بدأ البلدان في تطوير التعاون بينهما في هذا المجال، إضافة الى التعاون في مجال الطاقة النووية، حيث قامت روسيا بتشييد وحدتي الطاقة الأولى والثانية في محطة "تيان وان الكهروذرية"، والإتفاق على مشاريع مستقبلية مشتركة، ومنها إقامة مؤسسات مشتركة لإستخراج اليورانيوم في الأراضي الروسية وبعض دول إفريقيا.[178]

يرى الطرفان أنّه ليس من مصلحتهما حالياً إعلان تحالف عسكري خشية أن يثير ذلك ردة فعل الولايات المتّحدة والدول الغربية، لذلك أكّدت الصين بشكل رسمي مرات عديدة، أنّ نوعية علاقاتها المميّزة مع روسيا ليست حلفاً استراتيجياً أو عسكرياً، بل هو شراكة استراتيجية، وهو غير موجّه ضدّ أي طرف ثالث.[179]

يجب عدم التسرّع في إطلاق الأحكام حول الإستعدادات الصينية للتخلي بسهولة عن علاقاتها الإقتصادية مع الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة لمصلحة روسيا وسياساتها العالمية، من دون أن يكون لها مصلحة مباشرة في ذلك. الى ذلك، فمن المعروف أن الإقتصاد الصيني مبني أساساً على الإستثمارات الأوروبية والأميركية بدليل أنه عقب الأزمة المالية العام 2008 بدأ النمو الصيني بالتباطؤ،[180] كما أنه لا يمكن عدم الربط ما بين الأزمات السياسية والعسكرية العالمية المستجدة وبين الهزة المالية التي شهدها العالم في 24 آب

[177] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 105.

[178] Kari Roberts , Institutions and Individuals in the Making of Russian Foreign Policy Toward the United States Since 1991 , Paper prepared for presentation at the 43rd Annual International Studies Association (ISA) Convention in New Orleans, LA, 24-27 March 2002.

[179] Avery Goldstein, China's grand strategy and international security,(California: Standford University, 2005), 11.

[180] تريز منصور، "البورصات الآسيوية تتكبد خسائر كبيرة- هل يواجه العملاق الأصفر أزمة حقيقية؟"، مجلة الجيش، العدد 264، تشرين الأول 2015، ص 94.

2015 والتي كان مركزها الأسواق المالية الصينية، والتي رافقها هبوط حاد في سعر صرف اليوان الصيني،[181] وهذا ما سيؤثر حتماً على معدل النمو مجدداً. ويترافق هذا مع تقارير تفيد عن خسائر كبيرة تكبدها قطاع الصلب الصيني خلال الأشهر التسعة الأولى من العام 2015 بلغت 4.43 مليار دولار،[182] ومع إعلان البنك المركزي الصيني عن خفض أسعار فائدته الرئيسية بنسبة 0.25% والإحتياطي النقدي التي يجب على البنوك الإحتفاظ به بنسبة 0.50%، في إجراء يهدف الى تحفيز الإقتصاد.[183]

ولكن هل ستنتجح هذه العلاقات في تحقيق المصالح الصينية الروسية، وتحقيق توازن فعلي مقابل القدرات الأميركية؟ لقد أفرزت التطورات العالمية تباينات واضحة إزاء بعض القضايا ذات الإهتمام المشترك، ومنها على سبيل المثال المسألة الأوكرانية، فالعلاقة بين الدولتين مبنية على رافعتين أساسيتين، الأولى إقتصادية والثانية سياسية عمادها رؤية مشتركة للنظام العالمي، لهذا حرصت روسيا على إظهار تصرفاتها للصين تجاه الأزمة الأوكرانية كدفاع عن التعددية القطبية في العالم، إلا أن تدهور الإقتصاد الروسي نتيجة هذه الأزمة بدأ يُفقد موسكو أحد مصادرها التي كانت تستثمرها في التأثير على علاقاتها مع بكين.[184]

ج- <u>بناء علاقات مع أوروبا عمادها الطاقة.</u>

سعت دول الإتحاد الأوروبي وفي مقدمتها ألمانيا وفرنسا الى أن تكون فيدرالية روسيا قريبة اقتصادياً وسياسياً من الإتحاد الأوروبي، وذلك بما يخذم استراتيجية كل دولة، فألمانيا بحكم موقعها الجيو- سياسي وتمركزها في قلب أوروبا، أرادت أن تجعل من روسيا عمقاً استراتيجياً لأوروبا من الناحية الشرقية، في حين فرنسا ذات المرجعية الديغولية والمعروفة بتوجهاتها الحذرة تجاه السياسة الأميركية في اوروبا والعالم، فإنها كانت من المدافعين دوماً عن ضرورة بناء علاقات قوية مع روسيا باعتبارها قوة إقليمية وبإمكانها أن تصبح قوة عالمية، وذلك بهدف الحد من الهيمنة الأميركية وخلق توازن استراتيجي في أوروبا، وإن كان هذا التوجه قد إختلف مع ساركوزي، إلا أن أرضيته ما زالت موجودة وممكنة. لذلك سعت ألمانيا وفرنسا من خلال التنسيق

---

[181] تريز منصور، "البورصات الآسيوية تتكبد خسائر كبيرة- هل يواجه العملاق الأصفر أزمة حقيقية؟"، مرجع سبق ذكره، ص 92.

[182] عبد المنعم درار، " شركات الصلب الكبرى بالصين تخسر 4.4 مليار دولار في 9 أشهر"، رويترز، 28 تشرين الأول 2015 ، الموقع الإلكتروني:
http://ara.reuters.com/article/businessNews/idARAKCN0SM1KI20151028 (دخول 30 تشرين الثاني 2015).

[183] " تعويم أسعار الفائدة أحدث خطوات الصين لتحفيز اقتصادها"، الخليج أونلاين، 23 تشرين الأول 2015، الموقع الإلكتروني:/http://alkhaleejonline.net/articles (دخول 30 تشرين أول 2015).

[184] Sarah Lain, “The Bear and the Dragon, Same old Suspicions or Real Pivot East?”, RUSI Journal Vol.160 No.1, 68.

في إطار ثنائي وأوروبي على تكثيف التعامل بين روسيا والإتحاد الأوروبي، حيث غدت روسيا شريك أساسي لأوروبا تجارياً، واحتلّت الطاقة ثلثي الواردات الأوروبية من روسيا، حيث غدت بعض الدول الأوروبية في تبعية شبه مطلقة وبعضها الآخر في تبعية مطلقة للمحروقات الروسية، لا سيما الغاز من شركة "غازبروم"، فألمانيا تستورد 44،9 % ، بولونيا 50،2 %، المجر 63،4 % النمسا 73،4 %، جمهورية التشيك 80،8 %، اليونان 86،8 %، فنلندا وسلوفاكيا 100 %.[185]

(1)- <u>التقاطع المصلحي الأوروبي – الروسي.</u>

تتعاظم الأهمية الجيو- استراتيجية لثروات روسيا النفطية عندما ندرك أن الإحتياطات النروجية في تناقص مستمر، في حين تبقى الإحتياطات الروسية ذات شأن.[186] إلا أن الإتحاد الأوروبي يبقى غير قادر على تجسيد التقاطعات المصلحية الجيوسياسية بينه وبين روسيا في الكثير من الأحيان، لا سيما ما يتعلق بالأزمات الدولية، إذ أن التعاون ضمن المؤسسات التي تجمع الطرفين، مثل مجلس حلف الناتو- روسيا، ومجموعة الدول السبع الصناعية + روسيا (G7 + Russia)، لم يرق الى مستوى هذه التحديات الإقليمية والدولية.[187] من جهة أخرى، يخشى الإتحاد الأوروبي من تسرّب نووي روسي "غير رسمي" محتمل في النشاطات الإرهابية، إذ أن 67% من التجهيزات النووية الروسية تحكمها أنظمة حماية قديمة، يحتاج تحديثها الى أموال كبيرة،[188] ما استدعى تنسيقاً وتعاوناً مع روسيا لتفادي أي انتشار لأسلحة الدمار الشامل.

الى ذلك يعلم الأوروبيون أنه بالرغم من المشاكل التي لا تزال تعانيها روسيا، فإنها تملك من الإمكانيات المادية والبشرية والجغرافية، التي تؤهلها لأن تعود الى المسرح الدولي كقوة سياسية واقتصادية، بالنظر الى بداية تحس اقتصادها الوطني.[189] لذا، فإنه مهما قيل عن تراجع القوة الروسية دولياً، فإن الغرب لم يقتنع

---

[185] Céline BAYOU et Pierre VERLUISE, *Russie –UE : quelles stratégies énergétiques. défense nationale*, novembre 2006 , P. 56.

[186] Michel Sarazin, *Scénarios pour l'aprèspétrole* . défense nationale, avril 2006, P.117.

[187] Thierry de Montbrial, Perspectives, in « RAMSES : Les grandes tendances du monde », sous direction de Thierry de Montbrial et Philippe Moreau Defarges. DUNOD :IFRI, 2003, P.21.

[188] جريدة الأهرام، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، التقرير الإستراتيجي 2004- 2005، تموز 2005، ص 129- 130.

[189] Thomas Gomart, politique étrangère russe : l'étrange inconstance . politique étrangère, janvier 2006, P.13.

بأن تفوقه في الحرب الباردة كان كاسحاً لصالحه، وهو ما يفسر استئناف الحرب الباردة ضد روسيا، وذلك من خلال نشر الدرع الصاروخي، وتوسيع حلف شمال الأطلسي وغيرها من الضغوطات.[190]

(2)- الإنفتاح الروسي – الأوروبي.

بدأت روسيا في عهد بوتين، بالإنفتاح على الدول الأوروبية بشكل عام على أساس مصالح مشتركة، ففعّلت ديبلوماسيّتها الخارجيّة باتّجاهها، وخاصةً نحو فرنسا وألمانيا. لقد أدّى النشاط الروسي في هذا المجال إلى قيام محور روسي ألماني فرنسي معارض للحرب على العراق في العام 2003، تأكّد في توقيع الإعلان الثلاثي الروسي، الفرنسي والألماني ضدّ الحرب.[191] كما كان للتعاون الإقتصادي في عدة مجالات دور أساسي في إحداث تقارب بين روسيا والدول الأوروبية.

إتّحذت موسكو موقف حذر في التقرب من أوروبا بشكل عام، إذ حرصت على عدم ربط إقتصادها بدول أوروبا، لأن ذلك سيخضعها إلى معايير الشراكة الأوروبية. نتيجة لذلك عملت روسيا على دخول شراكات تحافظ على حدود وقوة مصالحها، واتخذت سياسة أكثر تشدداً في الدفاع عن مصالحها القومية لما تملكه من مقومات اقتصادية وسياسية وعسكرية.

تأتي المواقف الروسية من الأحداث الجارية في بعض المناطق من العالم، وخاصة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، لتشكل مرحلةً جديدةً من العلاقات الروسية الأوروبية، حيث يقف كل طرف على الجهة المقابلة للطرف الآخر، وقد أدّى ذلك إلى بعض التباعد بين روسيا ومعظم الدول الأوروبية. فبالرغم من أن روسيا هي الجار الأكبر للإتحاد الأوروبي وثالث أكبر شريك تجاري لأوروبا بعد الولايات المتحدة والصين، وبالرغم من اتجاهات التعاون المشترك، إلا أن الدور الروسي في الأزمة الأوكرانية على سبيل المثال، أثّر سلباً على هذه العلاقات على ضوء العقوبات الإقتصادية التي فرضت على روسيا.[192]

الى ذلك تُظهر الأزمات الإقتصادية المتكررة في الإتحاد الأوروبي دلائل لها مغزى على المدى الطويل. هذه الأزمات التي تشهدها أوروبا تعتبر ذات فائدة لروسيا. المعروف أن ألمانيا تعتمد على صادرات الطاقة الروسية، وبينما قد يشهد هذا الإعتماد تراجعاً في السنوات القادمة، فإن روسيا تركز الآن على المستقبل القريب. الى ذلك، فإن ألمانيا تبحث عن شركاء اقتصاديين خارج الإتحاد الأوروبي، لذلك تتحاشى أن تكون

---

[190] Emmanuel Todd. *Après l'Empire* : Essai sur la décomposition du système américain . Paris :Editions Gallimard, 2002, p 180.

[191] علي حسين باكير، عالم متعدد الأقطاب: روسيا تتحدى تفرد الولايات المتحدة الأميركية، مرجع سبق ذكره، ص78.

[192] European Union External Action, "EU relations with Russia", http://eeas.europa.eu/russia/about/index_en.htm (accessed January 03, 2016).

طرفاً في مسعى أمريكا لإعادة رسم الحدود الروسية. ويرى بعض المحللين أن نشر أنظمة دفاع ضد الصواريخ البالستية لا يشكل تهديداً لموسكو بقدر ما يسبب التواجد الأمريكي في المنطقة قلقاً لها، وفي حال نجحت روسيا في إقناع ألمانيا بأن الولايات المتحدة عامل باعث على عدم الاستقرار، فسيُعد هذا الأمر انجازاً عظيماً.[193] إلا أن ذلك ما زال بعيداً عن التحقيق خاصة في ظل تطورات الأزمة الأوكرانية من جهة، وتلك السورية من جهة أخرى.

(3)- <u>الأسس القانونية للتعاون.</u>

إن الأساس القانوني الذي يحكم العلاقات الروسية الأوروبية يتمثل باتفاقية الشراكة والتعاون الموقعة بين روسيا والإتحاد الأوروبي العام 1994 (Partnership and Cooperation Agreement– PCA)، الى ذلك فقد تم إطلاق مفاوضات جديدة العام 2008 للوصول الى اتفاقية جديدة تؤمن إطار شامل للعلاقات الروسية الأوروبية، تعكس التعاون الحاصل بين الطرفين منذ تسعينيات القرن الماضي.

(4)- <u>مجالات التعاون المشتركة.</u>

إن مجالات التعاون بين الطرفين الروسي والأوروبي تتضمن أربع مجالات أساسية، يشار إليها بالمجالات المشتركة وتشمل الإقتصاد والبيئة، الحرية والعدالة، الأمن الخارجي، الأبحاث والتعليم وكذلك الجانب الثقافي.

- <u>إتفاقية الشراكة من أجل التطوير</u>: وقعت في العام 2010 بعد قمة روستوف، وتشمل مختلف الجوانب المتعلقة بالتطور الإقتصادي والتقني، الى سيادة حكم القانون وعمل المحاكم. شكلت هذه الإتفاقية الأساس في التعاون، وساهمت في تمتين الحوار والشراكة.
- <u>التعاون الدولي</u>: لروسيا والإتحاد الأوروبي سجل واسع من التعاون في الأمور التي تشكل مجال اهتمام ثنائي أو عالمي، كالتغير المناخي، المخدرات، تهريب البشر، الجريمة المنظمة، مكافحة الإرهاب، إنتشار الأسلحة النووية والكيميائية، عملية السلام في الشرق الأوسط، والمشروع النووي الإيراني.
- <u>مجالات التعاون الإقتصادي</u>: إتفق الطرفان في قمة سان بطرسبورغ التي عقدت في أيار 2003 على تعاون طويل الأمد في المجالات الإقتصادية المشتركة، وتم التوافق في العام 2005 على خريطة طريق حددت مساحات التعاون المشترك، وعقدت في العام 2006 ثلاثة إجتماعات لمجلس الشراكة الروسي

---

[193] George Friedman, “Russia's Strategy”, Geopolitical Weekly, Stratfor Global Intelligence, April 24, 2012, https://www.stratfor.com/weekly/russiasstrategy?elq=15cfbf7957ba4eb5a98dac3f979fd68e&utm_campaign=20120 424&utm_content=title&utm_medium=email&utm_source=freelist-f&utm_term=gweekly (accessed Dec 12, 2015).

الأوروبي على المستوى الوزاري ناقشت مواضيع البيئة، النقل والطاقة. وفي 24 شباط العام 2011 تم التوقيع في بروكسل على تفاهم مشترك للتحضير لخارطة طريق لتعاون الإتحاد الأوروبي وروسيا في مجال الطاقة يمتد حتى العام 2050.[194] المصالح تفرض وجود علاقات شراكة قوية ما بين الطرفين، فالعائدات المالية الناتجة عن تصدير الطاقة الى أوروبا تعتبر حاجة ملحة لنمو الإقتصاد الروسي، كما أن ضمان استمرارية تدفق الطاقة يعتبر حاجة ملحة لضمان أمن الطاقة لأوروبا.[195]

- حقوق الإنسان: بني التعاون الروسي الأوروبي على أساس القيم المشتركة كالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، ما يؤمن التوازن بين الأمن وسيادة القانون من جهة، والعدالة والحرية من جهة أخرى. في العام 2005 عقدت بين الطرفين الروسي والأوروبي عدة مؤتمرات، أنتجت حواراً بناءاً حول المسائل المتعلقة بحقوق الإنسان وسبل التعاون العالمي في هذا المجال بين الطرفين. وقد شمل البحث في هذا المجال حالات التعذيب وسوء المعاملة، وحرية التعبير والتجمعات، وحرية الصحافة والمجتمع المدني وحرية عمل المنظمات غير الدولية، بالإضافة الى سبل تطبيق القوانين وحرية السلطات القضائية، والأمور المتعلقة بالتمييز العنصري وقانونية وحرية الإنتخابات.[196]
- الأمن الخارجي: إتفقت روسيا والإتحاد الأوروبي على ضرورة تمتين التعاون المشترك في المجالات المتعلقة بالمحافظة على الأمن، لما لهما من مسؤوليات مشتركة في حفظ الأمن والإستقرار في الداخل الأوروبي وخارجه، وذلك من خلال تعزيز التعاون على المسرح العالمي، ومحاربة الإرهاب، ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل، الى التعاون في حل النزاعات والأزمات الدولية وفي مجالات حماية المدنيين.

(5)- تأثير الأزمة الأوكرانية على العلاقات الأوروبية- الروسية.

شكلت الأزمة الأوكرانية إختباراً جديداً لوحدة الموقف الأوروبي، حيث بادر الإتحاد الأوروبي، وكرد على ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، على تعليق كافة الإتفاقيات المعقودة مع روسيا بالإضافة الى معظم برامج التعاون المشترك. وتم اتخاذ عدة إجراءات ضد روسيا شملت القدرة على ولوج الأسواق العالمية، التعاون الدفاعي والتكنولوجي وخاصة المتعلق بقطاع الطاقة. وكذلك تم تعليق توقيع الإتفاقيات المتعلقة بالمشاريع الروسية الممولة من قبل البنك الأوروبي للإستثمار والبنك الأوروبي للتنمية والإعمار. كذلك وضعت قيود تجارية

---

[194] “Road Map EU-Russia Energy Cooperation until 2050”, at https://ec.europa.eu/energy/sites/ener/files/documents/2013_03_eu_russia_roadmap_2050_signed.pdf (accessed January 10, 2016).
[195] European Commission, “EU-Russia energy relations”, at: http://ec.europa.eu/energy/russia/overview/index_en.htm (accessed January 10, 2016).
[196] George Freedom, security and justice, at: http://www.delrus.ec.europa.eu/en/p_223.htm (accessed January 10, 2016).

وإستثمارية على روسيا، واتخذت إجراءات صارمة لعدم الإعتراف بضم القرم، كما وضعت قيود إضافية على سفر بعض الشخصيات الروسية والأوكرانية، وتم تجميد أموالهم وممتلكاتهم الموجودة في أوروبا.[197] بالمقابل أخذت روسيا بعض الإجراءات الإنتقامية شملت وقف استيراد المواد الغذائية من أوروبا، وحتى من بعض الدول غير الأوروبية.

بالرغم من ان الخلاف الروسي الأوكراني قد أدى الى ردود فعل مختلفة من قبل قادة الدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي، إلا أن ذلك لم يؤد الى ظهور سياسة أوروبية واضحة تستهدف الحد من الإعتماد على مصادر الطاقة الروسية. في الحقيقة يمكن إرجاع ثقة القيادة الروسية إبان الأزمة الأوكرانية الى تجارب سابقة مرّت بها العلاقات الروسية الأوروبية إبان أزمات مماثلة، فالدول الأوروبية واصلت إبرام الإتفاقيات الثنائية مع موسكو، ولم تبد الدول الأوروبية الغربية المؤسسة للإتحاد اهتماماً بأساليب الضغط الروسي ضد دول وسط وشرق أوروبا التي إنضمت الى الإتحاد مما أثار الكثير من التساؤلات حول التضامن الأوروبي عندما يتعلق الأمر بالطاقة. فالإتحاد الاوروبي، وعلى سبيل المثال، رفض دعم المحاولة البولندية بالضغط على روسيا من خلال جعل المصادقة الروسية على معاهدة الطاقة التي وقعت في عام 1994 شرطاً لأية اتفاقية شراكة وتعاون بين روسيا والإتحاد الأوروبي.[198] ويمكن إعطاء الأزمة الجورجية كمثال آخر على عدم التضامن الأوروبي، بالرغم من أنها تميّزت باستخدام روسيا للقوة العسكرية المباشرة، إلا أن ردة الفعل الأوروبية جاءت مفككة وضعيفة.

إلا أن عدم التضامن الأوروبي ظهر واضحاً في عدم الإتفاق على إجراءات إقتصادية صارمة تجاه سياسة موسكو في أوكرانيا، خاصة لجهة الإستمرار في استيراد الطاقة من روسيا. هذا الموقف الأوروبي الضعيف عزز الموقف الروسي ودفع موسكو الى مواصلة سياستها حيال أوكرانيا، لا بل شجعها كذلك لخوض غمار الأزمة السورية، خاصة وأن موسكو قد استفادت من عدم جدية الموقف الاوروبي بعد الأزمة مع أوكرانيا في زيادة الإعتماد الأوروبي على نفطها وغازاها، حيث من المتوقع ان تزداد الحاجة الاوروبية للغاز الطبيعي من 40 % الى 80 % في عام 2020 ، ومن المتوقع أن يشكل الغاز الروسي حوالي 50% من تلك الحاجة، وهذه النسبة الكبيرة قد تؤدي الى زيادة التأثير السياسي الروسي في أوروبا.[199]

[197] European Union Newsroom, “EU sanctions against Russia over Ukraine crisis”, at: http://europa.eu/newsroom/highlights/special-coverage/eu_sanctions/index_en.htm (accessed January 08, 2016).

[198] محمد نجيب السعد، "أوروبا وإمدادات الطاقة الروسية"، صحيفة الوطن العمانية، العدد 8654، 4 نيسان 2007 ،السنة الـ36، الموقع الإلكتروني:http://www.alwatan.com/graphics/2007/04apr/4.4/dailyhtml/qadaia.htm (دخول 12 تشرين أول 2015).

[199] المرجع السابق.

د- **تجديد استراتيجية الأمن القومي الروسي.**

الأمن القومي كمفهوم هو عبارة عن الإجراءات التي تتخذها الدولة في حدود طاقتها للحفاظ على كيانها ومصالحها في الحاضر والمستقبل مع مراعاة المتغيرات الدولية، وهو من مسؤولية القيادة السياسية للدولة، ومجال الأمن القومي هو الإستراتيجية العليا التي هي فن السيطرة على استخدام موارد الدولة.[200]

الخبراء في المجال العسكري يرون أن حدود الأمن القومي الروسي تصل الى الحدود الجغرافية القديمة للإتحاد السوفياتي، ما يجعلهم ماضون في تثبيت تواجدهم العسكري في أنحاء مختلفة من الجمهوريات السوفياتية السابقة، وحتى نهاية العام 2008، تحتفظ روسيا بقوات عسكرية على طول الحدود السوفياتية القديمة، تقدر بعشرة قواعد ومحطات عسكرية، وما يقرب من 20 ألف فني وعسكري. وخلال خطاب ألقاه بوتين في العام 2004، أشار إلى مدى الإهتمام الروسي بالأراضي السوفياتية السابقة، ما يمنحها الحق والصلاحية للتدخل فيها بكل الوسائل، بما فيها استخدام القوة العسكرية لحل النزاعات التي تنشب بين الحين والآخر، والحفاظ على استقرار الأوضاع الأمنية، والدفاع الكامل عن المواطنين الروس القاطنين فيها.[201]

في 13 أيار 2008 صادق الرئيس ديميتري ميدفيديف على "إستراتيجية الأمن القومي لروسيا الإتحادية" حتى عام 2020، التي تقوم على مبدأ تتابع سلطة الدولة في مجال الأمن، كما أنها تنطلق من نظام الأولويات القومية في روسيا. ترتبط هذه الوثيقة بفكرة تنمية روسيا إقتصادياً وإجتماعياً في الفترة حتى عام 2020. وشددت هذه الوثيقة على دور روسيا في العالم المعاصر، ومن هنا كان إنتقال روسيا إلى سياسة جديدة تخصها في مجال الأمن القومي تضمن التنمية القومية الناجحة، في ظروف العولمة وتطور العلاقات السياسية والإقتصادية الدولية التي تشكل أخطاراً جديدة على تطور المجتمع والدولة الروسيين.

وتبرز إتجاهات هذا التطور في الإنتقال من المواجهة إلى الدبلوماسية المتعددة الإتجاهات،حيث أن حالات إستخدام القوة المتكررة والتناقضات المحتمل وقوعها في العلاقات الدولية ستؤثر سلباً في تحقيق المصالح القومية لروسيا الإتحادية.

سوف تسعى روسيا في المستقبل البعيد المدى إلى إقامة علاقات دولية وفقاً لمبادئ القانون الدولي وضمان الأمن المتكافئ للدول. ومن أجل حماية مصالحها القومية، ستسعى إلى إتباع سياسة خارجية أكثر براغماتية تحول دون مواجهة باهظة التكاليف، بما في ذلك حدوث سباق تسلح جديد. لذلك ترى روسيا أن هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن يجب أن يبقيا عنصري إستقرار في نظام العلاقات الدولية.

---

[200] أمين هويدي، في السياسة والأمن، معهدالإنماءالعربي- برنامج الدراسات الإستراتيجية، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ص 259- 260.

[201] عوديد عيران، مرجع سبق ذكره.

شددت الوثيقة كذلك على أن روسيا ستعمل على تعزيز المجموعة الإقتصادية الأوراسية بإعتبارها نواة للتكامل الإقتصادي وأداة للمساهمة في إنجاز المشاريع الكبرى، وتعزيز القدرة السياسية لمنظمة شنغهاي لتوطيد آليات التعاون مع الإتحاد الأوروبي في شتى المجالات. وستسعى روسيا إلى إقامة شراكة إستراتيجية متساوية في الحقوق والكاملة النطاق مع الولايات المتحدة على أساس تطابق المصالح آخذةً بالحسبان مدى تأثير حالة العلاقات الروسية الأميركية على الوضع العالمي ككل. ومن أجل الحيلولة دون وقوع أخطار على أمنها القومي يجب أن تعمل روسيا على تأمين الإستقرار الإجتماعي والوفاق القومي والطائفي وزيادة القدرة التعبوية والنهوض بالإقتصاد الوطني ورفع نوعية عمل أجهزة الدولة وتشكيل آليات فعالة لتعاملها مع المجتمع المدني.[202]

أما لجهة مصالح روسيا القومية والأولويات الوطنية الإستراتيجية، فإن هذه المصالح تتلخص على المدى البعيد، بتطوير الديموقراطية والمجتمع المدني وزيادة قدرة الإقتصاد الوطني على المنافسة، ووحدة الأراضي وسيادة روسيا الإتحادية، إضافة إلى تحويلها إلى دولة عالمية كبرى توجه جهودها نحو دعم الإستقرار الإستراتيجي وعلاقات الشراكة ذات المنفعة المتبادلة في ظروف عالم متعدد الأقطاب. هذا ويعتبر الدفاع الوطني وأمن الدولة والمجتمع من أولويات الأمن القومي في روسيا الإتحادية.

وحرصت الوثيقة على إعتبار حماية أصول النظام الدستوري في روسيا الإتحادية وحقوق وحريات الإنسان والمواطن والدفاع عن سيادة روسيا الإتحادية وإستقلالها والحفاظ على السلام والإستقرار السياسي والإجتماعي في المجتمع من أهم الأهداف الإستراتيجية الروسية، وذلك من خلال النهوض بنوعية معيشة المواطنين الروس وتخفيض الفارق في معيشة السكان، وإستقرار عدد أبناء البلاد وتطوير التقنيات والتعليم وإتقان المؤسسات الإستثمارية والمالية الوطنية. ولحظت الوثيقة كذلك ضرورة تطوير الهيكل التنظيمي للدولة، وإتقان عمل أجهزة السلطة التنفيذية وتطبيق خطة وطنية خاصة بمكافحة الفساد ومكافحة الإرهاب الدولي والقومي والتطرّف السياسي والديني والنزعات الإنفصالية والقومية.[203]

وأشارت وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الى الأخطار الإستراتيجية والتحديات للأمن القومي في المدى البعيد المتمثلة بإعتماد الإقتصاد الوطني على تصدير المواد الخام وإستنزاف مواردها. كما إعتبرت الوثيقة أمن الطاقة من أهم الإتجاهات لضمان الأمن القومي في المجال الإقتصادي، حيث يعتبر ضمان أمن الطاقة العامل الأساسي لتحقيق أهداف السياسة النفطية الروسية، ومن هنا يتبوأ هذا الموضوع الأولوية لدى موسكو،

---

[202] "مقتطفات من استراتيجيه الأمن القومي لروسيا الاتحادية حتى عام 2020"، مركز صقر للدراسات الإستراتيجية، الموقع الإلكتروني: http://www.saqrcenter.net/index.php?page=1846 (دخول 12 تشرين أول 2015).

[203] "مقتطفات من استراتيجيه الأمن القومي لروسيا الاتحادية حتى عام 2020"، مرجع سبق ذكره.

لذلك تسعى الحكومة الفدرالية الى تأكيد الموقع الروسي في سوق الطاقة العالمي وزيادة نفوذ قطاع الطاقة على علاقات الدولة الخارجية وضمان وصول الشركات الروسية الى الأسواق الخارجية وحصولها على التمويل والتكنولوجيا،[204] وهذا ما يلقي على عاتق السياسة المتبعة لإدارة قطاع الطاقة مسؤولية كبرى خاصة لاعتماد روسيا على هذه السياسة لمواجهة التهديدات الجيوبوليتيكية والإقتصادية، وللحماية من مخاطر الإبتزاز الأمني أو الإقتصادي.[205] ونظراً لوجود علاقة مباشرة ما بين الأمن والإقتصاد، لذلك تقع مسؤولية تأمين الرخاء الإقتصادي على عاتق قطاعي النفط والغاز، بالسعي الى توسيع نفوذ روسيا العالمي وضمان استقلالها الإقتصادي من خلال توسيع المجالات الإقتصادية الروسية.[206]

وشددت الوثيقة على أهمية الإستقرار والشراكة الإستراتيجية المتساوية، فمن أجل الحفاظ على الإستقرار الإستراتيجي والشراكة الإستراتيجية المتكافئة فإن روسيا الإتحادية ستسعى الى تنفيذ المعاهدات السارية المفعول والإتفاقيات في مجال الحد من الأسلحة والمشاركة في عقد إتفاقيات جديدة تتفق ومصالحها القومية.

وتعتزم كذلك المساعدة على تعزيز حركة السلام الدولية لتبقى أداة فعالة لتسوية النزاعات المسلحة بموجب مبادئ ميثاق الأمم المتحدة، والمشاركة في تقديم المساعدات الإنسانية للدول المنكوبة لمواجهة حالات الطوارئ وذلك تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية.

وأشارت الوثيقة كذلك الى أنه ومن أجل تأمين الإستقرار الإستراتيجي والتعاون المتكافئ المتعدد الجوانب على الصعيد العالمي فإن روسيا ستبذل كل ما في وسعها في فترة تحقيق هذه الإستراتيجية لكي تحافظ على التكافؤ مع الولايات المتحدة بأقل ما يمكن من النفقات في مجال الأسلحة الهجومية الإستراتيجية.[207]

2- ضبابية المستقبل: روسيا والمعوقات المحتملة.

أ- مستقبل الإتحاد الروسي الإقتصادي.

تكشف القراءة المتأنية للتطورات التي يشهدها الإقتصاد الروسي، عن أن مستقبل هذا الإقتصاد مرهوناً بحل لغز تناقض السياسات الإقتصادية الروسية، التي تتجه في ظاهرها نحو تخصيص الموارد، لكن في حقيقتها ونتائجها، سياسات تتجه على نحو يؤدي إلى إعادة تكريس دور الدولة في النشاط الإقتصادي، وتقوية دورها

---

[204] Merete Fredholm, *op.cit,* p 3.

[205] Robert Larsson, *op.cit,* p 48.

[206] Ibid, p 68.

[207] "مقتطفات من استراتيجية الأمن القومي لروسيا الاتحادية حتى عام 2020"، مرجع سبق ذكره.

المركزي في إتخاذ القرارات. فقد حرص بوتين وحزبه على التعامل بسياسة صارمة مع التركة الإقتصادية الثقيلة التي ورثها، حيث أعلن من اليوم الأول لحكمه أن هدفه هو مضاعفة الإنتاج المحلي وإستعادة هيبة الدور الروسي دولياً، فعمل على التخلص من أصحاب النفوذ الذين إرتبطوا بعمليات الفساد والرشوة، ورغم أنه لم يتمكن من تحقيق نجاحٍ كاملٍ في هذه الإطار، إلا أن إجراءاته شكلت إنذاراً للذين كانوا يتدخّلون في سياسة الدولة، أو الذين يقومون بتمويل أحزاب المعارضة ويسعون لإسقاط حكومته.[208]

ولكي يحقق أهدافه، إتبع بوتين عدة سياسات على الصعيدين الإقتصادي والسياسي. فعلى الصعيد الإقتصادي، حرص على تقوية الإقتصادي الداخلي من خلال الدعم الذي قدمه لمتوسطي وصغار رجال الأعمال، كما كان للجانب الإجتماعي في سياسات بوتين دوراً في طمأنة الطبقة الوسطى الناشئة وإدراكها أن نشاطها الإقتصادي والإجتماعي والسياسي مكفولاً قانوناً ومدعوماً من الحكومة. هذا إلى جانب سياسة إعادة دور الدولة عبر التحكم في قطاعي الطاقة والصناعات العسكرية كآلية رئيسية لتعزيز دور الدولة، ولدعم الإستراتيجية الرامية لإستعادة الدور الروسي في النظام العالمي.

إختلف تقييم المتابعين لأثر التحولات التي أحدثتها سياسات بوتين الإقتصادية، ما بين إيجابي وسلبي. رغم أن لكل طرف ما يؤيد رؤيته، إلا أن كثيرين يتفقون على عدة إيجابيات، منها البعد الإجتماعي في السياسة الإقتصادية ومحاولة تحسين مستوى معيشة المواطنين، التركيز على مكافحة الفساد والرشوة، وتنوع مصادر النمو في الإقتصاد الروسي، فلم يعد النمو يعتمد فقط على النفط والغاز، ولكن أصبحت هناك قطاعات أخرى تسهم بمعدلات واعدة في النمو، مثل قطاع الصناعة، خاصة صناعة المحطات النووية المستخدمة لإنتاج الكهرباء، والصناعات العسكرية.[209]

(1)- <u>الإقتصاد الروسي: مؤشرات واعدة؟</u>

إن مستقبل النمو في الإقتصاد الروسي، وإكتمال تحوله نحو آليات السوق على أسس سليمة، سيكون مرهوناً بتنفيذ إصلاحات هادفة، إذ بدون ذلك، سيبقى الإقتصاد الروسي يتقدم تارة ويتراجع تارة أخرى، في ظل عدم حسم التناقض في السياسات والتوجهات الإقتصادية. بالرغم من الإنجازات الإقتصادية في عهد بوتين، يبقى هناك العديد من التحديات التي تواجه إستمرار النمو الإقتصادي، منها ما هو مرتبط بالنفط الذي يرتبط بالإقتصاد ومعدلات النمو إضافة إلى إرتفاع معدلات التضخم، خاصة أنه تضخم غير ناجم عن زيادة السيولة النقدية في الإقتصاد الروسي، وإنما ناجم عن أوضاع إحتكارية خارجة عن سيطرة الدولة.

[208] وليم نصار، "روسيا كقوة كبرى"، مرجع سبق ذكره، ص 35.
[209] مغاوري شلبي علي، مرجع سبق ذكره.

(أ)- **سوق السلاح الدولي**.

أظهرت دراسة تغطي فترة السنوات الخمس ما بين (2010-2014) أن "الولايات المتحدة احتلت بوضوح مركز الصدارة في سوق السلاح العالمي (31% من صادرات الأسلحة) أمام روسيا التي حلت في المركز الثاني (27% من هذه الصادرات). وبهذا تكون واشنطن وموسكو قد احتكرتا حوالى 60% من صادرات الأسلحة في العالم متقدمتين بفارق شاسع عن منافسيهما".[210] وأظهرت دراسة أخرى أنه في الفترة 2009-2013، تربعت الولايات المتحدة على صدارة قائمة الدول المصدّرة للسلاح (29%)، تليها روسيا(27%).[211] ويبقى الفارق الأساسي بين الولايات المتحدة وروسيا في مجال تجارة الأسلحة أن الأولى توجه صادراتها مناصفة تقريباً بين الدول المتقدمة وتلك النامية، أما زبائن روسيا فهم من الدول النامية بنسبة 90% تقريباً. وفي خضم منافستها لزميلاتها في مجلس الأمن في تصدير السلاح، فإنها تحتل المرتبة الأولى في إفريقيا، والثانية في آسيا وأميركا اللاتينية بعد الولايات المتحدة، بينما تحتل المرتبة الرابعة في العالم العربي بعد كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا.[212] ويعود ذلك الى عدة أسباب أهمها رخص أسعار السلاح الروسي، والتوتر الحاد في علاقات عدد من دول العالم الثالث والدول الغربية والولايات المتحدة.

تدل المؤشرات على ثبات سوق السلاح الروسي، وهو مرشح للتوسع وفقاً لعدة معطيات، أهمها تنامي الصداقات الروسية ومصداقيتها القيادة الروسية حول العالم، واستعداد روسيا لتلبية حاجات الزبائن كاملة لتحررها من قيود دستورية أو علاقات أمنية، كما هي الحال في الولايات المتحدة وبعض دول أوروبا. وفي سياق متصل، أكد نائب وزير الخارجية الروسي، سيرغي ريابكوف في حديث للصحفيين على هامش المعرض الروسي للأسلحة للعام 2015، أن المنافسين يحاولون فرض قيود مصطنعة على روسيا وشركائها في التعاون العسكري بغية عرقلة تطوير هذا التعاون، وأكد أن المعارض مثل المعرض الروسي للأسلحة تؤكد أن روسيا غير منعزلة عن العالم.[213]

---

[210] "اليكم الدول المصدرة للاسلحة في العالم"، الموقع الإلكتروني: http://www.annahar.com/article/221538 (دخول 12 كانون الأول 2015).

[211] "السعودية والإمارات من بين أكثر الدول تسلحا"، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/news/international/2014/3/17 (دخول 02 تشرين الثاني 2015).

[212] Nup Shah, The Arms Trade is Big Business, Global Issue, November 09, 2009, http://www.globalissue.org/article/74/the-arms-trade-is-big-buisness (accessed November 02, 2015).

[213] " ريابكوف، منافسو روسيا في سوق الأسلحة العالمية يمارسون الإبتزاز السياسي"، سبوتنيك نيوز، 10تشرين أول 2015، الموقع الإلكتروني: http://arabic.sputniknews.com/russia/20150909/1015547724.html#ixzz3oBaoOhYF (دخول 12 تشرين أول 2015).

(ب)- **<u>واقع إقتصاد الطاقة الروسي.</u>**

تمتلك روسيا أكبر مخزون للغاز الطبيعي في العالم بكمية تبلغ 7.1 تريليون قدم مكعب،[214] وهي ثامن دول العالم في إحتياطي النفط بحجم يزيد عن 60 مليار برميل، ما أهّلها لتصبح أكبر مصدّر للغاز، وثاني أكبر مصدر للنفط بعد المملكة العربية السعودية، بل هي بالفعل أكبر مصدر للنفط خارج مجموعة أوبك.[215]

رغم أن القدرات الصناعية لروسيا تضعها ثالث مستهلك للطاقة بعد الولايات المتحدة والصين، فإن فائضاً يزيد عن 70% من إجمالي إنتاجها اليومي من النفط، البالغ 7 ملايين برميل، يتجه للتصدير.[216] إلا أنه وبالرغم من الإمكانات الهائلة فإن قطاع الطاقة الروسي يواجه مشكلات عدة أبرزها مخاطر تذبذب الأسعار التي تشهدها الأسواق الدولية. كما يفتقد هذا القطاع إستثمارات غربية يحول بينها وبين السوق الروسي غياب الإقتصاد الرأسمالي الحقيقي، إذ لا زالت موسكو تفضل "الإقتصاد الحر المحكوم" الذي يناسب الميراث السلطوي لهذه الدولة.

والإشكالية المتلازمة مع القدرة الروسية على إنتاج وتصدير النفط والغاز، تتعلق بحجم ومستوى الإستثمارات الأجنبية. يقدر الخبراء حاجات روسيا الإستثمارية في قطاع الطاقة لما بين العامين 2001 و2020 بحوالي 500- 600 مليار دولار أميركي، على شكل استثمارات أجنبية.[217] إلّا أن تدفق الإستثمارات الأجنبية دونه عواقب عديدة أهمها تدني الضمانات الحكومية وتفشي الفساد في الدوائر السياسية والإقتصادية الروسية، والتي ساهمت في خلق مناخ من عدم الثقة بالنسبة للمستثمرين الأجانب.[218]

ومن الملاحظ أن مسار التطوير الروسي الساعي الى إدخال إصلاحات جذرية في النظام الإقتصادي للبلاد من خلال استقدام الإستثمارات الأجنبية، خاصة في مجال الطاقة، قد سارت بالإتجاه الخاطىء مع استمرار الحكومة الروسية في نقض الإصلاحات الإقتصادية في مجال الطاقة.[219] لذلك إن معظم شركات الطاقة الغربية التي تأثرت بالإحتمالات المتشائمة فيما خص أرباح قطاع الطاقة الروسي، ما لبثت أن رفضت

---

[214] عاطف معتمد عبد الحميد، " عقبات في طريق مملنة النفط الروسية "، الموقع الإلكتروني:
http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/983c3c65-44c8-411a-847b-f41acdcd0135 (دخول 12 تشرين أول 2015).

[215] المرجع السابق.

[216] عاطف معتمد عبد الحميد، " عقبات في طريق مملنة النفط الروسية "، مرجع سبق ذكره.

[217] Ivan Ivanov, “*Russia’s Oil and Gas Complex and Foreign Investment”, http://www.dlib.eastview.com/sources/article.jsp?id=2822193* – (accessed December 15, 2015).

[218] Jennifer Considine, William Kerr, “*The Russian Oil Economy”,* (Edward Elgar, Northampton, 2002), 294.

[219] Jennifer Considine, William Kerr, Ibid.

خوض مغامرات استثمارية في روسيا، ومن هذه الشركات شركة إلف (Elf)، وشركة تيكساكو (Texaco)، إكسون (Exxon).[220]

يضاف إلى المشكلات السابقة حقيقة أن 30% من نقل النفط الروسي يتم عبر وسائل غير أنبوبية، كالنقل بالسكك الحديدية والنقل البحري والنهري، وهي وسائل أكثر تكلفة ثلاث مرات مقارنة بالنقل الأنبوبي.[221] إضافة الى ذلك، تعاني ناقلات النفط الروسية التهديد بالحظر من الدول التي تتذرع بأنها تولي قضايا البيئة إهتماماً لا يقل عن القضايا الأمنية، إذ تجد الناقلات الروسية إعتراضاً من تركيا بسبب تلويث البحر الأسود، ومن الدول الإسكندنافية بسبب التلويث النفطي لبحر البلطيق، ومن عدة منظمات بيئية عالمية لتلويثها مياه المحيط القطبي الشمالي، وبحر أخوتسك قبالة سخالين واليابان.[222]

إن مشاكل النقل تتفاقم خاصة في المناطق النائية حيث الإكتشافات النفطية – الغازية الجديدة، حيث تعتبر البنى التحتية المتوفرة غير كافية أو غير موجودة في الأساس.[223] وتشكل الظروف المناخية القاسية في هذه المناطق وبعد المسافات عن الأسواق المعضلة الرئيسية في وجه النقل والتصدير. وما زالت البنى التحتية المستخدمة في هذه المناطق من مخلفات الحقبة السوفياتية وهي بحاجة الى استثمارات كبيرة للترميم. ويبقي الكرملين سيطرته على هذه المنشآت من خلال شركتي ترانسنفت وغازبروم المملوكتان من الدولة، ولا توجد أي مؤشرات تدل على إمكانية تخليه عن إحتكار هذا القطاع.[224]

ومن أجل السيطرة على تدفقات الغاز باتجاه أوروبا، سعت روسيا لتأمين ضخ صادرات الغاز من دول آسيا الوسطى باتجاه أوروبا باستخدام الشبكة الأنبوبية الروسية، حيث تصدّر تركمنستان مثلاً 67% من إجمالي إنتاجها من الغاز عبر روسيا، إلا أن تقادم الشبكة الأنبوبية الروسية يطرح مشكلة حقيقية أمام استيعاب زيادة الصادرات المتوقعة من دول أسيا الوسطى لتأمين حاجة السوق العالمية المتزايدة، وخاصة الشبكة المستخدمة لنقل الغاز، حيث أدى الضغط المتزايد على الشبكة خلال شهر نيسان 2009، لحدوث إنفجار في الأنابيب التي تنقل الغاز من تركمنستان الى روسيا. ويعتقد خبراء أن الانفجار دفع حكومة عشق أباد إلى العمل على

---

[220] Marshall Goldman, "*Russian Energy: A Blessing and a Curse"*, (Journal of International Affairs, Fall 1999, 53, no.1, The Columbia University, New York), 80.

[221] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 73.

[222] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 73.

[223] Andrew Monaghan, "Russian Oil and EU Energy Security", (Conflict Studies Research Centre, Watchfield, 2005), p.11.

[224] Merete Fredholm, "*The Russian Energy Strategy & Policy: Pipeline Diplomacy or Mutual Dependence", op.cit,* p.8.

تنويع طرق نقل الغاز إلى الأسواق العالمية، ما منحها إمكان السيطرة على طرق تسويق منتجها الثمين وأساليبه، من دون الخضوع لسيطرة "غازبروم" الروسية. [225]

إلا أن الأكثر خطورة في عوامل تهديد إمبراطورية النفط الروسية هو ما قدرته أكاديمية العلوم الروسية من أن أكثر من 60% من إحتياطي النفط الروسي (وأغلب حقوله في غرب سيبيريا) على وشك النضوب، وبينما تتوقع شركات الاستثمار الغربية العاملة في روسيا عمراً لنفاذ النفط لا يتخطى 12 سنة، فيما أعلنت وزارة النفط الروسية أن الأمد المنتظر لنضوب النفط الروسي يقدر بـ 35 سنة.[226]

هذا من النواحي الطبيعية والتقنية، أما على صعيد المجابهة الدولية لاحتكار روسيا لسوق الطاقة، فتشكل المشاريع المضادة، الخطر الأساسي على سوق الطاقة الروسي، فبالإضافة الى حرب أسعار النفط، تم التخطيط لعدة مشاريع بهدف كسر الإحتكار الروسي لنقل الغاز الى أوروبا، منها على سبيل المثال مشروع مشترك بين قطر للبترول وإكسون موبيل الأميركية وتوتال الفرنسية يهدف الى نقل الغاز المسال الى السوق الأوروبية عبر الناقلات، وقد وصلت أولى شحنات الغاز القطري الى بريطانيا في منتصف أيار 2009. وبحسب وسائل الإعلام البريطانية فإن أسطول قطر للغاز المسال سيقوم بإرسال سفينة الى بريطانيا كل ثلاث أيام لتأمين الغاز في وقت تزداد سيطرة روسيا على أمن الطاقة في أوروبا. وتمثل الكمية التي تم الإتفاق على توريدها من قطر الى بريطانيا 13% من حاجة السكان للغاز، تضاف الى إمدادات قطرية متفق عليها سلفاً من الغاز المسال تمثل نحو 15% من حاجة بريطانيا من الغاز.[227]

إلا أن اعتماد حل الناقلات قد يخفف من اعتماد بعض الدول الأوروبية على الغاز الروسي، ولكن ستبقى دول أخرى بحاجة لهذه الخدمة، خاصة دول أوروبا الوسطى ومنها ألمانيا، حيث أن إبحار الحاملات في بحر الشمال شتاء تشوبه مخاطر كبيرة، إضافة الى وجود شك حول استطاعة أسطول من الحاملات تأمين الكمية المطلوبة، خاصة لبلد صناعي عملاق كألمانيا.

(ج)- **<u>أوروبا والإحتكار الروسي.</u>**

تحاول الدول الأوروبية مواجهة تحكم روسيا بأمن الطاقة من خلال عدة وسائل، منها إقامة شراكة بين أذربيجان وجورجيا وتركيا، لدفع مشروع خط أنابيب باكو- تبليسي- أضروم الذي سيمتد بموازاة خط النفط

---

[225] مازن عباس،" تركمانستان تمد خطي أنابيب لنقل الغاز الطبيعي خارج الأراضي الروسية"، جريدة الحياة، العدد 17030 تاريخ 2009/11/19، ص 13.

[226] عاطف معتمد عبد الحميد، " عقبات في طريق مملنة النفط الروسية "، مرجع سبق ذكره.

[227] الموقع الإخباري لقناة الجزيرة، نقلاً عن صحيفة الديلي تلغراف البريطانية بتاريخ 13 أيار 2009، أنظر أيضاً "هل تسحب قطر أموالها من لندن بعد حملة "التلغراف"؟، وكالة القدس الآن الإخبارية، الموقع الإلكتروني: http://www.alqudsalaan.com (دخول 05 تشرين الثاني 2015).

الشهير باكو– تبليسي– جيهان، ويهدف هذا المشروع الى سحب الغاز من بحر قزوين والحقول الغربية لآسيا الوسطى وضخها الى تركيا، لوقف السيطرة الروسية التي تستفيد من بيع كميات متزايدة للسوق التركية عبر خطوط أنابيب السيل الأزرق تحت مياه الجزء الشرقي من البحر الأسود، والذي بدأ تشغيله العام 2003.[228] كما أنه هناك مشروع إيراني لنقل الغاز عبر أراضي كل من تركيا وبلغاريا ورومانيا والمجر، وصولاً إلى النمسا،[229] إلا أنه من المستبعد أن تقوم إيران بتفعيل هذا المشروع حالياً، نظراً للعلاقات الجيدة التي تربطها بروسيا من جهة، ولعدم وضوح نتائج الإتفاق الخاص ببرنامجها النووي ومفاعيله على علاقاتها الدولية من جهة أخرى، في ظل ضغوط الأزمة السورية على المشهد العام في الشرق الأوسط، بل قل في العالم.

من جهة أخرى، يعمل الإتحاد الأوروبي على عدم توتير الأجواء مع روسيا في قضايا الغاز وأسعاره، إذ ليس في مصلحة الإتحاد في الفترة الحالية معاداة روسيا، والأخيرة تحاول الإستفادة من هذا الأمر في تحسين مكانتها من خلال المزيد من الهيمنة على القرار السياسي والإقتصادي للدول المجاورة لها، وقد ظهر التردد الأوروبي جلياً إبان الأزمة الأوكرانية واختلاف وجهات النظر الأوروبية حيال العقوبات الإقتصادية ضد روسيا. وفي مجمل الأمر يمكن القول أن موسكو نجحت لغاية الآن في تحويل ملف الغاز الى ورقة ضغط جيوسياسية في القارة الأوروبية وتجاوزت مرحلة الإستعانة بالغاز لمعالجة العجز الإقتصادي للدولة. وتحاول روسيا بشتى الطرق المحافظة على هذه المكتسبات، من خلال الإقناع كما حصل مع تركمنستان التي أقنعها بوتين بالإنسحاب من مشروع خط نابوكو في العام 2006، أو بواسطة القوة، حيث قدمت حرب القوقاز بين روسيا وجورجيا في آب 2008 الفرصة المثالية للدبابات الروسية كي تدهس في طريقها أنابيب الغاز التي أنشات ضمن مشروع نابوكو، لتعطي إشارة واضحة للممولين الغربيين من أن بقاء القوات الروسية في أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا يجعل هذا الخط عرضة للتهديد الروسي، وخير دليل على ذلك ما قامت به فرقة عسكرية روسية من احتلال إحدى محطات ضخ الغاز المنتظر وصلها بخط نابوكو الموعود.[230]

---

[228] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 81.

[229] نورهان الشيخ، "روسيا والاتحاد الأوروبي : صراع الطاقة والمكانة"، السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات، العدد 164، القاهرة، نيسان 2006، ص 164 .

[230] Andrew E.Kramer, "Russia's energy business is Putin's personal Project", The New York Times, January 29, 2009, http://www.nytimes.com/2009/01/29/world/europe/29iht-29putin.19765474.html.(accessed November 12, 2015).

(2)– قدرة الإقتصاد على صمود.

شكل إنخفاظ أسعار النفط خلال ما اصطلح على تسميته "الحرب البترولية العالمية الثانية"،[231] اختباراً فعلياً لقدرة الإقتصاد الروسي على الصمود، في ظل الهبوط الحاد في سعر صرف الروبل مقابل الدولار الأميركي. المفاجأة كانت بصمود الإقتصاد بالرغم من العقوبات الإقتصادية التي فرضت على روسيا بسبب الأزمة الأوكرانية، في محاولة منها لتكرار أزمة روسيا الإقتصادية العام 1998. لماذا لم ينهار الاقتصاد الروسي؟

منذ سقوط قيمة الروبل في أواخر العام 2014، ورفع سعر الفائدة من قبل البنك المركزي الروسي، برزت بوادر أزمة اقتصادية قد تعصف بروسيا، إلا أن الإقتصاد الروسي بالرغم من أزمته لا يبدو متجهاً نحو كارثة محققة. بالرغم من أن الهبوط الحاد في أسعار النفط شكّل صدمة في موسكو، لاسيما لتزامنه مع العقوبات الغربية، إلا أن روسيا إستطاعت تاقي هذه الصدمة، فهي تتمتع بفائض كبير من العملات الأجنبية، وبدين عام لا يتجاوز 20٪ من الناتج القومي (GDP)، ورغم أن الدخل بالدولار قد هبط إلى النصف بعد سقوط أسعار النفط، فإن الروبل قد هبط بنفس النسبة، مما يعني أن دخل الحكومة بالروبل لم يتغيّر تقريباً أثناء الأزمة الأخيرة. بالإضافة إلى ذلك، يتم تقييم الدين الخارجي العام والخاص لروسيا، والذي لا يتجاوز 40٪ من الناتج القومي، بالروبل، ما يعني أن لهبوط العملة جانب إيجابي لا يجعل الوضع الروسي شديد السوء.[232]

ما هي المشكلة التي قد تزيد من تفاقم الأزمة؟ إحدى أبرز أسباب هبوط الروبل هي تحويل رؤوس الأموال إلى الخارج، وهو ما حاول رجال الأعمال الكبار في روسيا القيام به خوفاً على ثرواتهم، وكذلك عمل الكثيرين على تحويل أموالهم من الروبل إلى الدولار أو اليورو، كل ذلك يزيد الضغوط على البنك المركزي الروسي، فانهيار الروبل سيؤدي إلى زيادة في التضخم، والذي يبلغ حالياً حوالي 11٪، متجاوزاً الـ5٪ التي لا يريد البنك المركزي أن يتجاوزها السوق الروسي.[233] في هذا السياق نستطيع أن نفهم رفع أسعار الفائدة، والتي قد تساهم في تخفيف نقل الأموال إلى الخارج، وكذلك القيود التي وضعها الكرملين على عمليات التحويل والنقل،

[231] صالح السليمان، "حرب البترول العالمية الثانية: السعودية وإيران وروسيا"، ميدل ايست أونلاين، 2014/12/20، http://middle-east-online.com/?id=190537، (دخول 12 تشرين الأول 2015). (الحرب البترولية العالمية الأولى كانت عام 1973 وقامت بها دول الخليج رداً على التحيّز الأميركي لصالح إسرائيل).

[232] Charles Wyplosz, Why Russia's Economy will not collapse, Project Syndicate, https://www.project-syndicate.org/commentary/russia-economy-wont-collapse-by-charles-wyplosz-2015-01, (accessed October 10,2015).

[233] Ibid.

واستطراداً لا يمكننا القول إن اقتصاد روسيا على وشك الإنهيار، خاصة بعد ارتفاع سعر برميل النفط الخام مجدداً، ولكن يبقى الخطر موجوداً في حال انهيار الأسعار مجدداً على ضوء تفاقم الأزمات الدولية.

إلا أنه وبالرغم من صمود الإقتصاد الروسي لحينه، إلا أن روسيا ستخسر حوالي 32 مليار يورو سنوياً بسبب العقوبات الغربية المفروضة عليها، وثمانين مليار يورو تقريباً بسبب تراجع أسعار النفط، وفق ما قاله وزير المالية الروسي أنطون سيلوانوف في شهر تشرين الثاني 2014، وهذا ما يمكن أن يدخل روسيا في ركود مؤلم في عام 2015 وربما بعده. وفي تقرير منفصل توقعت وكالة موديز للتصنيف الإئتماني أن يستمر كساد الإقتصاد الحاد في روسيا حالياً حتى عام 2017. وفي وقت سابق من العام 2014 توقع صندوق النقد الدولي أن ينكمش الإقتصاد الروسي بنسبة 3% في عام 2015 و1% عام 2016. وأفادت بيانات بأن الإحتياطي النقدي الروسي فقد نحو 134.2 مليار دولار في نحو عام، حيث تراجع من 510.5 مليارات دولار مطلع كانون الثاني 2014 إلى 376.3 مليار دولار نهاية شباط 2015. وفي الوقت نفسه اعترف البنك المركزي الروسي بأن التضخم قد يصل إلى 15% في العام 2015.[234]

الى ذلك لا بد من الإشارة الى أن روسيا باتت تشهد انخفاضاً في الموارد المالية، وقد نقل عن وزير المالية الأسبق ألكسي كوردين قوله إن إجراءات الحكومة لدعم اقتصاد المواطنين غير كافية، وأنه في الوقت الذي يركز فيه الرئيس بوتين على سوريا، يعاني الإقتصاد الروسي من الإنكماش، والفقر يزداد، وسعر صرف الروبل ينخفض، والعقوبات الإقتصادية تضغط على الكرملين، وعائدات النفط، البقرة الحلوب لروسيا، في تدهور بسبب إنخفاض الأسعار. وأشار كوردين الى أن محاولة التوسع الحالية لروسيا تشبه التوسع المفاجئ للإتحاد السوفياتي في خمسينيات القرن الماضي والذي سبب بانهياره بعد خمسين سنة، محذراً من أن كلفة التدخل الروسي في سوريا قد تؤدي الى بداية نهاية البوتينية.[235]

---

[234] معهد أبحاث السياسة الخارجية الأمريكي، "3 أسباب تدفع الاقتصاد الروسي نحو الركود خلال 2015"، الجزيرة، نقلاً عن موقع الأناضول الإخباري، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2015/3/2/3- (دخول 30 تشرين الثاني 2015).

[235] Colbert I. King, "Is Syria the beginning of the end of Putinism?", The Washigton Post, October 27, 2015, https://www.washingtonpost.com/opinions/the-beginning-of-the-end-of-putinism/2015/11/27/5080978c-9462-11e5-8aa0-5d0946560a97_story.html (accessed November 11, 2015).

(3)- قياس قوة الدولة الروسية.

إن التكهّن بشكل العالم المستقبلي ودور الدول فيه، يعتبر مغامرة في عالم تملؤه المتغيرات. إن أبعاد العالم المتعددة، أكانت اقتصادية، سياسية، جغرافية أو إجتماعية يمكن أن تقدم بعض الإرشادات حول مقاربة فلسفية لتكهناتنا الإستراتيجية، لذلك يجب التدقيق جيداً في تأثير هذه الأبعاد على نتائج تكهناتنا.[236]

بالإعتماد على علم الفيزياء، ربط العالم الأميركي ريتشارد فينمان (Richard Feynman) بين دراسة الفيزيائي ألبرت أينشتاين (Albert Einstein) المتعلقة بانتقال الجزئيات في الكون وبين حركة المجتمعات الإنسانية. وصف أينشتاين في هذه النظرية حركة الجزئيات بأنها غير منتظمة، تنتقل في هذا الكون في مسارات غير ثابتة، مما يتسبب بتصادمها في الكثير من الأحيان، وينتج عن هذا التصادم إما تدميرها لبعضعها البعض، أو إجبار بعضها للسير في ركب البعض الآخر. بعد تشبيهه المجتمعات الإنسانية بهذه الجزئيات، إستنتج فينمان أن هذه المجتمعات، أكانت قبائل أو دولاً، بدائية أو متطورة، تنحو في مساراتها عبر التاريخ بمسارات مشابهة لهذه الجزئيات، لذلك رأينا وسنرى دولاً وإمبراطوريات وممالك إرتفعت وسقطت، كبرت وصغرت، ضمن مسارات تاريخية مختلفة. إن تصادم هذه المسارات سبب دمار بعض هذه الدول، أو تقسيمها، أو إجبار بعضها على اللحاق بالمسار الأقوى.[237]

في ظل عدم وضوح وعدم ثبات إتجاهات المسارات التاريخية في ضوء المتغيرات التي تصيب أبعاد هذا العالم المؤثرة فيه، لا بد من دراسة هذه الأبعاد بإسقاطها على الدولة موضوع الدراسة، وذلك من خلال دراسة مكامن القوة والضعف المؤثرة على مسار هذه الدول.

"لقد أوضح تطوّر صورة الحرب أن التخطيط للإستراتيجية يتطلب دقّة المعرفة بعدة عوامل أخرى ليست ذات طابع عسكري بالرغم من تأثيرها العسكري، هذا التخطيط الذي يستهدف إضعاف مقاومة العدو وتعطيله بشل تجارته وتدمير إقتصاده، أو بالتحديد تدمير بنية الإقتصاد المعادي التحتية."[238] وفقاً لنظرية آدم سميث[239] المتعلقة بالأسس الإقتصادية للقوة العسكرية، "لا يُحتفظ بالأساطيل والجيوش بواسطة الذهب والفضة بل بالسلع الإستهلاكية. فالوطن الذي دخله السنوي المنتَج من صناعته الوطنية ومن زراعة أرضه

---

[236] Reva Bhalla, “Quantum Geopolitics”, Stratfor, https://www.stratfor.com/weekly/quantum-geopolitics?utm_source=freelistf&utm_medium=email&utm_term=Gweekly&utm_campaign=20150728&utm_content=readmoretext&mc_cid=6a57dd2b30&mc_eid=06f8b4d85f (accessed January 08, 2015).

[237] Reva Bhalla, op.cit.

[238] زكريا فواز، "الأسس الإقتصادية للقوة العسكرية"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، اليرزة، العدد 33، حزيران 2000، ص 57.

[239] آدم سميث Adam SMITH (1723-1790)، إقتصادي سكوتلاندي مؤلف كتاب "بحث في طبيعة ودوافع ثروة الأمم".

ومن يده العاملة، ومن سلعه الإستهلاكية المنتَجة محلياً والذي يستطيع أن ينتج فائضاً يدعم به شراء السلع الإستهلاكية من ممالك بعيدة، هذا الوطن يستطيع أن يقوم بالحروب خارج أراضيه".[240] عند إسقاط هذه النظرية على الحالة الروسية، فإنه لا يمكن لروسيا الإعتماد على قوة عسكرية غير مستندة الى سياسة إقتصادية مبنية على تعدد مصادر الدخل، فتلبية لشروط تطوير للقوات المسلحة، باعتبارها الأساس لفرض هيبة الدولة الكبرى، يجب أن يحتل التطور الإقتصادي الأولوية لدى القيادة الروسية.[241]

إن إنخفاض أسعار النفط والغاز خلال الربع الأخير للعام 2014 [242] مع ما رافقه من عقوبات إقتصادية فرضت على موسكو إثر الأزمة الأوكرانية، ألحقت أضراراً هامة في الإقتصاد الروسي واعتماديته بالرغم من اعتبار الرئيس بوتين أن ما حصل يدعم الإقتصاد على المدى الطويل من خلال زيادة التنوع الإقتصادي في روسيا.[243] إن اعتماد الدولة الروسية على النفط كرافعة أساسية غير مستقرة للإقتصاد يشكل نقطة ضعف يمكن استغلالها من قبل منافسي روسيا، وهذا ما حصل بالفعل إبان حرب النفط الأخيرة على خلفية الأزمة الأوكرانية، أضف الى كل ذلك غياب الإستثمارات الجديدة المباشرة للتنقيب عن حقول نفط جديدة، فإن قطاع الغاز والنفط في روسيا قد لا يوحي بالتفاؤل على المدى البعيد.[244]

(أ)– <u>قدرة الدولة على التأثير</u>.

لا يمكن إغفال أنه في العصر الحديث، ومع التقدم السريع في الفن العسكري والتكلفة المرتفعة التي يفترضها إنشاء جيش متطور تكنولوجياً، لا يمكن فصل القوة الإقتصادية عن القوة السياسية والعسكرية.[245] ومن هنا لا بد لنا من قياس قوة روسيا الإتحادية بالإرتكاز الى العلاقة بين القوة العسكرية والسياسة والإقتصاد، الثلاثي الأساس لقياس قوة أي دولة، إذ أن لعوامل القوة الدور الأساسي في تحديد مكانة الدولة على الساحة الدولية.

---

[240] Adam SMITH, an Inquiry into the nature and causes of THE WEALTH OF NATIONS, Edited by Edwin CANAAN, (New York: The Modern Library, 1994), 468.

[241] TimoKivinen, Col, "*Russia's National Interests and Ukraine. What Policies Might Russia Adopt in Pursuing These Interests?*" (Research Paper, Royal College of Defence Studies, July 2008), 7.

[242] Nasdaq, Crude Oil WTI (NYMEX) Price, May 2014 – May 2015. http://www.nasdaq.com/markets/crude-oil.aspx?timeframe=1y (accessed September 15, 2015).

[243] Szu Ping Chan, "Russia remains defiant as EU sanctions and oil price fall paralyse economy," The Telegraph, April 21, 2015. http://www.telegraph.co.uk/finance/economics/11552014/Russia-remains-defiant-as-EU-sanctions-and-oil-price-fall-paralyse-economy.html (accessed September 16, 2015).

[244] Andrew Monaghan, "Russian Oil and EU Energy Security", *op.cit,* p.11.

[245] زكريا فواز، مرجع سبق ذكره، ص 76.

إن القوة كمفهوم هي ليست التأثير، وإنما القدرة على التأثير، وتستند هذه القدرة على امتلاك الدولة إمكانيات معينة تشكل مقومات القوة القومية (Elements of National Power) التى تمكنها من التأثير على الدول الأخرى من أجل تحقيق مصالحها، حيث يتم التمييز فى تحليل مقومات قوة أي دولة بين مصادر القوة (Power Resources)، التي هي عناصر القوة التى تمثل موارد عامة، ويمكن أن تستخدمها الدولة على المدى الطويل لامتلاك أو تطوير قدرات معينة تستخدم فى التأثير، كالموقع الجغرافي، وعدد السكان، والموارد الإقتصادية، والقاعدة الصناعية، والإمكانات العلمية والتكنولوجية، وتمثل هذه المصادر عموماً أسس لقوة الدولة، وبين قدرات القوة (Power Capabilities)، وهي عناصر القوة التى تمثل قدرات محددة ويمكن أن تستخدمها الدولة مباشرة فى عملية ممارسة التأثير على المدى القصير، كالقوات المسلحة، والإحتياطات النقدية، والأدوات الدبلوماسية، وأجهزة الاستخبارات، وتمثل هذه القدرات عموما أدوات لقوة الدولة.[246]

(ب)- **<u>مصادر القوة للدولة الروسية.</u>**

سترتكز دراستنا لقوة روسيا على فحص مصادر القوة فيها. إن المنهج الطبيعي لهكذا دراسة يجب أن يتبع أسس القوة القومية للدولة استناداً الى تفاعل العناصر الرئيسية الثلاثة فيها، الأرض والشعب والحكومة، وتشكل دراسة قوة روسيا في هذا المجال حالة تستوجب الفحص الدقيق، إذ أن إغفال أي تفصيل يمكن أن يؤدي الى استنتاجات خاطئة.

يعبّر عن الأرض أو الإقليم عادة بالعامل الجغرافي الذي يشتمل على عدة عناصر أساسية، منها الموقع الجغرافي، والمساحة الجغرافية. روسيا صاحبة أكبر جغرافيا في العالم، حيث تشكل مساحتها سدس الكرة الأرضية تقريباً، ويقع 60 % من أراضيها ضمن دائرة القطب الشمالي الذي يعتبره البعض الأكثر حيوية على هذا الكوكب في المرحلة الراهنة.[247] ويؤمن الموقع الجغرافي الروسي لموسكو إتصال مباشر مع غالبية القوى الفاعلة العالمية في أوروبا وآسيا وأميركا، فامتداد الكتلة الروسية سمح بوصول روسيا الى منافذ المحيط الهادئ والقطب الشمالي وبحر البلطيق والبحر الأسود، كما سمح لها بالهيمنة المباشرة على آسيا الوسطى، وغير المباشرة على شرق أوروبا والبلقان. أما المساحات الجغرافية الشاسعة، فيكمن في سهوبها أكبر احتياط في العالم من الماء والغابات، وتحتوي في باطنها على ثروات كبيرة من الطاقة والمعادن المختلفة، ويحوي سطحها على مساحات زراعية واسعة. كما تلعب المساحة الشاسعة دوراً أساسياً في اكتساب روسيا للعمق

---

[246] مهدي محمد، "عوامل قوة الدولة"، المدونة الإلكترونية، تشرين الثاني 2009، نقلاً عن مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، الموقع الإلكتروني: http://bohothe.blogspot.com/2009/11/blog-post_4002.html

[247] سهيل فرح، مرجع سبق ذكره، ص 27.

الإستراتيجي الطبيعي، الذي شكل عبر الزمن الدفاع الفعّال في وجه مخاطر الغزو كما ذكرنا سابقاً. وتتمثل أهمية الموارد الإقتصادية التي يؤمنها الإقليم الروسي بتأمين القدرات المالية التي تمثل عنصر قوة، كما أنها تمثل الأساس المادي للنمو الإقتصادي، والتبادل التجارى فى إطار الإقتصاد الدولي.

أما عنصر الشعب، ويعبّر عنه عادة بالعامل الديموغرافي، فيمثل وزناً جوهرياً بين أسس قوة الدولة، إذ أنه يتيح لها قوة العمل اللازمة لتطوير إقتصادها، كما يتيح لها القوة البشرية اللازمة لبناء الجيوش. ويشكل عدد السكان العامل الأكثر أهمية ضمن عناصر القوة البشرية. وتتضح معالم هذا المؤشر أكثر بإضافة كثافة السكان إليه، أي نسبة عدد السكان الى مساحة الدولة القابلة للحياة فيها، وتكمن أهمية ذلك فى أنه يوضح حجم الضغط على الموارد، ونمط الحياة فى الدولة.[248] ويشكل هذا العنصر نقطة ضعف لدى روسيا على المدى المتوسط (20 سنة) والبعيد، نظراً لتناقص عدد السكان السنوي، وإن كانت الدولة تولي هذه المشكلة اهتمامها. (سيتم تفصيل مشكلة تناقص عدد السكان لاحقاً في هذا الفصل).
كما يشكل توزيع السكان، نقطة ضعف إضافية لروسيا، بعد الأخذ بعين الإعتبار لمؤشر التوزيع العمري للسكان، ومؤشر التوزيع الجغرافى للسكان على أقاليم أو مدن وأرياف الدولة.[249] فبالنسبة الى روسيا، ونتيجة لمعدل الولادات المنخفض، فإن قوة العمل والقدرة على التجنيد في تناقص مستمر، كما أن معدل عمر السكان المرتفع فيها يفرض على موسكو أعباء إقتصادية ضخمة نتيجة معدلات التقديمات الإجتماعية المرتفعة، ما يؤشر إلى بعض المشاكل الإقتصادية المحتملة على المدى البعيد، أو الى مشاكل اجتماعية ناتجة عن عدم القدرة على تقديم خدمات اجتماعية كافية ولائقة لشريحة كبيرة من المجتمع. أما بالنسبة الى التوزيع الجغرافي للسكان، فإن مساحات شاسعة من الأراضي الروسية غير قابلة للسكن بصورة دائمة، خاصة في سيبيريا، وهذا ما جعل الجزء الأوروبي منها يضم النسبة الكبرى من السكان الروس، ما يخلق مشكلة للحكومة المركزية في موسكو من حيث ارتفاع الكثافة السكانية في أماكن محددة، وخاصة في المدن الكبرى، وما ينتج عن ذلك من ارتفاع في معدلات البطالة والجريمة، وعدم القدرة على تقديم الخدمات الإجتماعية وتوفير الأمن للسكان كافة. ومن جهة أخرى يُظهر مؤشر التنوع العرقي والديني لسكان روسيا بروز مشاكل مستقبلية محتملة، وهذا ما تم تفصيله في الفقرات اللاحقة من هذا الفصل.

بالنسبة الى عنصر الحكومة، فهو يرتبط بالإطار السياسي الذي يخلق النظام System الذى يمكن فى إطاره تحويل الموارد إلى قدرات.[250] فروسيا الإتحادية تمتلك أسس قوة هائلة من مساحة، سكان، موارد، خبرات

---

[248] مهدي محمد، مرجع سبق ذكره.
[249] المرجع السابق.
[250] المرجع السابق.

وثقافة تمكنها من أن تكون قوة عظمى متكاملة، إلا أن سلبيات النظام السياسي فيها قد أدت إلى تحولها لدولة تعاني من مشاكل مزمنة. وبالرغم من اتباع روسيا للنظام الديمقراطي كوسيلة لانبثاق السلطة فيها، إلا أن المجتمع السياسي الروسي لا يزال يعاني العديد من العوائق النفسية في التعامل مع انبثاق السلطة واستخدامها، بالإضافة لوجود شكوك حول استقامة العملية الديمقراطية الروسية، ما يهدد استقرار النظام السياسي، ويؤثر بالتالي على فعالية عمل المؤسسات. فالمؤسسات المستقرة تكفل إدارة العملية السياسية داخل الدولة دون مشاكل قائمة أو محتملة، وهذا ما زالت تعاني من فقدانه المؤسسات السياسية الروسية، خاصة على صعيد السياسات المتعلقة بآلية اتخاذ القرار، أضف الى ذلك الإتهامات لحزب بوتين الحاكم بممارسة ستالينية جديدة مقنّعة، وهذا الشعور يمكن أن يؤدي إذا ما تفاقم الى عواقب وخيمة على الإستقرار السياسي داخل روسيا، وبالتالي على قوة روسيا واستقرارها.

(ج)- **<u>مراكز الثقل الإستراتيجية لروسيا.</u>**

في دراسة مفصلة لمراكز الثقل في قياس قوة الدولة الروسية، نستطيع التمييز بين مركز ثقل سياسي وآخر إقتصادي، مع الإشارة الى حتمية التناغم بينهما للمحافظة على التقدم الملحوظ الذي تشهده النهضة الإقتصادية الجديدة التي أدت الى عودة روسيا الى المحافل الدولية.

فمن حيث مركز الثقل الإقتصادي، فإن القدرات الحيوية (Critical Capabilities) الروسية تتمثل بالثروات الباطنية وعلى رأسها الطاقة، لذلك فإن المتطلبات الحيوية (Critical Requirements) للإستفادة منها ترتكز على إيجاد أسواق دائمة لتصديرها، والمحافظة على أسعارها، ما يحتم على القيادة السياسية الروسية العمل على حماية نقاط الضعف الحيوية (Critical Vulnerabilities) المتمثلة بحماية وسائل تصدير الطاقة مثل شبكات أنابيب النفط والغاز، ونسج علاقات إقتصادية متينة مع شركاء إقتصاديين يمكن الإعتماد عليهم، والمحافظة على احتكاراتها لبعض أسواق الطاقة، الى جانب تنسيقها الدائم مع منظمات الطاقة الدولية للمحافظة على ثبات أسعار النفط والغاز، والحفاظ على احتياطات العملات الأجنبية.

أما بالنسبة الى مركز الثقل السياسي، فمن البديهي أن تمثله القيادة الحالية وفي مقدمتها الرئيس بوتين والذي إستطاع الإنتقال بروسيا للعب الدور الفاعل على صعيد السياسة الدولية، لذلك فإن القدرات الحيوية لمركز الثقل السياسي تتمثل بشخصية الرئيس وقدرته على الإستمرار على رأس السلطة، لذلك فإن المتطلبات الحيوية تتركز على استمرارية الإستقرار السياسي والقدرة على إقناع الناخب الروسي بصوابية النهج "البوتيني" ومواجهة الصعوبات المحتملة لا سيما الإقتصادية منها، في حين تتمحور نقاط الضعف الحيوية في هذا المجال في حفظ الإستقرار الإجتماعي، المحافظة على النهج الديمقراطي ولحمة الإتحاد الفدرالي.

وفي دراسة للوضع في روسيا يمكن لنا استخلاص عدة نقاط قوة توفر للحكومة المركزية إمكانيات لا يستهان بها، خاصة لجهة المخزون الوافر من الموارد الطبيعية، بالأخص من النفط والغاز، ما ساهم بـ خمسة عشر عاماً من فائض في الحسابات المصرفية، حيث استطاعت تجاوز الأزمات الإقتصادية، بالإضافة الى تدني الدين العام، مع إحتياطات مريحة من العملات الأجنبية. كما يمكن لنا استخلاص العديد من نقاط الضعف التي تؤثر سلباً على قوة الدولة الروسية على المديات المتوسطة والبعيدة ومنها الحاجة الملحّة الى إصلاحات على مختلف الأصعدة، سرعة تأثر مفرطة حيال تقلبات أسعار النفط العالمية، هجرة رؤوس الأموال، تدني سعر صرف الروبل المستمر إزاء باقي العملات الأجنبية، والإفتقار الى حكم القانون وإنتشار الفساد بالرغم من محاولات محاربته. أضف الى ذلك المخاطر الجيوبوليتيكية المتأتية من الصراع مع الغرب، مع ما نتج عنه من عقوبات وعقوبات مضادة، كما في حالة الأزمتين الجورجية والأوكرانية وربما السورية مستقبلاً.[251]

ب- **<u>إستقرار إقليمي هش في ظل تنامي العصبيات القومية.</u>**

تعتبر المسألة القومية في الإتحاد الروسي من أهم المسائل التي تحتاج الى معالجة متأنية من أجل ضمان الإستقرار داخل الإتحاد. وفي الحقيقة، لم تستطع إمبريالية روسيا القيصرية ولا اتحادية روسيا السوفياتية ولا استراتيجية روسيا ما بعد الحرب الباردة أن تبتعد بأي شكل عن المسألة القومية، إنما حاولت كل منها معالجة هذه المسألة بطريقتها الخاصة عبر إضفاء طابعها الجيوبوليتيكي السائد حينها.[252]

لاقت المسألة القومية إهتمام النخب الحاكمة الروسية القيصرية والسوفياتية و"البوتينية" على السواء، وقد شغلت حيزاً هائلاً من الفكر السياسي والثقافي الروسي، حيث تمت دراستها وتحليلها باستنباط أفكار تساهم في تدجينها داخل بوتقة الإتحاد، فالسياسة اللينينية اتجهت الى تغليب عامل المساواة بين القوميات المشاركة في الإتحاد، القومية الأكبر الروسية والقوميات الأصغر مثل الجورجية والكازاخية والأوزبكية والأوكرانية وغيرها، إلا أن هذه السياسة لم تنجح في معالجة المشكلة الجورجية حينها والتي كان يحكمها المناشفة،[253] فبالرغم من النزعة نحو المساواة، لم تسوى الأمور إلا بعد إرسال الجيش الأحمر الى جورجيا العام 1921، حيث وقعت جورجيا، ونتيجة التدخل العسكري على معاهدة تحالف مع الجمهورية الروسية السوفياتية.[254]

---

[251] Country Report 2015, Russia, Euler Hermes Economic Research, p1, http://www.eulerhermes.com (accessed September 15, 2015).

[252] سمير كرم، "المسألة القومية تطل من جديد"، جريدة السفير، العدد 11098، 2008/09/12، ص19.

[253] المناشفة هم أعضاء الأقلية في الحزب الديمقراطي الإجتماعي الروسي بعد إنشقاقهم عن البلاشفة، وقد شكلوا الأغلبية قبل إنتصار ثورة 1917.

[254] سمير كرم، مرجع سبق ذكره.

أما ستالين فقد حاول تحويل الوعي القومي في الإتحاد الى وعي أممي متجاوزاً حدود القومية، والعمل على تغليب التضامن الطبقي على الشعور القومي. إلا أن هذه الإستراتيجية كانت مستحيلة التطبيق، وأفضت في ظروف التصفيات الستالينية للخصوم الى إجراءات مضنية من أجل إضفاء الطابع الروسي على الثقافة، مع الإحتفاظ بشعارات المساواة والوحدة مع القوميات الأخرى، حيث كان من الضروري مثلاً تغليب اللغة الروسية على سواها. وحتى ستالين الجورجي المنشأ، لم يستطع الخروج من تأثير المسألة القومية الروسية، فها هو في خطاب احتفال بالنصر في 24 أيار 1945 يحيّي الشعب الروسي لا السوفياتي قائلاً: " لقد برهنت هذه الحرب أن روسيا هي الأمة القائدة في الإتحاد السوفياتي، فقد اكتسبت حق الإعتراف بها مرشداً للإتحاد كله... إنها تمتلك مآثر سائدة هي نقاء الفكر وصلابة الأخلاق".[255]

ويعتبر إدوارد شيفارنادزه خير مثال على تأثير القومية على قراراته، فها هو في المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي العام 1976 يقول "أيها الرفاق، إن جورجيا تسمى بلد الشمس، لكن الشمس الحقيقية لم تبزغ لنا من الشرق إنما من الشمال في روسيا، إنها شمس أفكار لينين". وفي العام 1991 وبعد إنهيار الإتحاد السوفياتي عاد شيفارنادزه جورجياً بالمعنى القومي للكلمة[256] ورفض إنضمام جورجيا الى كومنولث الدول المستقلة إلا بعد الضغوط التي مارستها عليه موسكو من خلال وجود قواتها في القواعد السوفياتية السابقة في بلاده.

ولا يزال الإستقرار الهش في جورجيا يشكل خطراً مزدوجاً على روسيا وجورجيا على حدٍ سواء، فالإعتراف الروسي من طرف واحد باستقلال أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية جاء على خلفية مطالب قومية للأبخاز والأوسيت الروس بالإستقلال، الأمر الذي يرفضه العقل القومي الجورجي باعتبار أراضي هذين الإقليمين تاريخياً أراضٍ تابعة للأكثرية الجورجية. فماذا لو وصل الصقور الى الحكم في جورجيا مجدداً، وسيطرت النزعات القومية مجدداً على تصرفات الأفرقاء، خاصة في ظل التفاقم التدريجي والدراماتيكي للوضع في أوكرانيا؟؟

وتعتبر المشكلة الأوكرانية المثال الآخر الحي عن المخاطر التي تواجه الإستقرار الإقليمي لا بل الدولي. ولعل النقطة البالغة الأهمية في كل ما يجري، هو الإرادة الروسية بالإحتفاظ استراتيجياً وأمنياً وثقافياً بدور الإقليم القاعدة في العالم الشاسع الذي تقع فيه روسيا.[257]

---

[255] سمير كرم، مرجع سبق ذكره.
[256] المرجع السابق.
[257] المرجع السابق.

ج- **المصاعب الداخلية: المشاكل الإجتماعية والحريات واستقرار النظام السياسي.**

(1)- الخلل الديموغرافي.

تشير الإحصاءات الى أن الروس يشكلون نحو 77.7% من إجمالي سكان روسيا وهو ما يعني من الناحية الحسابية أن الروس ذوو سيادة عرقية في وطنهم.[258] لكن بعيداً عن الأرقام الحسابية، تعاني روسيا من أزمة ديموغرافية على عدة مستويات.

فمع حرية التنقل والإقامة أصبح الروس لا يتوزعون بشكل متعادل في كافة أنحاء البلاد، بل يتركزون في روسيا الأوروبية، في مقابل تفريغ سيبيريا والشرق الأقصى. أضف الى ذلك الخسارة السكانية السنوية، فمنذ انهيار الإتحاد السوفياتي وعدد السكان بانهيار مضطرد، حيث خسرت روسيا ما يقارب 7 ملايين نسمة، وإذا استمر معدل التناقص السكاني الحالي، فإن روسيا ستكون "أمة تتآكل ديموغرافياً".[259] ومن المتوقع أن تفقد روسيا ربع سكانها خلال نصف قرن، دون أن نأخذ بعين الإعتبار إمكانية تعرضها لكوارث طبيعية من زلازل أو أوبئة أو فياضانات أو كوارث بشرية كالحروب أو الحوادث التقنية كحادثة تشرنوبيل. كما أن هذه التوقعات لا تُدخل في حسابها موضوع الهجرة الجماعية الخارجية (فقدت روسيا حوالي المليون مهاجر الى إسرائيل خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي).[260] وقد عبّر الرئيس بوتين في العام 2006 عن المشكلة الديموغرافية بقوله "إن التناقص السكاني هو أكبر خطر يتهدد روسيا"،[261] حيث ينخفض عدد السكان في روسيا بمعدل 700 ألف شخص سنوياً.[262]

هذا من جهة الأعداد، أما من حيث تغيّر القوميات، فالموضوع أخطر من ذلك. فبينما يشهد السكان الروس من أصول سلافية تناقصاً سنوياً ما بين 4 الى 7%، يشهد السكان من ذوي الأصول القوقازية زيادة سنوية بمعدل 13%، وهذا ما يزيد مخاوف التيارات القومية الروسية التي تحذر من حرب ديموغرافية مقبلة. أضف الى ذلك، أن روسيا أصبحت من أكبر مقاصد الهجرة الدولية، حيث بلغ عدد المهاجرين إليها بحسب إحصاءات العام 2008 نحو 7 ملايين مهاجر، أكثر من نصفهم أتوا عبر هجرة غير شرعية. وفي هذا

---

[258] Central Inteligence Agency, The World Factbook, Russia 2015, https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/rs.html (accessed September 16, 2015).

[259] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 24.

[260] المرجع السابق، ص 25.

[261] Steven Eke, Russian faces demographic disaster, BBC news, 7th June 2006, http://news.bbc.co.uk/2/hi/europe/5056672.stm (accessed September 16, 2015).

[262] مغاورى شلبي علي، "يلتسن يقود روسيا للهاوية"، جريدة الحوادث المصرية، الموقع الإلكتروني: http://www.alhawadeth.info/ReadNews.aspx?Lang=en&Style=blue&ArtID=Qc1sTVuzVNs=&CatID=1AF+UGx8zf8=&CatNewsID=7G2d8TVMszg (دخول 16 تشرين الأول 2015).

الصدد، ذكرت مصادر صحفية تقديرات عن وجود حوالي 15 مليون مهاجر في روسيا ذوو مهارات عمل عالية باتت تغرق سوق العمل الروسي في قطاعاته المختلفة وتتصدرهم الجالية القوقازية.[263]

بالمقابل ثمة خلل ديموغرافي آخر آتٍ من الشرق، حيث تشهد مناطق الحدود الصينية اضطراباً ديموغرافياً أيضاً، من خلال هجرة الصينيين غير المشروعة الى الأراضي الروسية الغنية الموارد القليلة السكان على الجانب الروسي، وهو ما خلق ظاهرة وصفها القوميون الروس "احتلالاً صينياً صامتاً".[264] كل هذا ما أدى الى أعمال عنف نتيجة نشاط الجماعات القومية المتطرفة التي ترفع شعار "روسيا للروس ولا مكان للأجانب على أرضنا". فقد أظهرت استطلاعات الرأي ارتفاع نسبة الشباب المتعاطفين مع الحركات العنصرية الى 50%، بالإضافة الى أن نصف الشباب الروسي مستعد للمشاركة في الحركات القومية الجديدة سواء مقابل مادي أو اقتناعاً بأيديولوجيتها.[265]

(2)- <u>الحريات: ديمقراطية مقنّعة؟</u>

اعتباراً من منتصف القرن العشرين أصبح الخيار الديمقراطي في مفهوم النظم السياسية الحديثة أحد المؤشرات الرئيسية على قوة الدولة على الساحة الدولية، باعتبار أن استمرارية قوة الدولة لا بد أن تستمد من متانة جبهتها الداخلية. من هذا المنطلق أصبح من الصعب أن تتمكن دولة من تقديم نفسها كقطب دولي دون أن يكون الخيار الديمقراطي من صلب نظامها السياسي. هل تمتلك روسيا المسوغ الديمقراطي المطلوب لتقديم نفسها كقطب دولي وفقاً للمعايير المتبعة؟

حين جرت الإنتخابات الرئاسية في نيسان 2008 سجلت عمليات تزوير واضحة لدرجة دعت المعارضة الروسية الى وصف الإنتخابات بأنها مراسم تعيين بوتين.[266] وكذلك فإن الصحافة الروسية لا تزال تابعة للدولة بشكل أساسي، مع حالة من الخوف من الإستهداف مثل ما حدث للصحفية الروسية أنا بولتيكوفسكايا، التي كانت أكبر ناقد لممارسات الجيش الروسي في الشيشان، والتي تم اغتيالها في تشرين الأول 2006.

---

[263] عاطف عبد الحميد، " العنصرية في روسيا جريمة بلا عقاب"، الجزيرة نت، الموقع الإلكتروني:
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/12/12 (دخول 20 كانون الثاني 2016).

[264] Tamara Troyakova, A view from the Russian Fareast: Russia – China relations in a changing Asia, (Washington DC: Carnegie Endowment for International Peace, 2000), 203.

[265] Tamara Troyakova, op. cit.

[266] Judith Soal, “Kasparov attacks Brown for ignoring Russian democracy’s plight”, Hay festival, 1st June 2008, http://www.theguardian.com/books/2008/jun/01/hayfestival2008.guardianhayfestival (accessed November 20, 2015).

ويربط البعض في روسيا بين الديمقراطية والفساد، بحيث أصبحت الديمقراطية في روسيا مرادفاً للأزمات وللنهب الإقتصادي. ففي تسعينيات القرن الماضي، عندما اتبعت روسيا النهج الديمقراطي، رافق ذلك عمليات فساد ونهب اقتصادي للدولة. بالمقابل تلازم الحكم المركزي القوي اعتباراً من العام 2000 ولغاية الآن، والذي شبه بالحكم الستاليني، مع حالة من الإستقرار الإقتصادي وتحسن الأحوال المعيشية، وأصبحت بعض التعابير معبرة عن هذه الثنائية بحيث بدا أن على الشعب الروسي الإختيار بين الديمقراطية والفقر أو الحكم الشمولي والرخاء، حتى أصبح الخيار حتمياً بين الخبز والحرية.[267]

ولا بد من التوقف عند مفهوم الرخاء الإقتصادي في روسيا، الذي لا يمكن مقارنته مع مفهوم الرخاء الغربي، حيث تختلف المعايير المتبعة لحساب معدلات الدخل، بالإضافة الى إنخفاض جودة النمو الإقتصادي، بمعنى أن توزيع هذا النمو لا يتم بعدالة، حيث تشير الأرقام إلى تزايد الفجوة بين طبقات المجتمع الروسي، وأن هذه الفجوة لم يتم تقليصها منذ عام 2000، حيث يحصل 20% من سكان روسيا على 50% من الدخل القومي و10% (الأكثر فقراً) لا يحصلون سوى على 4.2% فقط من الدخل، وهو ما يشكل خطورة على الإستقرار الإجتماعي.[268]

وتشير تقارير حقوق الإنسان في روسيا الى زيادة مفرطة في أنشطة التجسس والملاحقة التي تطارد الجميع في روسيا اليوم. وبحسب تعبير ليف بونوماريوف رئيس إحدى جمعيات حقوق الإنسان في روسيا، فإن موسكو يخيم عليها ما يمكن تسميته "هوس التجسس" الذي يخنق الحياة السياسية ويعيق تقدم البلاد.[269]

وبناء على هذه المؤشرات يبدو أن ما تعيشه روسيا بوتين- ميدفيدف ربما سيسبب في إدخال البلاد في جمود سياسي داخلي، قائم على حكم مركزي شمولي يتمتع بقدر من الإستقرار، الذي يشبه استقرار "الجولاج" على حد تعبير بعض المعارضين السياسيين،[270] في إشارة الى المعسكرات الجماعية التي أقامها ستالين ضد المعارضين السياسيين. ومن مخاطر الإستقرار الذي تعيشه روسيا اليوم أنه استقرار قائم على استخدام عائدات النفط الضخمة والدعاية الموجهة من قبل الكرملين في السيطرة على خريطة الوضع الداخلي.[271]

---

[267] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 30.

[268] مغاورى شلبي علي، مرجع سبق ذكره.

[269] Michael Schwirtz, "*Russian Push on Treason Raises Fears*", The New York Times, December 20, 2008, http://www.nytimes.com/2008/12/21/world/europe/21russia.html?_r=0 (accessed October 16, 2015).

[270] Oleg Kozlovsky, "Putin's Gulag Stability", The Washington Post, May 19, 2008, http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2008/05/18/AR2008051801911.html (accessed October 16, 2015).

[271] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 36.

(3)- استمرار النجاح بعد بوتين.

ثمة أوقات يصنع فيها القادة التاريخ، وثمة أوقات يصنع فيها التاريخ القادة. وهذا ما حصل في خريف 2001 في روسيا، عندما أرغمت الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة الرئيس بوتين على اتخاذ قرار حوّل سياسياً عادياً الى زعيم، بتقديمه دوراً جديداً كلياً لروسيا، حين كسر مقاومة جنرالاته لمشاركة روسيا في التحالف لمحاربة الإرهاب، والموافقة على الوجود العسكري الأميركي في آسيا الوسطى.[272]

نجح "زعيم" الكرملين الجديد في الإستفادة من الدور الجديد الذي خطه لروسيا في تثبيت السلطة المركزية في الداخل من خلال الربط ما بين محاربة الإرهاب والحرب الشيشانية، حيث استحصل على "سكوت" الغرب عما يجري في الشيشان، وبرز كالبطل القومي الذي سحق التمرد الشيشاني وحافظ على وحدة الإتحاد.

ولكن السؤال يبقى هل أن أحداً آخر غير بوتين كان بمقدوره فعل ذلك، ولماذا فشل يلتسن في ذلك؟ مما لا شك فيه أن الظروف التي أحاطت بفترة حكم يلتسن ساهمت في فشل جهوده لتأمين الإستقرار السياسي الداخلي، وساهم في تراجع الدور الروسي عالمياً. ولكن بالمقارنة بين شخصية كل من الرجلين، لا بد من التساؤل هل أن تأثير هذه الظروف كان سيكون مماثلاً لو كان بوتين حينها رئيساً.

إن الإستراتيجية بشكل عام مسألة بعيدة عن البساطة، والتفكير الإستراتيجي عمل صعب، لذلك يحتاج النجاح في صياغة الإستراتيجية الى "العبقري" المميز، فالإستراتيجيون العظماء في التاريخ يمتلكون قدرات فائقة الى جانب موهبتهم لاستيعاب الوقائع والعلاقات، وتوظيف هذه العناصر في نجاح صياغة الإستراتيجية.[273] والإستراتيجيات الناجحة غالباً ما ترتبط بشخصيات أفراد في رأي عامة الناس،[274] كما أن تأثير دور العبقري لا تظهر كثيراً في المراحل الأولية أو الأنماط الجديدة للعمل كما تظهر في النجاح النهائي للعمل بأكمله.[275]

هذه النظريات يمكن إسقاطها على الحالة "البوتينية" في روسيا. إن النجاحات التي حققها بوتين في إدارته للأزمات الإقتصادية والسياسية التي كانت تعصف بروسيا لدى استلامه دفة القيادة، أضهرته كذلك العبقري المميز، الذي كانت روسيا بحاجة إليه، فأصبح بنظر الروس، ولا سيما القوميين منهم، منقذ الإتحاد وباني مجد روسيا الجديد، بالرغم أنه كان من عداد بيروقراطية يلتسن الحاكمة قبل استلامه مقاليد السلطة بالكامل.

---

[272] ليليا شيفتسوفا، مرجع سبق ذكره، ص 259.

[273] Charles D. Allen, "Creative Thinking for Individuals and Teams", in Strategic Thinking (Carlisle, PA; US Army War College, 2007) , http://oai.dtic.mil/oai/oai?verb=getRecord&metadataPrefix=html&identifier=ADA511957. (accessed October 18, 2015).

[274] هاري يارغر، الإستراتيجية ومحترفو الأمن القومي، ترجمة راجح علي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2011، ص 19.

[275] Carl von Clausewitz, On War, ed. and translated by Michael Howard and Peter Paret (Princeton: Princeton University press, 1976) 177-178.

إذاً، يمكننا من خلال ما تقدم الربط بين نجاح بوتين وشخصيته الفذة، و"عبقريته" في رسم استراتيجية واقعية ساهمت في وضع روسيا على الطريق المؤدي الى الغايات المنشودة (ENDS) من خلال الإستخدام الجيد للقدرات والموارد (MEANS) باعتماد طرق(Ways) ووسائل ناجحة.

ولكن ماذا بعد بوتين؟ هل ستتمكن روسيا من الإستمرار في التقدم وإثبات الذات، أم أن هذه المسيرة ستتعثر بغياب ناظم الإستراتيجية الروسية الحديثة؟

في الحقيقة إن الغموض المحيط بالحالة الروسية جعل من الصعب التوصل الى رؤية موحّدة حول الأهداف النهائية للقيادة الروسية.[276] إن عدم الإعلان بوضوح عن الأهداف النهائية، يؤشر إما الى عدم رغبة الكرملين في ذلك، أو الى عدم تحديد الكرملين لأهدافه النهائية بعد، حيث يتعامل مع كل حدث على حدة. هذا الأمر بحد ذاته يُبرز إشكالية أثناء تحليل الوضع في روسيا وإمكانياتها، حيث يتعذر تحديد ما إذا كانت القدرات (MEANS) والطرق (WAYS) تتلاءم مع الغايات النهائية المنشودة (ENDS).

في سياق آخر، هل ستتمكن روسيا من المحافظة على استقرار أسواق الطاقة؟ إن مؤشرات الأسواق والإنقسامات داخل أوبك لا تبشر بالخير، وما حصل من تدهور في أسعار النفط خلال العامين 2014 و2015 على خلفية الصراعات القائمة خير دليل على ذلك. يذكر التقرير السنوي للوكالة الدولية للطاقة لعام 2012، أنه مع حلول عام 2020، من المتوقع أن تصبح الولايات المتّحدة أكبر منتج للنفط في العالم متجاوزة السعودية، وذلك نتيجة للتطورات التقنيّة التي شهدها مجال إستخراج النفط والغاز لديها. وحسب التقرير تتوقع وكالة الطاقة الدولية زيادة إنتاج الغاز التقليدي إلى ثلاثة مرّات أكثر في الفترة بين عامي2010 و2035، كما أن ذلك سيزيد الطلب العالمي على الغاز بنسبة تزيد عن خمسين بالمئة.[277]

ويتوقع التقرير حدوث تغيرات أكبر مع تزايد إمكانيات إنتاج كميات هائلة من الغاز الصخري في كل من الولايات المتحدة والصين وبضع دول أوروبيّة أخرى. كل هذه المؤشرات تدل على أن قدرة التأثير الروسية على أسواق النفط لا بد أنها ستتضاءل في المستقبل، وهذا ما سيشكل عائقاً أمام استمرار الصعود الروسي على النطاق العالمي كقطب إقتصادي فاعل.

مقارنة بسيطة بين موازنات الدفاع كفيلة بتوضيح الفارق الشاسع ما بين قدرة روسيا والولايات المتحدة العسكرية. أقر الكونغرس الأميركي قانون الدفاع للعام 2015 بميزانية 584 مليار دولار، تشمل نفقات وزارة

---

[276] بينيث كين، محاضرة في كلية الدفاع في المملكة المتحدة، 19 أيار 2015، للمزيد يمكن مراجعة :
Alexander Lukin, 'What the Kremlin is Thinking, Putin's Vision for Eurasia', *Foreign Affairs,* at https://www.foreignaffairs.com/articles/russia-fsu/2014-06-16/what-kremlin-thinking (accessed 24 July 2015).

[277] أحمد عبد ربه، مستقبل التغيير في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2013، ص39.

الدفاع الأميركية (البنتاغون) وتمويل العمليات العسكرية ضد تنظيم "داعش" في سوريا والعراق.[278] أما للسنة المالية 2016 التي تبدأ في الأول من تشرين الأول 2015، فقد أقر الكونغرس الأميركي ميزانية الدفاع بـ 523 مليار دولار، من دون احتساب النفقات الإستثنائية للعمليات العسكرية في الخارج (96 ملياراً) والكوارث الطبيعية (7 مليارات).[279] في المقابل، فإن موازنة الدفاع الروسية بلغت في عام 2015 نحو 100 مليار دولار أمريكي،[280] وذكرت تقارير إعلامية في روسيا أن موسكو رفعت موازنتها العسكرية بنحو 63% حتى عام 2016 على حساب الخدمات الاجتماعية.[281] في حين أعلنت الصين أن ميزانية الدفاع الصينية للعام 2015، تبلغ نحو 145 مليار دولار.[282]

بالرغم من أن ميزان القوة العسكرية لم يعد العامل الوحيد في قياس قوة الدولة، إلا أن مقارنة بسيطة لهذه الأرقام كفيلة بتوضيح الفارق الشاسع ما بين الولايات المتحدة ومناوئيها على صعيد السياسة الدولية، وهي كفيلة بتوضيح الصعوبات التي قد تواجهها روسيا لمجابهة القوة العسكرية الأميركية، دون حساب قدرات دول حلف شمال الأطلسي مجتمعة. فهل ستستطيع روسيا الصمود، أم أنها ستنجر الى سباق تسلّح جديد يطيح بالإنجازات الحالية؟

---

[278] "الكونغرس يقرّ موازنة الدفاع" ، صحيفة السفير، تاريخ 2014/12/13.

[279] "الكونغرس الأمريكي يقر موازنة 2016 بقيمة 3.871 تريليونات دولار"، آر تي (Russia TV)، نقلاً عن وكالة أ ف ب تاريخ 2015/05/06، الموقع الإلكتروني: -https://arabic.rt.com/news/782118 (دخول 20 كانون الأول 2015).

[280] "ميزانية الدفاع الروسية 100 مليار دولار فى 2015"، موقع ساتل الإخباري نقلاً عن موقع أنباء موسكو، 2012/09/25، الموقع الإلكتروني: http://www.satelnews.com/ (دخول 20 كانون الأول 2015).

[281] "زيادة حجم موازنة الدفاع الروسية بشكل كبير على حساب التعليم"، الأيام نت، العدد 8850 الأربعاء 3 يوليو 2013 الموقع الإلكتروني: http://www.alayam.com/online/international (دخول 20 كانون الأول 2015).

[282] " زيادة ميزانية الدفاع في الصين لتبلغ 145 مليار دولار"، بي بي سي، 2015/03/04، الموقع الإلكتروني: http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2015/03/150304_china_military_budget_increases (دخول 21 كانون الأول 2015).

الفصل الثاني

تأثير الدور الروسي على السياسة الدولية في الشرق الأوسط

يغطي الشرق الأوسط في مفهومه الواسع مساحات تضم مجموعات متنوعة من الأمم والإثنيات والمذاهب، وقد تحولت هذه المنطقة بعد انتهاء الحرب الباردة، إلى مسرح لعلاقات دولية متأزمة. ويرى باحثون متخصصون بالدراسات الشرق أوسطية أو بما اصطلح على تسميته بالشرق الأوسط، إنَّ هذه التسميات ارتبطت بالمصالح الإستعمارية الغربية. وبات هذا المصطلح يتردد كثيراً في الكتابات والأحاديث التي تتناول هذه المنطقة، وبات استعماله أمراً عادياً بالنسبة لعدد من الباحثين والمؤرخين.[283]

القسم الأول: الشرق الأوسط بين روسيا والولايات المتحدة: تنافس ومواجهة.

1- مصطلح الشرق الأوسط: أصوله وتطوراته.

جاءت البدايات الأولى لمفهوم الشرق الأوسط من خلال البرتغاليين منذ عدة قرون، أما شيوع هذا المصطلح فقد جاء من نتاج الفكر الغربي الإستعماري بعدما إرتبط إنتشاره بتطور الفكر الإستراتيجي الإنكليزي، وقد تم إستعمال مصطلح الشرق الأوسط للمرة الأولى في العام 1902 بواسطة الكاتب الأميركي المتخصص في الإستراتيجية البحرية ألفريد ماهان "Alfred Mahan" لدى مناقشته الإستراتيجية البحرية الإمبريالية البريطانية، وذلك للإشارة إلى المسالك الغربية والشمالية المؤدية الى الهند. في العام نفسه كتب فالنتاين شيرول "Valantine Sherol" مراسل جريدة التايمز البريطانية مجموعة مقالات تحت عنوان المسألة الشرق أوسطية، وتم جمع هذه المقالات في كتاب صدر في عام 1903، وكرس "فالنتاين" مقالاته للبحث عن المقومات الإستراتيجية المتوافرة في المنطقة والتي تعتبرها بريطانيا ضرورية لتأمين الدفاع عن مستعمراتها في الهند والتي كانت توليها أهمية بالغة في ذلك الوقت. ونظراً لأهميتها فقد أطلق عليها جوهرة المستعمرات البريطانية، وقد تطور هذا التعبير وتصاعد وفق إستخداماته المرتبطة بالمصالح البريطانية.[284]

---

[283] سلامة سلامة وآخرون، الشرق أوسطية: هل هي الخيار الوحيد، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1995، ص 24.

[284] صلاح زكي، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995، ص 7.

غير أن هذا المصطلح إنتشر خلال الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء للإشارة إلى الإقليم الممتد من جنوب آسيا الى شمال أفريقيا، ثم أخذ تعبير "الشرق الأوسط" يحل تدريجياً محل مصطلحات أُخرى سادت قبله في الإستعمال مثل الشرق الأدنى والمشرق.[285]

أ- **التعريفات لمصطلح الشرق الأوسط.**

تنوعت التعريفات لمصطلح الشرق الأوسط خلال القرن الماضي،[286] أحدثها تعريف جون باتون – 1981(The Middle East): منطقة إقليمية تتمتع بمواصفات وتركيبات ومسالك تصل الشرق بالغرب وتتألف جغرافياً من: تركيا، إسرائيل، العراق، سوريا، الأردن، لبنان، عموم شبه الجزيرة العربية والمنطقة الخارجية مصر إيران.[287] كما ورد في دائرة معارف العالم الأميركية أن الشرق الأوسط يشمل الدول التالية: البحرين، قبرص، مصر، إيران، العراق، إسرائيل، الأردن، الكويت، لبنان، عُمان، قطر، السعودية، السودان، سوريا، تركيا، الإمارات، واليمن، إلاّ أن التوجه الإستراتيجي الأميركي إتجه مؤخراً إلى التعامل مع الشرق

---

[285] يشمل مفهومين أوسع وأضيق، المفهوم الأوسع يطلق على كل مناطق الساحل الشرقي من البحر المتوسط التي تشمل حاليا "اليونان وتركيا وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر"، أما المفهوم الأضيق فيشمل البلاد غير الاوروبية، ويطلق أحيانا على دولتي لبنان وسوريا اللتين كانتا تحت الانتداب الفرنسي.

[286] تنوعت التعريفات المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط ومنها:

أ- تعريف بايندر–1958: قسّم منه الشرق الأوسط إلى ثلاثة أقسام:
- الأول يضم دول القلب: الأردن، إسرائيل، السعودية، السودان، سوريا، العراق، لبنان، مصر، ليبيا.
- دولتان خارج القلب هما: إيران وتركيا.
- دول الهامش: تونس، المغرب.

ب- تعريف بريتشر–1969: قُسِّم الشرق الأوسط إلى ثلاثة أقسام أيضاً:

ج- القلب يضم: الأردن، إسرائيل، سوريا، العراق، لبنان، مصر.
- الهامش يضم: إثيوبيا، إيران، تركيا، الجزائر، السعودية، قبرص، الكويت.
- أما دول الحلقة الخارجية فهي: تونس، السودان، الصومال، ليبيا، المغرب، اليمن الجنوبي، واليمن الشمالي (قبل الاتحاد).

د- تعريف "كانتوري – شيجل" 1970: التزم تقسيماً ثنائياً، فهناك دول القلب:الأردن، الإمارات، السعودية، السودان، سوريا، العراق، الكويت، لبنان، مصر، اليمن الجنوبي واليمن الشمالي، وفي الهامش: إسرائيل، إيران، وتركيا.

هـ- تعريف تومسون – 1970: وفيه تعامل مع المنطقة على أنها كتلة واحدة تضم:الأردن، تونس، الجزائر، السعودية، السودان، سوريا، العراق، الكويت، لبنان، ليبيا، مصر، المغرب، واليمن الشمالي(قبل الاتحاد). وفي العام 1976 عاد وعرَّف "الشرق الأوسط" بصورة أشمل من تعريفه السابق فأضاف إليه: إسرائيل، إيران، تركيا، واليمن (علاء عبد الوهاب، الشرق الاوسط الجديد:سيناريو الهيمنة الإسرائيلية، دار سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص 61).

[287] John Paton, "Knowledge Encyclopedia", (Leicester: Grisewood and Dempsey Ltd, 1984), 235.

الأوسط كقسمين، قسم شرقي يضم دول الخليج، العراق، إيران، تركيا، وجمهوريات آسيا الوسطى المسلمة وقسم غربي يضم إسرائيل والدول العربية المعنية بعملية السلام أو التي بدول الطوق.[288]

إتفقت هذه التعريفات على أن قلب نظام الشرق الأوسط يتمثل دائماً بالدول التالية: مصر، العراق، سوريا، لبنان، الأردن، لكنها إختلفت حول وضع إسرائيل ودول المغرب العربي، ودول الجوار الجغرافي: إيران، تركيا. أما في دراستنا هذه، فمصطلح الشرق الأوسط عنينا به الإطار الضيق الذي يشمل منطقة غرب آسيا، من آسيا الصغرى شمالاً الى الحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية جنوباً، ومن شواطئ البحر الأبيض المتوسط ومصر غرباً الى بلاد فارس شرقاً.

ب- أهمية الشرق الأوسط.

تأتي أهمية الشرق الأوسط من واقع مخزون وتجارة المواد الهيدروكاربونية، والموقع، بل ووقوعها في منطقة الإختلاف والخلاف الحضاري، وهذا ما أدى، وعلى مدى عقود، أن تشهد هذه المنطقة على صراعات ظاهرة حيناً، وخفية في معظم الأحيان الأخرى، من أجل السيطرة عليها أو التأثير فيها.[289]

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من أهم الدوائر الجيوبوليتيكيّة التي تدرس بعناية في مراكز صنع القرار في الدول الكبرى، كما لا تزال هذه المنطقة حاضرة في التفكير الإستراتيجي الروسي وفي سُلّم أولوياته، وذلك لعدة أسباب لعلّ أبرزها التقارب الجغرافي، وغنى هذه المنطقة بالموارد الطبيعية، إضافةً إلى الموضوع الإسلامي بكل تشعباته. وحالياً، يُعتبر الدور الروسي في الأزمة السورية أحد الأدوار الهامّة التي تتمتع بالفاعلية والحيوية في إثارته على الساحة الدولية، رغبةً من روسيا في الحفاظ على مصالحها.

أثبتت المتغيرات الراهنة في الشرق الأوسط أن الولايات المتحدة لم تعد هي اللاعب الرئيس في السياسة الخارجية لهذه المنطقة لوحدها، وبات واضحاً أن أحادية النفوذ الأميركي باتت مهددة إزاء النفوذ المتزايد لقوى صاعدة كالصين وروسيا، وقوى إقليمية كإيران، حتى بات البعض يعتقد بتراجع هذا النفوذ أحياناً أمام مصالح هذه القوى، التي شكل تعاونها في مجالات عديدة أساساً للشراكة الإستراتيجية في ما بينها، وهو ما يراه بعض المحللين والمراقبين دافعاً يقف وراء موقفها الموحد لصالح سوريا.

نالت منطقة الشرق الأوسط نصيبها من السياسات الهادفة الى إعادة صياغة النظام الدولي، وما زالت، إلا أن الفارق الآن هو إنبعاث رغبة روسية بالدخول في منافسات إعادة الصياغة، من أجل ضمان موقع أفضل

---

[288] منار الشوربجي،"الثابت والمتغير في الساسة الأميركية تجاه الشرق الاوسط"، جريدة الحياة، 10 تشرين الأول، 1993.

[289] خضر عباس عطوان، "سياسة روسيا العربية والإستقرار في النظام الدولي"، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 20، خريف 2008، ص 47.

في النظام الدولي الجديد، مما أعاد طرح قضايا الإستقرار والتوازن والصراع الدولي في المنطقة من جديد.[290]
لذلك تعمل روسيا لإعادة تأكيد وجودها النسبي في المنطقة، إذ ترى أنه إذا ما أرادت أن تحفظ هيمنتها على آسيا الوسطى، فيجب أن تعمل على تطوير علاقاتها مع إيران، وعليه أضحت قضية نقل التكنولوجيا النووية وإمداد إيران بالسلاح مصلحة حيوية مزدوجة، فمن جهة تزيد من إعتماد إيران عليها، مما يحول دون قيام الأخيرة بأي توجهات تضر بمصالح روسيا في المنطقة، وخصوصا في آسيا الوسطى، ومن جهة أخرى يفتح هذا التعاون باباً لتوظيف الأيدي العاملة الروسية، ولإيجاد أسواق لتجارة السلاح، ما يحقق سعيها للحصول على مكاسب إقتصادية. من هنا نلاحظ تباين مكانة الدول العربية في أولويات وإهتمامات السياسة الروسية لأسباب مصلحية وأمنية وعجز روسيا نسبياً عن لعب دور حقيقي في عملية السلام في المنطقة.[291]

2- الشرق الأوسط في السياسة الروسية.

عندما ظهرت أهميّة الموقع المميّز لمنطقة الشرق الأوسط، وخاصة العربية منها، والذي يسيطر على عدة ممّرات مائيّة حيويّة، أصبح الحضور التجاريّ والعسكريّ للدول الكبرى في المنطقة ضروريّاً وحيويّاً لحماية مصالحها، ووسيلة لفرض سياستها على هذه الطرق الإستراتيجيّة.[292] الى ذلك كتب ألفرد ت. ماهان الخبير الأميركيّ في الاستراتيجيّة البحريّة في أواخر القرن التاسع عشر يقول: "جعلت الظروف البحر الأبيض المتوسط يؤدي دوراً تجاريّاً وعسكريّاً في تاريخ العالم أكبر مما لعبه أي سطح مائي آخر يتمتع بالحجم ذاته، فقد سعت أمّة بعد أمّة للسيطرة عليه ولا يزال الصراع مستمراً".[293]

لذلك كان الشرق الأوسط المسرح الواقعي لكثير من المتغيرات الحاضرة في التفكير الإستراتيجي للكرملين، ولم يتغير الوضع كثيراً بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي، إذ لم تغب شؤون الشرق الأدنى، وهي التسمية المتداولة لمنطقة الشرق الأوسط في روسيا، عن الخطاب الدبلوماسي والسياسي الروسي عند كل استحقاق، حيث شكلت مسائل الشرق الأوسط مادة خلافية دائمة سعت القيادة الروسية من خلالها الى تثبيت موقعها، فها هي تحاول من خلال الحرب السورية حجز مكانٍ لها بين الدول الفاعلة في ترسيم السياسة الدولية الراهنة.

تنتج هيمنة الدول الكبرى من عدّة عوامل كالتفوّق العسكريّ والتكنولوجيّ والإقتصاديّ وغيرها من العوامل الأخرى الجغرافيّة والجيو- استراتيجيّة. إنّ الأهم هو التكامل بين هذه العوامل ومعرفة استغلالها وفقاً لظروف

---

[290] خضر عباس عطوان، "سياسة روسيا العربية والإستقرار في النظام الدولي"، مرجع سبق ذكره، ص 47.

[291] العلاقات الروسية الصينيّة، وكالة الأخبار الإسلاميّة (نبأ)، تاريخ 2008/2/17.

[292] علي الحاج، سياسات الإتحاد الأوروبي في المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 2005، ص 92.

[293] Alfred Mahan,The problems of Asia and its Effects upon Internationals Policies,(Boston: Little, Brown and company, 1900), 19.

معيّنة.[294] من هذا المنطلق تصر روسيا على لعب دور الدولة الكبرى، أكان في منطقة البحر الأسود ومناطق آسيا الوسطى، أم في الشرق الأوسط حتى أفغانستان، وذلك بفضل مقعدها الدائم في مجلس الأمن، وقدراتها النووية كإحدى ركائز الإستقرار الإستراتيجي العالمي، فضلاً عن عضويتها في اللجنة الرباعية بشأن الشرق الأوسط التابعة للأمم المتحدة، ولكونها من أكبر موردي الأسلحة الى المنطقة.[295]

تنطلق السياسة الروسية الجديدة من رؤيتها لأهمية القيمة الجغرافية والإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط، التي تحتل الصدارة في سلم الإهتمامات العالمية. تعتقد موسكو أن إمكاناتها وتوجهاتها تؤهلها لحجز مكان بارز في خارطة العالم الجديد. ومع ذلك تعمل روسيا بحذر في هذه المنطقة المليئة بالألغام السياسية، وتحاول ألا تخسر أحداً من الأطراف. فمثلاً تدعم موسكو طهران، مع محاولتها ألا يجلب ذلك عليها استعداء دول مجلس التعاون الخليجي، كذلك تدعم دمشق، مع مراعاتها ألا يثير ذلك قلق الدول العربية الأخرى.

يمثل الشرق الأوسط حزاماً غير محكم الأطراف يحيط بمنطقتي آسيا الوسطى والقوقاز التي تعتبرها روسيا مجالاً حيويًّا لها، وتُسخِّر كل إمكاناتها لمنع أي تعدٍّ يهدد تلك المناطق. لذلك اهتمامت موسكو منذ انهيار الإتحاد السوفياتي بشكل خاص بكل من تركيا وإيران، ذلك لأنهما أكثر دولتين في الشرق الأوسط رغبة في النفاذ إلى هاتين المنطقتين، ومحاولة اختراقهما والسيطرة عليهما، نظراً لوجود نوع من الترابط الديني أو العرقي أو اللغوي بين هاتين الدولتين وبين الشعوب القوقازية وشعوب آسيا الوسطى، ناهيك عن أن توثيق العلاقات مع إيران يفيد بقدر ما في إزعاج الولايات المتحدة، وفي جني أرباح لا بأس بها من إيران.[296]

أ- <u>محددات وأهداف السلوك الروسي في المنطقة.</u>

عند الحديث عن محددات وأهداف السياسة الخارجية الروسية، فيمكن القول بأن روسيا شأنها شأن الدول الكبرى، توازن بين المحددات المحلية والدولية، وبين الإعتبارات الداخلية والخارجية، بل وتسعى لأن توظِّف السياسة الخارجية بما يتفق ومصالحها الداخلية. وعند الحديث عن الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، فلا يمكن فهم المحددات دون النظر إلى تاريخية هذا الدور، لا سيما في ظل الحقبة السوفياتية، كمدخل لقراءة الدور الراهن، أو فهم مدى إمكانية إعادة تفعيله. فقد ارتبطت بعض دول المنطقة بعلاقات إستراتيجية مع السوفيات، وهي الآن في طور تعميق هذه العلاقات مع الوريث الروسي، وذلك من خلال متابعة المواثيق

---

[294] هادي قبيسي، السياسة الخارجية الأميركية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، لبنان، 2008، ص 9.

[295] ديميتري ترينين، "من اسطنبول الى تركيا: هل ثمة أرضية مشتركة بين تركيا وروسيا"، رؤية تركية، العدد 2، صيف 2013، ص 90.

[296] "هكذا تؤسس روسيا لخارطة جديدة للشرق الأوسط"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 17كانون الثاني 2015، الموقع الإلكتروني: http://rawabetcenter.com/archives/8387 (دخول 13 كانون الأول 2015).

والمعاهدات المبرمة مع الإتحاد السوفياتي السابق، مع الأخذ بعين الاعتبار اختفاء الطابع الأيديولوجي الذي كان ينطلق منه النظام السوفياتي المنهار. وهذه العلاقات الروسية مع دول المنطقة لا تزال تحتفظ بمبرراتها وأسبابها، خاصةً أن روسيا ما زالت تمسك بأكثر من ورقة من أوراق اللعبة السياسية، من خلال علاقاتها المتميزة والتاريخية مع الجزائر وسوريا والعراق وإيران وفلسطين.[297]

هذا القول مفاده أنه ومنذ انهيار الإتحاد السوفياتي، فقد شهدت السياسة الخارجية الروسية عملية إعادة هيكلة أصبحت بمقتضاها أكثر واقعية، تقيس تحركاتها واتجاهاتها بحجم ما تملكه من قوة، وبمقدار ما تحققه تلك التحركات والتوجهات من فائدة للمصالح الوطنية الروسية.[298]

وظهر هذا واضحاً عندما أكد الرئيس الروسي بوتين على أن "العالم يتغير بسرعة، ومسارات العولمة تخفي أخطاراً متنوعة، فيما الأزمة الإقتصادية والهزات التي تشهدها مناطق من العالم تشجع بعضهم على حل مشاكله على حساب آخرين باستخدام وسائل الضغط العسكري. وبالتالي فإن بروز قوى هدامة في بعض مناطق العالم يهدد أمن الشعوب، كما أن الدول التي تحاول تصدير الديمقراطية، ولا تتوانى عن انتهاك القانون الدولي وسيادة الدول من أجل ذلك تبقى حليفةً لهذه القوى".[299]

وتعتبر منطقة الشرق الأوسط إحدى تلك المناطق التي تشهد هزات سياسية واقتصادية وأمنية واجتماعية وطائفية وعرقية ودينية شديدة التعقيد والخطورة. ففي هذه المنطقة يوجد العديد من الملفات الحساسة التي تأخذ طابعاً دولياً، ولها امتداداتها وتشعباتها. كما أن التعامل مع تلك الملفات لا يمكن بحال من الأحوال أن يتجاهل التداخلات والصراعات ذات الأبعاد الإستراتيجية، كونها على تماس مع قضايا تتعلق بمصير العديد من الدول، وبموازين القوى الدولية بشكل أكثر خصوصية.

ب- المصالح الكبرى التي تحدد السلوك الروسي في الشرق الأوسط.

تتحرك الدبلوماسية الروسية بنشاط في الشرق الأوسط بعد فترة طويلة من العزوف عن الإنخراط في قضايا المنطقة الشائكة، لكن هذا النشاط لا يعني أن التحرك الروسي طبعة جديدة منقحة من مرحلة الحرب الباردة وإن كان يعيد استخدام بعض أدواتها، وإنما هو تعبير عن رغبة قوية للمشاركة في إعادة صياغة العلاقات مع دول المنطقة في ظل تراجع أولويات الولايات المتحدة الأميركية على المستوى الدولي، وأخطاء السياسة الأميركية في التعامل مع التغيرات الحاصلة في المنطقة بعد الربيع العربي.

---

[297] عبد الغني سلامة، "السياسة الروسية في الشرق الأوسط"، شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد 151، خريف 2012، ص 173.

[298] George Friedman, "Russia's Window of Opportunity", Stratfor Global Intelligence, August 21, 2007. http://www.stratfor.com/russia_window_opportunity (accessed Dec 12 2015).

[299] أحمد دياب، مرجع سبق ذكره، ص 107.

الشواهد على تنامي الدور الروسي في مجريات الأحداث عديدة الى حد وصفها بأنها تحوّل فاصل في علاقات روسيا بالمنطقة، منذ أن طرد الرئيس المصري الراحل أنور السادات الخبراء السوفيات عام 1972، حيث تشير التحركات الروسية الى عودة قوية لموسكو الى المنطقة، بعد ما كان تشبه القطيعة معها. فمن المعروف أن روسيا لاعب رئيسي في الأزمة السورية منذ إندلاعها سواء من حيث تسليح النظام ووجودها العسكري في القاعدة البحرية في طرطوس، أو من خلال الدعم السياسي الواضح لموقف النظام من كيفية حلّ الأزمة وصولاً الى التدخل العسكري المباشر في الأزمة. ورغم الموقف الأميركي المناقض للسياسة الروسية، إلا أن موسكو استطاعت أن تضع الموقف الأميركي على أرضيتها من حيث الموافقة على صيغة "جينيف 1"، وتأييد عقد "جينيف 2" حتى ولو كان هذا المسار ليس على هوى المعارضة السورية.[300]

تعمل روسيا من خلال دعمها للدول المناهضة للسياسة الأميركية في الشرق الأوسط على محاولة إنهاك الأخيرة إستراتيجيّاً عن طريق مزاحمتها في المنطقة، وذلك من خلال استدراجها للتورط التدريجي في الصراعات القائمة، الأمر الذي يبدو صحيحاً أيضاً من الجهة الأخرى، حيث تسعى الولايات المتحدة الى إنهاك روسيا من خلال جذبها الى مستنقع القضايا المتفجرة في الشرق الأوسط، ومنها الحرب في سوريا. هذا نابع بالنسبة لروسيا من معرفتها بأنها عاجزة عن معادلة القوة الاقتصادية أو العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية في أي وقت قريب، فلذلك تحاول تسجيل نقاط لصالحها على حسابها، حيث يمكنها المطالبة بحصتها في إدارة العالم على ضوء قدرتها على لعب دور فعّال لدى الدول التي تفضل التعامل معها على التعامل مع غيرها، والإصرار حينها على ضرورة إعادة تشكيل ميزان القوى العالمي.
ومثال ذلك ما جاء على لسان قائد الأسطول الروسي الأدميرال Vladimir Masorin في آب 2007 من الإعلان عن دراسة تقضي بإعادة الأسطول الروسي من جديد إلى البحر المتوسط مدعوماً بقاعدة عسكرية روسية تفضَّل أن يكون مقرها سوريا، وذلك ردّاً على إعلان الولايات المتحدة عن نيتها بناء نظام جديد للدفاع الجوي بحلول عام 2015. إضافةً إلى هذا، سعت روسيا إلى زيادة مكاسبها ونفوذها في المنطقة، والى تقوية التقارب الروسي مع دول المنطقة على حساب الولايات المتحدة، للتخفيف من تأثير التواجد الأمريكي الإقتصادي في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى. وأملت روسيا أن يؤدي الإخفاق الأمريكي في العراق وأفغانستان الى إضعاف الأحادية الأمريكية، مما يتيح المجال أمامها للعودة مرة ثانية إلى الساحة الدولية والشرق أوسطية، ولكن هذه المرة بقوة.[301]

---

[300] عبد العاطي محمّد،"عودة الدب الروسي إلى الشرق الأوسط"، صحيفة الخليج في الإعلام، مؤسّسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، 2013/11/20.

[301] سعيد مسلم، "العودة الروسية إلى الشرق الأوسط"، جريدة الثورة، العدد 14026، تاريخ 25 / 12/ 2009.

تنبّهت روسيا الى قواعد الجغرافيا والديمغرافيا التي تتحكم بمنطقة الشرق الأوسط، إذ يمكن القول إن السياسة الخارجية الروسية الجديدة تنطلق من رؤية ترتكز في إحدى مرتكزاتها على إيلاء أهمية للقيمة الجغرافية والإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط، باعتبارها تمثل مكان الصدارة في سلم الإهتمامات العالمية، وأنه لا يمكن لأي نظام عالمي أن يتشكل بعيداً عن هذه المنطقة الإستراتيجية، لما تمثِّله من قلب العالم، حيث يتقرر فيها مراكز التوازنات والقوى الدولية، وتمثِّل منصة ارتكاز ورافعة سياسية لأي دور محتمل لأية قوة أمريكية كانت أو روسية أو أوروبية.[302]

كذلك مثَّلت مسألة الإسلام السياسي العابر للحدود، والذي اقترن لدى غالب الدول بفكرة الإرهاب منذ أحداث 11 أيلول 2001، أحد الأسباب الرئيسة التي جعلت روسيا بوتين تزيد اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط، والعمل على توسيع قاعدتها مع بلدان تلك المنطقة، لا سيما بعد أحداث الربيع العربي، تخوفاً من وصول شعلة تلك الأحداث إلى المحيط الحيوي لروسيا وذلك في ظل الصعود الإسلامي في الحكم الذي شهدته معظم دول أحداث الربيع العربي.[303]

والجدير بالذكر أن الأمر لم يقتصر آنذاك على فتح قنوات بين أجهزة الاستخبارات الروسية ونظيراتها في بلدان الشرق الأوسط العربية، وإنما استطاعت روسيا توسيع علاقاتها مع بلدان المنطقة، ومنها إسرائيل التي تجري روسيا معها منذ عام 2004 تدريبات مشتركة على مكافحة الإرهاب، وقد ترجم التعاون الروسي الإسرائيلي عن توقيع عدد من الإتفاقيات بشأن مكافحة الإرهاب، من بينها بيع طائرات إسرائيلية بدون طيار إلى روسيا لمراقبة الحدود حول جمهورية الشيشان.[304]

ج- <u>أهمية الجغرافيا السياسية للشرق الأوسط بالنسبة لروسيا.</u>

تعتبر روسيا الشرق الأوسط منطقة مهمة بالنسبة لمصالحها العليا، كونها جغرافياً مجاورة لحدودها الجنوبية، ومؤثرة على أمنها القومي وعلى اقتصادها في آن. وتنظر موسكو إلى هذه المنطقة باعتبارها بقعة أرضية متواصلة مع المساحة الأوراسية المترامية، وتتطلع باستمرار إلى التواصل معها.

تعتبر قضية التواصل الجيوسياسي بين روسيا والشرق الأوسط من أهم العوامل التي تؤثر على الحراك السياسي الروسي في منطقة الشرق الأوسط، حيث تشكل الممرات المائية، المعابر البرية، الإعتبارات الدينية

---

[302] " هكذا تؤسس روسيا لخارطة جديدة للشرق الأوسط"، مرجع سبق ذكره.

[303] أحمد عبد الله الطحلاوي،"استعادة الدور: المحددات الداخلية والدولية للسياسة الروسية"، المركز العربي للبحوث والدراسات، الموقع الإلكتروني: http://www.acrseg.org/16360 (دخول 13 كانون الأول 2015).

[304] باسم راشد، "المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي"، سلسلة أوراق، وحدة الدراسات المستقبلية، الإسكندرية، عدد 9، 2013، ص 13- 17.

والإجتماعية، إضافة إلى العوامل الإقتصادية، نقاط أساسية في صياغة السياسة الروسية تجاه المنطقة. هذه العوامل دفعت بالإهتمام الروسي نحو جنوب متنوع حضارياً ودينياً وثقافيّاً، وفيه من العناصر التي تعتبر مصدر جذب للإهتمامات السياسية. وكون عدة ملايين من أبناء روسيا يدينون بالإسلام، فإن أسباباً داخلية روسيّة تدفع بموسكو إلى تعزيز التواصل بينها وبين بلدان الشرق الأوسط. فعلى سبيل المثال، حاولت روسيا الإستفادة من الموقع الجيوسياسي الإيراني لمواجهة التغلغل التركي، واختراق تمويل الجمعيات الإسلامية في جمهوريات آسيا الوسطى.[305] كما سعت الدولتان الروسية والإيرانية إلى منع ضم بلدان آسيا الوسطى لأحلاف تناهض سياستهما، لتخوفهما من قيام ما يسمى "تركيا الكبرى"، الأمر الذي قد يؤدي الى سيطرة حلف شمال الأطلسي على المنطقة، كون تركيا عضواً فيه.[306]

وبالمقابل، إستفادت إيران من علاقاتها الجيوسياسية مع روسيا، خاصة بعد أن تخلصت من خصومها الألداء، طالبان في أفغانستان، وصدام حسين في العراق، على يد القوات الأمريكية عام 2001 و2003.[307] بيد أنه يتعين الإنتباه إلى أن التواصل الجغرافي السياسي بين روسيا الإتحادية وإيران لا يخلو من تأثيرات وانعكاسات سلبية على الدور الروسي والسياسة الخارجية لموسكو، فتعاظم الدور الإيراني يشير إلى محاذير كبيرة للسياسة الخارجية الروسية، ويخلق له المتاعب، بدأ يظهر بوضوح بعد تولي الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد سدة الحكم في إيران على مدار ثماني سنوات، حيث لم يكن لموسكو قوة تأثير على القيادات الإيرانية وقتئذٍ. إضافةً إلى ذلك، فإن الإمتداد الإيراني في الأساس يحد من زخم الطموح الروسي الهادف للوصول الى المياه الدافئة على البحر المتوسط.[308] مثال آخر هو العلاقات الروسية– التركية التي شهدت نوعاً من التقارب والتعاون الحذر المتبادل، وذلك نظراً للتراكمات التاريخية ذات الخلفية التنافسية التي لا زالت تلقي بظلالها على تلك العلاقات، وقد بدأت هذه العلاقات تشهد أزمة في الآونة الأخيرة بعد التدخل الروسي العسكري المباشر في الأزمة السورية، وطلب تركيا من حلف شمال الأطلسي دعم قدراتها الدفاعية بصورة عاجلة، إلا أنه من المستبعد حصول تدهوراً دراماتيكياً في العلاقات بين البلدين.
فمن جهتها، تحاول روسيا منذ أوائل تسعينيات القرن الماضي الإستفادة من الموقع الجغرافي لتركيا التي باتت ممرًّا إجبارياً لموسكو نحو المياه الدافئة، وطريقاً برياً لصادرات روسيا لدول الشرق الأوسط وأوروبا على وجه

[305] عماد الدين حاتم، "المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا"، مرجع سبق ذكره، ص 64.
[306] ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013، ص 252.
[307] ماجد كيالي، "التجاذب الإيراني– الأمريكي"، شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد 30، 2007، ص 14.
[308] عماد الدين حاتم، مرجع سبق ذكره، ص 62.

الخصوص، لاسيما من الغاز الطبيعي، حيث إن نحو 50 بالمائة من تجارة روسيا الخارجية تمر عبر المضايق التركية.[309] في المقابل، تسعى أنقرة على المدى البعيد، للإستفادة من علاقاتها مع موسكو في تعزيز مكانتها بين دول آسيا الوسطى والقوقاز، ومع المجموعات الإسلامية فيها، لمواجهة تطور النفوذ الإيراني الشيعي، علماً بأن نشاط الجامعة التركية[310] يثير القلق لدى موسكو، لكن ما يهوِّن من وطأة الأمر أن تلك الجامعة لا تلقى تأييد الحكومة في أنقرة التي لا تخفي طموحها نحو إقامة تحالف بين الشعوب التي تسمى "الأمة التركية" تحت قيادتها.[311] وسيتم تفصيل العلاقات الروسية التركية والروسية الإيرانية في الجزء الثالث من هذا الفصل.

الى ذلك، يبدو أن روسيا تحاول العودة الى الساحة الدولية عبر بوابة الشرق الأوسط، سيما أن باقي المعابر ما زالت مغلقة في وجهها بقوة السيطرة الإقتصادية والعسكرية الأميركية.[312] فمن الناحية الجيوسياسية، يشكل عدم الإستقرار الذي تعاني منه دول الشرق الأوسط بالنسبة لروسيا، الفرصة المناسبة لمحاولة الإنخراط مجدداً في صياغة النظام الدولي الجديد. فالمتغيرات التي يعاني منها الشرق الأوسط، بالإضافة الى أهمية المنطقة في الخريطة الإستراتيجية- العسكرية الدولية، والإقتصادية العالمية، تعطي القوى الكبرى، ومن بينها روسيا، مدخَلين للحصول على أدوار فاعلة، الأول هو المدخل الجغرافي، بمعنى التماس الجغرافي عبر الحدود أو الحضور المباشر في المنطقة، والثاني المدخل التأثير في المشكلات ذات التأثير الإقليمي، التي لا تصيب الشرق الأوسط فحسب، بل الأقاليم القريبة منه، ومن ضمنها روسيا، والتي يتوقف إنخراطها في هذه المشكلات على إرادتها السياسة للعب أدوار دولية في القضايا الشائكة، مع ما يتضمنه ذلك من ضرورة توافر الموارد واحتمال الصدام مع مصالح قوى أخرى، واستعدادها لمراعاة مصالح الدول بما لا يتعارض مع المصالح الروسية.[313]

د- الدور الروسي لجهة الأمن والإستقرار في المنطقة.

تتطلع موسكو لأن يكون لها دور أساسي في معالجة إشكاليات التسلح في الشرق الأوسط، لاسيما في ملف أسلحة الدمار الشامل. رغبت روسيا في الإبقاء على هذه المنطقة سوقاً لتصدير السلاح الذي يعتمد الاقتصاد

---

[309] صدقي عابدين، "التقارب الروسي- التركي"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 132، المجلد 33، أبريل 1998، ص 230.

[310] الجامعة التركية: منظمة تركية متشددة تدعو لإنشاء الدولة الطورانية الكبرى على كامل أراضي دول آسيا الوسطى. راجع: د. ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره، ص 255.

[311] عماد الدين حاتم، مرجع سبق ذكره، ص 62.

[312] خضر عباس عطوان، مرجع سبق ذكره، ص 54.

[313] فاروق الشناق، "مستقبل الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط"، آراء حول الخليج، جدة، العدد 38، تشرين الثاني 2007، ص 69- 70.

الروسي في صادراته الصناعية عليه، خاصةً وأن أسواق الشرق الأوسط كانت هي الأهم بالنسبة لروسيا في هذا المجال.

(1)- قضية أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط.

كانت روسيا باستمرار ضد انتشار أسلحة الدمار الشامل، وذهبت إلى الدعوة إلى تضمين معاهدة الأمن الأوروبي فقرة تدعو لمنع تطوير أسلحة الدمار الشامل، واحترام القانون الدولي الإنساني.[314] وخلال زيارته للقاهرة في 21 كانون الأول 2009، أعلن الرئيس الروسي السابق دميتري ميدفيديف عن تأييده للمبادرة المصرية بجعل منطقة الشرق الأوسط منطقةً خاليةً من أسلحة الدمار الشامل. كما اتخذت موسكو نفس الموقف أثناء زيارة الرئيس اللبناني السابق ميشال سليمان لموسكو في 25 شباط 2010.[315]

(2)- قضية التعاون العسكري مع الدول العربية.

لا تعتمد روسيا الإتحادية في سياستها مع الدول العربية على التدخل العسكري المباشر كما هو حال الولايات المتحدة مع تلك الدول، لكنها قدَّمت نفسها بعد انهيار الإتحاد السوفياتي كدولة تسعى لمد كافة الخطوط الدبلوماسية والعسكرية والإقتصادية مع الدول العربية. وترى موسكو أن الشرق الأوسط هو السوق الأهم بالنسبة لروسيا للتعاون معه في كل المجالات.

وقد سعت روسيا إلى تعزيز دورها في المنطقة العربية عموماً، إلا أن هذا الدور لم يرقَ إلى المكانة التي تمطح إليها موسكو. وزاد الأمر صعوبة أن الأطراف العربية نفسها، لم تعطِ الإهتمام الكافي لتوطيد الشراكة مع روسيا، على الرغم من أن تلك الشراكة إن تحققت، يمكنها تحصين العلاقات بين الطرفين كونهما يتشاركان نفس هموم أسواق النفط والغاز، ويشكِّلان مكاناً للمطامع الدولية. وبالرغم من عدم تقدم مستوى العلاقات بين روسيا والدول العربية، لا سيما الشرق أوسطية منها، إلا أن مجموعة من الإتفاقيات التي وُقِّعت كان لها آثارها المهمة، خاصةً تلك التي تتعلق بشراء السلاح وبإنشاء مفاعلات نووية للأغراض السلمية. وقد لعب الرئيس بوتين دوراً كبيراً في إتمام تلك الإتفاقيات. لقد استطاعت روسيا أن تدخل وبقوة إلى أسواق السلاح في عدة دول عربية كانت على قطيعة مع الإتحاد السوفياتي. ولهذه الغاية تم إبرام عدة عقود لتصدير الأسلحة إلى دول الخليج العربي، كالمملكة العربية السعودية، والبحرين، والإمارات العربية المتحدة.[316]

وفي مساعيها الرامية للمحافظة على مكانتها الدولية، والمحافظة على أمن المضائق والمعابر البحرية، شاركت القوات البحرية الروسية في العمليات الهادفة الى مكافحة القرصنة في خليج عدن من ضمن

---

[314] وكالة روسيا اليوم باللغة العربية، عدد 14/ 11/ 2009، أنظر أيضاً محمد نجيب السعد، " قضايا.. روسيا والشرق الأوسط"، جريدة الوطن العمانية، 29 آب 2015.

[315] أحمد عبدالله الطحلاوي، مرجع سبق ذكره، نقلاً عن جريدة الحياة، بيروت، عدد 26/ 2/ 2010.

[316] ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره، ص 236- 237.

المجموعات البحرية الدولية التي تشكلت لهذه الغاية، والتي ضمت قوات بحرية عربية ودولية أخرى. فقد شاركت سفناً حربية روسية في هذه المهمة، وأكدت قيادة أسطول المحيط الهادي الروسي أن الفريق السادس لسفن الأسطول شارك في مكافحة القراصنة ومرافقة قوافل السفن التجارية ضمن البعثة البحرية الدولية خلال الفترة من كانون الأول 2012، وحتى كانون الثاني 2013.[317] وفي سياق متصل أكد قائد القوات البحرية الروسية، الأميرال فيكتور تشيركوف، أن السفن الحربية الروسية وسفن الدعم تستمر فى أداء المهام على سواحل الصومال، لمنع هجمات القراصنة على السفن المدنية فى خليج عدن والقرن الأفريقي. وذكرت وكالة "ريا نوفستى" الروسية للأنباء أن السفن الحربية الروسية تقوم بمهمة مكافحة القرصنة بأسطول الشمال بقيادة السفينة الحربية "سيفيرومورسك"، ومن المتوقع أن يتم دفع سفن حربية من أساطيل الشمال والمحيط الهادئ فى مجالات زيادة نشاط مكافحة القراصنة قبالة الساحل الشرقى لأفريقيا.[318]

هـ- الصراع الروسي الغربي على مصادر الطاقة في الشرق الأوسط.

يوجد تنافس بين القوى الكبرى للسيطرة على مصادر النفط والغاز الطبيعي الرئيسة، والتي يتوقع أن تصبح أحد أهم أسباب اندلاع الصراعات الإقليمية والدولية خلال السنوات القادمة. وتبرز أهمية الغاز بسبب اعتماد معظم الدول عليه كمصدر للطاقة، ما أدى إلى تنافس دولي في منطقة الشرق الأوسط بسبب وجود كميات كبيرة منه، في ظل مخزون لم يستنفد بعد واكتشافات جديدة مستمرة في المنطقة.

(1)- أهمية الغاز بالنسبة الى روسيا.

يُشكل الغاز فعلياً مادة الطاقة الرئيسة في القرن الواحد والعشرين، سواء من حيث البديل لتراجع إحتياطي النفط عالمياً أو من حيث الطاقة النظيفة، ولهذا تُعتبر السيطرة على المناطق التي تحوي الغاز في العالم بالنسبة للقوى الكبرى أساس الصراع الدولي في تجلياته الإقليمية.

في قراءة أولية لخارطة الغاز نراها تتموضع في المناطق التالية من حيث الكمية والقدرة على الوصول إلى مناطق الإستهلاك: روسيا، تركمانستان، أذربيجان، إيران، جورجيا، سوريا، لبنان، قطر ومصر.[319] كما هو واضح أن روسيا قد إستفادت من عبر الماضي إذ أن أحد أسباب سقوط الإتحاد السوفياتي الرئيسية كان

---

[317] "سفن حربية روسية تشارك في مكافحة القرصنة في خليج عدن"، وكالة أنباء البحرين، الموقع الإلكتروني: http://www.bna.bh/portal/mobile/news/470069 (دخول 15 كانون الأول 2015).

[318] مؤمن مختار،"البحرية الروسية تكثف نشاطها أمام السواحل الصومالية لمكافحة القرصنة"، 2 كانون الثاني 2015، اليوم السابع، الموقع الإلكتروني: http://www.youm7.com/story/2015/1/2 (دخول 15 كانون الأول 2015).

[319] عماد شعيبي،" الصراع على الشرق الأوسط: الغاز أولاً"، شبكة فولتير، الموقع الإلكتروني: http://www.voltaire.org/article، (دخول 15 كانون الأول 2015).

غياب موارد الطاقة العالمية عن سيطرته، لتضخ إلى البنى الصناعية المال والطاقة، ولذلك تعلّمت من الخطأ وأيقنت أن لغة الطاقة المستقبلية هي لغة الغاز، ويجب التحكم بمصادره لتحقيق أهداف ومكاسب استراتيجية.

أسست روسيا شركة "غازبروم" لتتحرك في نطاق وجود الغاز من روسيا إلى أذربيجان، تركمانستان وإيران وصولاً إلى منطقة الشرق الأوسط مؤخراً، كل ذلك من أجل استعادة دور روسيا، ومن أجل إحكام السيطرة على الإقتصاد الأوروبي الذي سيعتمد لعقود على الغاز. أطلقت روسيا مشروعين أولهما هو مشروع السيل الجنوبي وثانيهما هو مشروع السيل الشمالي، ينتقل السيل الشمالي "North Stream" من روسيا إلى ألمانيا مباشرةً عبر بحر البلطيق، بينما يمر السيل الجنوبي "South Stream" من روسيا إلى البحر الأسود فبلغاريا ويتفرع إلى اليونان فجنوب إيطاليا وإلى هنغاريا فالنمسا. تعمل روسيا على هذين المشروعين في مواجهة مشروع أميركي هو مشروع "نابوكو" لنقل غاز البحر الأسود وأذربيجان من تركيا إلى النمسا، وبالتالي من منطقة الشرق الأوسط إلى الأسواق الأوروبية. يُعتبر هذا السباق استراتيجياً بين مشروعين للسيطرة على أوروبا من ناحية وعلى مصادر الغاز من ناحية أخرى.[320]

(2)- **الصراع على الغاز في الشرق الأوسط.**

من أهم مواضيع الصراع الخفي بين القوى الكبرى في عالم اليوم هو الغاز، وما يدور من أحداث وتغيّرات في الشرق الاوسط إنما هي أحداث في غايتها الوصول إلى بوابة الغاز، أي السيطرة على آسيا الوسطى وثروتها الغازية، كونها تحتوي إضافة إلى بحر قزوين، على ثاني أكبر إحتياطي للنفط بعد الخليج العربي والأول للغاز الطبيعي في العالم.

علم الروس بعد سقوط الإتحاد السوفياتي أن الصراع على التسلح قد أنهكهم وسط غيابهم عن عالم الطاقة الضرورية لأية دولة صناعية، فيما كان الأميركيون يتحركون في مناطق النفط عبر عقود مكّنتهم من السيطرة على القرار السياسي الدولي دون منازعات كبيرة.[321] لهذا كان التحرك الروسي بإتجاه مكامن الطاقة، بناء على استراتيجية دقيقة شملت مناطق وجود الغاز من روسيا حتى إيران وصولاً الى الشرق الأوسط، كما عملت موسكو على السعي إلى احتكار صناعة الطاقة، من حيث الإنتاج، النقل أو الإستثمار.

كانت الولايات المتحدة الأميركية تأمل بنقل الغاز من تركمانستان إلى تركيا وبعدها إلى أوروبا، من دون المرور بالأراضي الروسية وذلك بهدف التخفيف من اعتماد أوروبا على مصادر الطاقة الروسية، وبالتالي تحرير أوروبا من السيطرة الروسية في مجال الطاقة، إلا أن روسيا نجحت في الرد على الأميركيين من خلال عقد اتفاقيات تعاون في مجال الطاقة مع دول آسيا الوسطى وقطع الطريق على المحاولات الأميركية. وقد

[320] عماد شعيبي،" الصراع على الشرق الأوسط: الغاز أولاً"، مرجع سبق ذكره.
[321] المرجع السابق.

سارعت روسيا لشراء غاز آسيا الوسطى وبحر قزوين عبر مناقصة لإبعاده عن العمل بخط أنابيب نابوكو، كما أقامت شركة "غازبروم" الروسية منشأة تخزين في صربيا، مع وجود خطط لأقامة منشآت مماثلة في دول أوروبية أخرى من ضمن خطط موسكو لتحصين موقعها كمزود أساسي للغاز، ممّا يعني هذا من تراجع للنفوذ الأميركي، وهذا ما يفسر حجم الصراع الكبير على الغاز الجديد في منطقة الشرق الأوسط.

لعل أكثر ما يشكل خطراً على مشروع نابوكو هو قيام روسيا بالتفاوض على عقود أكثر أفضلية وتنافسية لإمدادات الغاز لتصب في "غازبروم" بسيليها الشمالي والجنوبي، وقطع الطريق على أي نفوذ غربي في الشرق الأوسط، فضلاً عن أن تكون "غازبروم" من أهم مستثمري أو مشغّلي حقول الغاز حديثة العهد في كل من سوريا ولبنان. بالتالي لا يعود لمشروع نابوكو من خيار إلا إمدادات حقل شاه دنيز الأذربيجاني، والتي ستكون المصدر شبه اليتيم للمشروع من خلال تسارع صفقات ونجاحات موسكو في شراء مصادر نابوكو.

3- مواجهة السياسة الأميركية في المنطقة.

مع الصدمة الأمنيّة التي تلقتها الولايات المتحدة في أحداث 11 أيلول، عادت الطروحات الجيوسياسيّة إلى المسرح الدولي، وأصبحت الولايات المتحدة ترى في الشرق الأوسط مصدر الخطر الأساسي لها، واتهمت عدد من دوله بتمويل ورعاية "الإرهاب"، كما أن فيه دول تسعى لحيازة أسلحة الدمار الشامل، وتترعرع في أنظمته "الأصوليّة والدكتاتوريّة". وفي خضم هذه المخاوف جاءت مبادرات نشر الديمقراطيّة في هذه المنطقة كدواء لا بدّ منه لعلاج الأزمات المتأتيّة منها، حيث كان لا بد من استخدام القوة خلال مراحل العلاج الأميركي للمنطقة، والذي نتج عنه توسيع رقعة الإنتشار العسكري الأميركي بطريقة أثارت استياء القيادة الروسية، التي رأت في الأفعال الأميركية إستهداف مباشر لمصالحها في الشرق الأوسط، وظهر التباين جلياً في مواقف الدولتين عند كل استحقاق شرق أوسطي.

أ- السياسة الأميركية في الشرق الأوسط.

تأثرت السياسة الخارجية الأميركية تجاه الشرق الأوسط في ظل التحولات الجيوسياسية الأخيرة والتي حملت معها معطيات جديدة على المشهد السياسي، وبدت السياسة الأميركية في خضم هذه التحولات أكثر تأزماً. ويصف مراقبون السياسة الأميركية في الشرق الأوسط بأنها غير واضحة أمام تحديات الحالة السياسية في المنطقة، وغير قادرة على فرض حلول واقعية قابلة للتطبيق،[322] في ظل تعدد اللاعبين الفاعلين في المنطقة تبعاً لمستجدات المرحلة الراهنة.

[322] "الثابت والمتغير في سياسة أميركا تجاه الشرق الأوسط بعد الربيع العربي"، جريدة العرب اللندنية، عدد 6 أيار 2014، الصباح نيوز، الموقع الإلكتروني: /http://www.assabahnews.tn/article (دخول 13 كانون الأول 2015).

(1)- مصالح ومرتكزات السياسة الأميركية في الشرق الأوسط.

كانت منطقة الشرق الأوسط ولا تزال، أرض خصبة للصراعات الدولية ومسرحاً للنفوذ الخارجي، ومن المؤكد أن الولايات المتحدة ستواصل الإصرار على وجود قوي لها في المنطقة، خاصةً مع بروز أدوار متنامية لكل من روسيا والصين. فالولايات المتحدة لن تتخلى عما تعتبره مصالحها الإستراتيجية في المنطقة، وبالتالي ستواصل رصد رأس مال سياسي، عسكري واقتصادي كبير لحمايتها.[323]

تستند عملية صنع وتشكيل السياسة الخارجية الأميركية في منطقة الشرق الأوسط على عدد من المرتكزات، قسم يتعلق بصفة خاصة بالشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي، كحماية أمن وسلامة إسرائيل، والعمل على ضمان تفوقها، وتأمين وصول الولايات المتحدة إلى نفط الخليج، وقسم يرتبط بالدور العالمي، كتفعيل دورها القيادي انطلاقاً من وضعها كقوة عظمى.[324]

لم تتغير أهداف السياسة الأميركية تجاه منطقة الشرق الأوسط حتى في ظل ما بات يعرف "بالتوجه ناحية الباسيفيك" وإن إختلفت الوسائل لتحقيقها. وترى الولايات المتحدة في الإرهاب والتطرف خطراً رئيساً على أمنها القومي، من هنا حددت مواجهته والقضاء عليه كمصلحة أمنية لها. كما يتطلب الوقوف في وجه هذا التهديد استمرار الدعم السياسي والعسكري للعديد من الدول في العالمين العربي والإسلامي، وتعاوناً أمنياً واستخباراتياً وثيقاً معها، وحذراً تجاه عملية الإنتقال الديموقراطي في العالم العربي التي قد تضع الأحزاب الإسلامية في مقاعد السلطة.

تتمثل المصلحة الأميركية الأهم في الحفاظ على أمن الطاقة، فمنطقة الشرق الأوسط تحوي الجزء الأكبر من احتياطات النفط والغاز في العالم، وقد أيقنت الولايات المتحدة أهمية السيطرة على هذه المنابع وتأمين استمرارية تدفق النفط الخام والغاز لنجاح سياساتها ولبقائها قطباً واحداً يدير شؤون العالم.

(2)- مشروع الشرق الأوسط الكبير.

يضم الشرق الأوسط في الجغرافيا السياسية الأميركية، إيران وأفغانستان وآسيا الوسطى وباكستان، أما الأدنى فهو الدول العربية وإسرائيل وتركيا. تتغير الصياغات السياسية والجغرافية لمنطقة الشرق الأوسط، وتبدو

---

[323] بول سالم، تنافس القوى العظمى على مستقبل الشرق الأوسط، الحياة، الموقع الإلكتروني: http://arabic.carnegieendowment.org، (دخول 16 كانون الأول 2015).

[324] عبد الله صالح، من يرسم السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط؟، الموقع الإلكتروني: http://alasr.ws/articles/view، (دخول 16 كانون الأول 2015).

الجغرافيا الخاصة بهذه المنطقة مفتوحة لتقبّل الخرائط والمشاريع والمبادرات، فتتسع لتضم الدول العربية وتركيا وإيران وإسرائيل ودولاً متعددة من آسيا الوسطى، أو تضيق لتقتصر على عدد محدود من هذه الدول.[325]

طرحت الولايات المتحدة مصطلح "الشرق الأوسط الكبير" الذي يضم إلى جانب الدول العربية، إيران وتركيا وإسرائيل وباكستان وأفغانستان ودول آسيا الوسطى ودول شمال أفريقيا من ضمن المبادرة التي أطلقها الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش في السادس من شباط 2004.[326] جعل هذا المشروع موضوع الإصلاح والتنمية في الواجهة، ولكن الهدف منه كان تحقيق أمرين، الأول بناء نظام شرق أوسطي جديد تكون إسرائيل إحدى ركائزه، والثاني التحكم بمصادر الطاقة.

إن مشروع الشرق الأوسط الجديد أو الكبير هدف أيضاً إلى إعادة صياغة خريطة جيوسياسية تعيد ترسيم الحدود والتوازنات في المنطقة. في هذا السياق، جاء الإهتمام الأميركي بضرورة تطبيق الديموقراطية، إستناداً إلى قناعة أن تحوّل الأنظمة إلى أنظمة ديموقراطية سيقضي على الإرهاب، ويحصّن بالتالي الأمن القومي للولايات المتحدة. سعت الإدارة الأميركية، في سياق الأزمات المفتوحة في المنطقة، إلى خلق شرق أوسط جديد، وممّا لا شك فيه أن ما يجري في المنطقة العربية وآسيا الوسطى يمكن أن يُفضي فعلاً إلى هذا الأمر. الكل يريد شرق أوسط جديد، ولكن بشروط ومواصفات وقواعد جديدة مختلفة عن السابق، والملفت في خضم هذا الصراع المحتدم أنه لا يوجد مكانٌ للحياد لأن تأثيرات هذا الصراع سوف تطال الجميع.[327]

ب- <u>مواجهة موسكو للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.</u>

شعرت روسيا بتقلص دورها عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، وولادة نظام دولي جديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد بدت تفرد الأخيرة واضحاً سيما بعد ظهور روسيا بمظهر العاجز عن التأثير في مجرى الأحداث الدولية كما ترغب، خاصةً خلال تسعينيات القرن الماضي، فضلاً عن أنها لم تبالِ كثيراً بتلك الأحداث بسبب انشغالها وانغماسها في أزمتها الداخلية الإقتصادية والإجتماعية.

بيد أنه ومنذ بدء القرن الحالي، ومع تولي بوتين مقاليد السلطة للمرة الأولى، بدأت تنجلي الغيوم عن الطموحات الروسية، بدءاً بالمصالح القومية الروسية العليا الى العديد من الملفات والقضايا الدولية التي ترتبط بأمن روسيا ومكانتها الخارجية. وبالتالي فقد أصبح الدور والنفوذ الأمريكي المتزايد في منطقة الشرق الأوسط على مدى عقود ماضية يمثِّل حافزاً للسياسة الخارجية الروسية لتحصيل المزيد من النفوذ والتأثير كقوة عالمية. ولذا تحركت السياسة الروسية من منطلق المشاركة الإقليمية، وذلك من خلال تعزيز الشراكات

---

[325] نسيم الخوري، "مشروع الشرق الأوسط الكبير أو المبادرة المستحيلة"، مجلة الدفاع الوطني، اليرزة، العدد50، تشرين الأول 2004، ص6.

[326] المرجع السابق، ص37-39.

[327] المرجع السابق.

والتحالفات مع الدول الرئيسية في أوروبا وآسيا، من أجل تحقيق التوازن أمام الطموحات الأمريكية وحلف شمال الأطلسي، ولتأكيد قدرتهاعلى إدارة علاقات تنافسية مع الولايات المتحدة، بل وإخضاع أوروبا الغربية لدائرة النفوذ الروسي في الشرق إن أمكن.[328]

وكانت منطقة الشرق الأوسط في مقدمة المناطق التي عملت روسيا للمحافظة على تأثيرها فيها، ومناوأة الأحادية القطبية من خلالها.[329] فلم تعد السياسة الروسية تجاه المنطقة الشرق أوسطية ترتكز على أسس تعاقدية قانونية ثابتة وواضحة، كما أنها لم تملك إستراتيجية واضحة، وإنما هي تمارس خليطاً من التصرفات المزعجة للولايات المتحدة الأمريكية حيناً، ولدوافع اقتصادية حيناً آخر.[330]

إعتبرت روسيا أن حاضنة نفوذها الجنوبية المتمثّلة بإيران وسوريا، مهدّدة من قبل الغرب عبر إثارة مسائل إنسانية وأمنية قد تفسح في المجال أمام إشعال منطقة الشرق الأوسط وخلط الأوراق الاستراتيجية. لذلك إتسم الحراك الروسي بموازرة الصين بالحيوية لمواجهة سياسة الولايات المتحدة الأميركية.[331] ولذلك ليس بمستغرب أن تشهد ملفات الشرق الأوسط الساخنة تبايناً واضحاً في المواقف بين روسيا من جهة، والدول الغربية بزعامة الولايات المتحدة من جهة ثانية، لاسيما ملفات إيران والعراق ولبنان وفلسطين، وخاصة الملف السوري الذي يُظهر تأثير روسيا المباشر من خلال دعم وتسليح النظام السوري، وحمايته في مجلس الأمن من فرض مزيد من العقوبات عليه.[332]

ترفض روسيا وجود سيطرة أمريكية أطلسية على مجريات الأحداث بمنطقة الشرق الأوسط بمعزل عن مشاركتها. وتحكم السياسة الروسية في الشرق الأوسط اعتبارات ذات حساسية واسعة، فهذه المنطقة تقع إلى الجنوب من خاصرتها الرخوة في القوقاز، وبالتالي تسعى الى تحقيق خطوات نوعية متقدمة من شأنها تقليل نفوذ القوى الدولية الأخرى فيها. وقد أعلن بوتين أن الشرق الأوسط منطقة خطرة جدًّا، رافضاً ما أطلقته الولايات المتحدة الأمريكية من مقترح حول تشكيل ما أسمته "الشرق الأوسط الكبير" عام 2004.[333]

---

[328] راندا موسى، "بين التوتر والتوازن: حسابات وقضايا العلاقات الروسية– الأمريكية"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 194، المجلد 48، أكتوبر 2013، ص 115.

[329] ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره، ص 268– 269.

[330] أحمد عبد الله الطحلاوي، مرجع سبق ذكره.

[331] وليد عبد الحي، دراسات مستقبلية وعلاقات الدولية، الموقع الإلكتروني: http: //www.aljazeera.net، (دخول 20 كانون الأول 2015).

[332] عبد الغني سلامة، مرجع سبق ذكره، ص 171– 172.

[333] م. بيلنكايا، "الشرق الأوسط الكبير بين روسيا والسبعة الكبار"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 128، 2008، ص 73.

ومن ثم فإن استمرار نجاح روسيا في تحدي القواعد التي تحاول الولايات المتحدة الأمريكية فرضها على النظام الدولي، وكذلك في تحدّي قدرة الأمريكيين على التدخل في مختلف مناطق العالم، ما سيسهم في كبح الفورة الأميركية، ويمنح القوى الأخرى الصاعدة فرصة أكبر للمشاركة في إدارة النظام الدولي.[334]

إلا أن ما يقلل من احتمالية نجاح هذا الطرح هو الفكر الروسي ذاته والذي يرفض تمويل الكثير من المشروعات السياسية خارج أراضي الدولة الروسية نفسها، فذلك سيضعف من إمكانية التأثير السياسي لروسيا في الخارج. ولذا فإن روسيا مثلاً، وهي إحدى دول الرباعية الدولية الراعية لعملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية، لا تستطيع حالياً الإدعاء بأنها ساعدت بشكل كبير أو مؤثر على تحقيق تقدم في التسوية السلمية في الشرق الأوسط، أو غيرها من مشكلات المنطقة.[335]

وتنحو القيادة الروسية منحىً جديداً عوضاً عن تمويل المشروعات السياسية بشكل مباشر، وهو إيلاء البعد الإعلامي الإهتمام الشديد الذي يستحقه، ومحاولة تشكيل رأي عام عالمي مناهض للسلوك السياسي والإقتصادي الأمريكي والغربي بشكل عام، ولصالح وجهات النظر الروسية، لا سيما فيما يتصل بالقضايا التي تضعها موسكو على رأس جدول أولويات سياستها الخارجية، وعليه قامت روسيا بافتتاح المحطة الفضائية الروسية (روسيا اليوم) الناطقة بالعربية. إضافة إلى ذلك، تحاول روسيا التعاون مع العالم العربي ككيان إقليمي، وليس بشكل منفرد كل دولة على حدة، كما هي الحال في مواقف العديد من دول كبرى أخرى ترفض من حيث المبدأ مفهوم "الوطن العربي"، وتسعى إلى إذابته في كيان أكبر "شرق أوسطي" أو "متوسطي" غير متجانس أو محدد الهوية. وتتضح تلك النظرة الروسية للمنطقة العربية ليس من تصريحات القادة الروس فحسب، وإنما كذلك من خلال الزيارات التي يقوم بها كبار مسؤولي الدولة الروسية وعلى رأسهم الرئيس بوتين إلى المنطقة العربية، والتي تحمل دلالات خاصة حول أهمية العالم العربي بالنسبة لروسيا.[336]

ج- <u>ركائز السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط.</u>

لم تمنع ثوابت روسيا في الشرق الأوسط من إحداث تغييرات في هذه السياسة. في المقابل فإن المصالح القومية العليا الروسية بقيت فوق كل الاعتبارات، وغالباً ما كانت التغييرات تصطدم بهذه المصالح، فالالتزامات التي ورثتها موسكو قيَّدت أحياناً توجهاتها، حفاظاً على سمعتها ومركزها الدوليين.[337]

---

[334] باسم راشد، مرجع سبق ذكره، ص 56.
[335] عبد الغني سلامه، "السياسة الروسية في الشرق الأوسط"، الحوار المتمدن، العدد 3335، 2011/04/13، الموقع الإلكتروني: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=254815 (دخول 21 كانون الأول 2015).
[336] باسم راشد، مرجع سبق ذكره ، ص 50.
[337] محمد المجدوب، "الوسيط في القانون الدولي العام"، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1999، ص 268.

في ظل المتغيرات الجيوسياسية، كانت لروسيا مرتكزات قانونية وسياسية حكمت تعاطيها مع الملفات المطروحة على الساحة الدولية، سواء على مستوى ما سمي "بالحرب على الإرهاب"، أو بالسباق النووي، أو بالصراع على مخزون النفط والغاز، أو بالصراع العربي الإسرائيلي. وكل ذلك في أجواء دولية غير مستقرة، وتشهد سباقات لم تحدد نتائجها بعد، لاسيما موضوع الأحادية القطبية وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بموقع الزعامة الدولية، كذلك سباق التسلح، على اعتبار أن لروسيا دوراً مهماً في ذلك نظراً لموقعها الجيوسياسي الهام، ومكانتها الأوراسية، وتأثيرها في مجموعة كبيرة من المجالات القريبة والبعيدة.[338]

تعاملت روسيا بواقعية مع موضوعات شرق أوسطية لها أبعادها الدولية معتمدة على المرتكزات القانونية والسياسية التي تخدم مصالحها السياسية والاقتصادية. وحاولت في السنوات الأخيرة الحفاظ على مكانتها الدولية دون أن تكون ركيزتها في ذلك الأحلاف العسكرية. وبالتالي نشطت الدبلوماسية الروسية محاولةً إيجاد الحلول السلمية وفقاً لمقاييس القانون الدولي العام لنزاعات المنطقة، ودون تدخل في شؤون دولها الداخلية.

(1)- قضية الإرهاب.

حاولت روسيا تقديم تعريف لمفهوم الإرهاب يختلف والتعريف الغربي والأمريكي للمفهوم. ففي حين اعتبرت واشنطن الإرهاب عنفاً ذا باعث سياسي على أهداف غير حربية يرتكبها عملاء دولة أو مجموعات وطنية فرعية، اختلفت الرؤية الروسية مع هذا التعريف، حيث رأت موسكو أن أعمال المقاومة التي ضد الاحتلال ليس إرهاباً. إلا أن بعد تطور نزاع الشيشان في جنوب روسيا، بدأت الأخيرة تغيّر وجهة نظرها فيما يتعلق بما يسمى "الإرهاب الإسلامي"، خدمة لمصالحها في الشيشان.[339] واستمرت موسكو على موقفها غير الثابت من مفهوم الإرهاب، إلا أن تنامي التطرف الإسلامي بشكل كبير، أثار امتعاض موسكو وتخوفها.[340]

ومع أن وزير خارجية روسيا قد أعلن أن بلاده والعرب متفقون على مكافحة الإرهاب والتعصب الديني والسياسي، فإن موسكو لم تسلم بهذا الموقف الذي راعت فيه مصالحها الحيوية مع العرب والمسلمين من انتقادات الجانب الإسرائيلي الذي كان يتهمها بدعم الإرهاب عن طريق تزويد إيران وسوريا بالسلاح الذي يصل إلى حماس وحزب الله المُصنَّفتين لدى الولايات المتحدة وإسرائيل كمنظمات إرهابية.

---

[338] ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره، ص 215- 216.

[339] المرجع السابق، ص 220.

[340] أندريه بلاتونوف، إكليل الشوك الروسي: التاريخ السري للماسونية 1731- 1996، ترجمة مازن نفاع، دار علاء الدين، دمشق، 2006، ص 316.

ويتضح أن موسكو لم تتبنَّ التعريفات الغربية للإرهاب لتوافق مصالحها أحياناً مع بعض أعمال المقاومة أو الإرهاب التي تضغط على الأمريكيين. لكن في نفس الوقت، لم تكن موسكو محايدة في كثير من المواقف والقضايا الأخرى المتعلقة بالأمن والإرهاب التي تهدد مصالحها القومية داخل روسيا.[341]

(2)- <u>قضية الحرب على العراق (آذار 2003): التفرد الأميركي.</u>

إستمرت التباينات في وجهات النظر والمواقف السياسية بين موسكو وواشنطن حول فرض عقوبات اقتصادية على العراق طيلة عقد تسعينيات القرن الماضي، وذلك لعلم روسيا بأن الولايات المتحدة تريد فرض نفوذها على الشرق الأوسط، لاسيما الدول النفطية فيه. وبالتالي سعت موسكو إلى إفشال الخطط الأمريكية من خلال استخدام حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن تارة، أو مسايرة تلك الخطط على النحو الذي يحقق المصالح الروسية بشكل أو بآخر تارة أخرى.

وعلى الرغم من معارضة المخطط الأمريكي بغزو العراق، واستخدام حق الفيتو حيال مشروع قرار مجلس الأمن الذي طُرِح في شباط 2003 لوضع الحالة العراقية تحت مندرجات الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، فإن موسكو لم تتخذ أية إجراءات ضد هذا الغزو الأمريكي بعد وقوعه، وذلك لكي تكون شريكاً في التسوية في العراق عن طريق تدشين أمر واقع في مجلس الأمن، مع المطالبة المستمرة والدائمة بتحديد موعد لانسحاب القوات الأجنبية من العراق.[342]

فقد تحالفت موسكو بوتين مع برلين غيرهارد شرودر وباريس جاك شيراك لخلق محور رفض في القارة الأوروبية ضد الهيمنة الأمريكية، وإن لم يُشكِّل هذا التحالف نتائج ملموسة على الأرض، فإنه قد شكَّل ضغطاً كبيراً على لندن توني بلير وواشنطن جورج دبليو بوش، وأوصل رسالة للعالم مفادها بأن ما يجري على أرض العراق ليس مشروعاً "عالمياً".[343]

والجدير ذكره أن الموقف الروسي المتحالف مع بعض دول أوروبا جاء بعد دراسة الخيارات الروسية حيال التعامل مع تلك القضية، والتي تمثَّلت في نهجين رئيسين: أحدهما كان يدعو إلى الإنخراط في التحالف ضد صدام حسين بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، تحت ذريعة الحفاظ على المصالح الروسية الإقتصادية في عراق ما بعد حقبة صدام حسين، والآخر دعى إلى النأي بالنفس، والإكتفاء بعدم عرقلة الخطط الأمريكية، مع الإحتفاظ بالقدرة على المناورة في الوقت المناسب، سواء عن طريق حق الفيتو بمجلس الأمن، أو

[341] ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره، ص 221.

[342] أحمد عبد الله الطحلاوي، مرجع سبق ذكره.

[343] عاطف معتمد عبد الحميد، "الموقف الروسي من احتلال العراق.. عام من التغيير"، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/10/3 (دخول 22 كانون الأول 2015).

باستخدام الوسيلة العسكرية وفقاً للظروف التي ستسفر عنها الحرب على العراق وقتئذ.[344] ودخلت روسيا بعد ذلك في سياسة تبادل المصالح مع واشنطن. وقد بدا ذلك واضحاً عندما رست صفقة تحديث حقول النفط العراقية على الشركات الروسية في 13 أكتوبر 2009. ومع هذا، فإن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لم تكونا راضيتين عن السلوك والدور الروسيين في الشرق الأوسط، على الرغم من وقوف روسيا ضد التعصب والتطرف الإسلامي في بلاد القوقاز، ورغم دعم موسكو للقوات الشرعية اللبنانية ضد المتطرفين الإسلاميين في مخيم نهر البارد شمال لبنان صيف 2008.[345]

هذا الموقف الأمريكي من دور روسيا وسياستها في منطقة الشرق الأوسط منذ بدايات الألفية الثالثة هو ما جعل الرئيس الروسي بوتين يعلن بشكل واضح في قمة الدول الإسلامية في كوالالامبور الماليزية عام 2002 عن رفض بلاده للتوصيف الأمريكي لمفهوم الإرهاب.[346]

(3)- دعم إيران في مفاوضات مشروعها النووي.

يرى المراقبون أن محاولة التقارب التي سعت إليها موسكو مع طهران من خلال دعمها في مفاوضاتها النووية كانت تعتبر إحدى الوسائل الهامة التي استخدمتها روسيا في تحجيم تأثير طهران بين مسلمي روسيا الذين يُقدَّر عددهم بنحو 20 مليوناً، وبالأخص في منطقة القوقاز التي تعاني فيها موسكو مشكلات حادة، علاوةً على منطقة آسيا الوسطى التي تعتبرها مجالاً حيويّاً يجب أن يظل تحت هيمنتها. إلا أنه في المقابل، سعت روسيا من خلال تقديم الدعم لإيران للحصول على موقع متقدم بين الدول المؤثرة في المنطقة، من خلال فرض نفسها كطرف أساسي لا يمكن تجاوزه، في حل القضايا الدولية العالقة في منطقة الشرق الأوسط. وستتم معالجة موضوع المشروع النووي الإيراني بالتفصيل في القسم الثالث من هذا الفصل.

(4)- العلاقات الروسية العربية.

لقد إنعكس إكتشاف سوء تركيز السياسة الروسية على الغرب وحده، وتجاهل بقية دول العالم ذات الأهمية الاستراتيجية، وبالذات البلدان التي تربطها بموسكو صداقة تقليدية، ومنها البلدان العربية، في قيام الرئيس

---

[344] سلام مسافر، "تشريح الموقف الروسي من غزو العراق 2003"، ورقة مقدمة لمؤتمر بعنوان "عشر سنوات على احتلال العراق" والذي عُقِد في الفترة من 10- 11 نيسان 2013، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2013، ص 2.

[345] شامل سلطانوف، "روسيا والعالم العربي"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 128، ربيع 2008، ص 87.

[346] ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره، ص ص 217- 228.

الروسي الأسبق يلتسن في أوائل عام 1993 بالموافقة على خطة متكاملة لسياسة روسيا في المنطقة العربية والشرق الأوسط، وضعتها وزارة الخارجية ولجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الروسي.[347]

بالنسبة للدول العربية، فالعلاقات العربية الروسية ليست بالحديثة، وإنما تمتد لقرون طويلة خلت، وقد كان الإتصال الثقافي والديني والحضاري ظاهراً بين المنطقة التي تضم روسيا وآسيا الوسطى والقوقاز، والمنطقة العربية على وجه الخصوص. وفي العقود الأخيرة، كانت محاولات روسية للوصول بنفوذها وإمكاناتها إلى مياه البحر الأبيض المتوسط وذلك بهدف المشاركة في إدارة شؤون "المناطق الطرفية لأوراسيا".[348] بالنسبة لموسكو، فإن المنطقة العربية كمنطقة مجاورة وحارّة وتقع على أطراف منطقة "أوراسيا"، تمثِّل مع أوروبا السلافية (البلقان) منطقتين مهمتين لها، وبالتالي فإن لهما الأولوية في السياسة الروسية منذ زمن بعيد.[349]

وساعدت عوامل عدة على تحقيق التواصل في العلاقات بين روسيا والبلدان العربية، أبرزها وجود ملايين الروس الذين يدينون بالإسلام، ولهم توجهات وهابية لا تتفق مع التوجهات التوسعية الشيعية الإيرانية، ولا مع التوجهات الطورانية التركية. وما ساعد على تدعيم العلاقات الدينية بين روسيا والعرب هو سقوط الشيوعية، وتخلي الوريث الروسي عن هذه الأيديولوجية. وقد امتدت العلاقات من النواحي الثقافية والدينية والسياسية إلى المناحي الإقتصادية والتجارية والإعلامية،[350] وذلك لما للجانبين الروسي والعربي من قدرات إنتاجية كبيرة من الغاز والنفط، وبالتالي فإن التعاون بينهما يلعب دوراً كبيراً في تحديد مستقبل أسواق الطاقة العالمية.

إلا أن هذه العلاقات لم تحل دون حدوث حالات من التشنج من جراء السياسة الروسية إزاء بعض الملفات ذات الإهتمام المشترك، منها مسألة هجرة اليهود الروس إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، وهو الأمر الذي أدى إلى اختلال التوازن والتركيبة الديموغرافية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، إضافة الى الإختلاف الحاصل في وجهات النظر حيال الأزمة السورية الراهنة، الى السياسات النفطية خاصة داخل أوبك.

وعليه فإن روسيا تنطلق في توجهاتها السياسية تجاه قضايا المنطقة العربية بما يتناسب مع مصالحها، فمواقفها تجاه الصراع العربي الإسرائيلي أصبحت مقيدة بمعايير جديدة فرضها وجود جالية روسية كبيرة ومؤثرة في إسرائيل من جهة، وسياساتها المرتبطة بعضويتها الدائمة في مجلس الأمن والإعتبارات التسووية

---

[347] سعد حقي توفيق، العلاقات العربية الدولية في مطلع القرن الحادي والعشرين، دار وائل، الطبعة الأولى، عمان، 2003، ص 89.

[348] ألكسندر دوجنين، "محور روسيا– طهران"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 76، تشرين أول1998، ص 40.

[349] نبية الأصفهاني، "السياسة الخارجية الروسية"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 136، مجلد 34، 1999، ص 228.

[350] خالد الحروب، "انتقال مركز الثقل في المنطقة"، شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد 130، 2007، ص 34.

داخل هذا المجلس من جهة أخرى، في الوقت الذي تسعى فيه موسكو لتسويق نفسها كفاعل مؤثر في حل قضايا المنطقة العربية، باعتبارها جزءاً من "الرباعية الدولية" الراعية لعملية السلام في الشرق الأوسط.

إنطلاقاً من هنا، يجب إعادة تقييم العلاقات الروسية العربية كل فترة، لإستكشاف رؤية روسيا لها، إذ تنطلق سياسة موسكو الحالية تجاه المنطقة العربية من السياسة التي تتطلب منها السعي نحو تقديم نفسها كبديل عن الغرب في هذه المنطقة. إلا أن هذا المدخل ينبغي أن لا يجري في سياق المواجهة التي سادت إبان فترة الحرب الباردة، فضلاً عن ضرورة أن يكون التحرك الروسي والعلاقات القائمة مع دول المنطقة مرسومين وفقاً لأهداف ومصالح روسيا، وطبقاً للمميزات التي تتمتع بها تلك الدول.[351]

وتستند الإستراتيجية الروسية حيال المنطقة العربية إلى السعي لتحقيق الأمن لحدودها الجنوبية في وجه التهديدات التي قد تصيبها، لا سيما النزعات ذات التوجهات المتطرفة، حيث يشعر القادة الروس بأن جيرانهم ما زالوا غير قادرين على خلق دول قابلة للحياة، وأنه ينبغي لروسيا أن تأخذ هذا الدور على عاتقها من أجل ترتيب الأوضاع السياسية في المناطق المحاذية لها بشكل لا يهدد أمنها. وتعتبر روسيا أن دخولها المنطقة من جديد هو سياسة وقائية لمنع الإندفاع أو مواجهة ما يوصف بتهديد التطرف الشامل الذي تتحدث بشأنه "نظرية الدومينو"، حيث تسعى إلى وجود نظام إقليمي مستقر قرب حدودها. وترى روسيا أن إعادة تأكيد مصلحتها الوطنية في إيجاد نظام مستقر أصبحت أكثر إلحاحاً من أجل الوقوف في وجه التحديات الخارجية.[352]

د- **<u>التنافس بين روسيا والولايات المتحدة في الشرق الأوسط.</u>**

التنافس هو حالة بين دولتين أو أكثر، لا تصل إلى درجة الصراع، ولكنها تخرج عن نطاق التعاون إلى حالة تهدف إلى منع الآخر من الحصول على شيء معين. وتأسيساً على ذلك، يتسم مشهد التنافس في العلاقات الاميركيّة الروسيّة بدرجة عالية من التفاعل، تتجاوز مستوى التعاون بين الدولتين، وينتفي فيها الصدام المباشر بين الدولتين، بمعنى أن مشهد التنافس هو حالة تتوسط بين الصراع والتعاون.[353]

---

[351] العلاقات الروسية الصينيّة، وكالة الأخبار الإسلاميّة (نبأ)، تاريخ 2008/2/17، أنظر أيضاً في لمى مضر الإمارة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 73.

[352] فيتالي نومكن، العلاقات الروسية مع أوروبا والولايات المتحدة الامريكية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، 2006، ص 35، أنظر أيضاً عمر كوش، " الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة "، 27/6/2009، الجزيرة، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/home/print/92804797-74a7-4675-b919-6682990f8cbe/d9038a97-2a2c-411c-9387-1c8e49c7fd2a (دخول 22 كانون الأول 2015).

[353] طارق محمد الطائي، مرجع سبق ذكره، ص 257.

ظلت الولايات المتّحدة تنظر إلى روسيا الإتّحادية بوصفها منافساً مكتملاً يجب منع إحيائه وإستخدام كل فرصة لإضعاف نفوذه، إذ أنها تعلم أن إحياء الدب الروسي من جديد سيؤهل موسكو للعب دور المنافس الأول لتوجهات واشنطن على صعيد السياسة الدولية، وأسواق التجارة والطاقة العالمية.

تُعد تجارة السلاح من مجالات التنافس المهمة في السياسة الدوليّة، ولذلك فهناك تنافس كبير بين روسيا الإتحادية والولايات المتّحدة حول إحتلال المرتبة الأولى في تجارة السلاح عالمياً. ويشكل سوق السلاح الشرق أوسطي قبلة شركات الأسلحة في البلدين، فروسيا الإتحادية تعد تجارة السلاح من أهم مرتكزات الإقتصاد الروسي، وكذلك فإن المجتمع الصناعي العسكري في الولايات المتحدة يعد تجارة السلاح من مرتكزات الإقتصاد الاميركي، هو الأمر الذي يدفع آليتي التنافس بين الدولتين،[354] وخاصة على أسواق الخليج العربي وشمال إفريقيا.

وتعد مصادر الطاقة في الشرق الأوسط من أهم حلبات التنافس الروسي الأميركي. وقد ربط عدة المحللين جزء من الصراع العسكري في سوريا بالتنافس القائم بين الولايات المتحدة وروسيا للسيطرة على احتياطات الغاز المكتشفة في البحر الأبيض المتوسط قبالة الساحل السوري، إذ أن من ترسو عليه عقود التنقيب والتشغيل في سوريا، ستكون له الأفضلية في عروضه لباقي الدول كلبنان وقبرص، إذ باستطاعته تقديم عروض أفضل لاستفادته من معداته وطواقم عماله الموجودين أصلاً في سوريا. وقد وضع البعض أيضاً التواجد المكثف لقطع الأسطول الروسي في شرقي المتوسط، والمناورات البحرية التي نفّذت مقابل السواحل السورية والقبرصية كرسالة روسية الى الولايات المتحدة وقبرص من جهة، ولشركات النفط غير الروسية التي تنوي الدخول في المنافسة مع الشركات الروسية من جهة أخرى، إذ أن مثل هذه المناورات ستزيد من حدة التوتر وبالتالي سترتفع أسعار التأمين ومعها ستنخفض قيمة العروض المقدمة من هذه الشركات.

يعد انضمام روسيا الاتّحادية إلى منظمة التجارة العالمية أحد المرتكزات التي ستدفع إلى زيادة التنافس في العلاقات الاميركيّة الروسيّة، بإنضمام روسيا إلى المنظمة سوف يزيد من قدرتها على المنافسة في العلاقات الاقتصاديّة الدوليّة بشكل عام، والعلاقات الاقتصاديّة مع الولايات المتّحدة بشكل خاص، وتحديداً في مجال صناعة الحديد والصلب. انضمام روسيا الاتّحادية إلى منظمة التجارة العالمية سيفتح الأبواب أمام الصناعات الروسيّة لتدخل أسواقاً لم تدخلها من قبل، وستنافس صناعات الولايات المتّحدة، بل وربما ستمتد إلى الأسواق الأميركيّة نفسها. إن أسواق الشرق الأوسط لن تكون بعيدة عن حدة هذا التنافس، إذ أن تغيير أنظمة بعض الدول العربيّة سوف يعمل على إعادة صياغة توجهات هذه البلدان، ودرجة ارتباطاتها الإقتصادية إن

[354] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 124.

بالولايات المتّحدة أو بروسيا، الأمر الذي سوف ينعكس على مرتكز التنافس بين الدولتين، بل إن هذه الدائرة الجغرافيّة سوف تتحوّل الى مجال للمنافسة الجديدة بين القوى الدوليّة الكبرى، وتحديداً الولايات المتّحدة وروسيا الاتّحاديّة في المستقبل.

القسم الثاني: تأثير وفعالية الدور الروسي في الشرق الأوسط.

1- تأثير العلاقات والمواقف الروسية في أزمات المنطقة.

تمايزت المواقف الروسية من أزمات الشرق الأوسط عن الولايات المتحدة الأميركية وباقي الدول الغربية، وقد كان لهذه المواقف أسباب عديدة مرتبطةٌ بالمصالح الروسية في المنطقة، كما اعتمدت روسيا ميداناً أوسع للعمل والمناورة السياسية والتعاون مع دول الشرق الأوسط كافة ، ومن أبرز الأزمات التي تتخذ منها موقفاً الصراع العربي الإسرائيلي، الملف النووي الإيراني وثورات الربيع العربي.

أ- الصراع العربي الإسرائيلي.

ترى روسيا أن تأمين الإستقرار والهدوء في منطقة الشرق الأوسط هو المهمة الإستراتيجية الكبرى لسياستها في المنطقة، مع الأخذ بالإعتبار مصالح كافة الأطراف، وضمان حقوق السيادة لجميع الدول، وأمن خطوط المواصلات البحرية وغير البحرية، التي تربط هذه المنطقة بأنحاء العالم. انطلاقاً من هذه المهمة، طرحت روسيا عدداً من المبادرات الدبلوماسية الرامية إلى تطوير وتحريك عملية السلام في الشرق الأوسط وتوفير الأمن لكل دولة من دول المنطقة. وركّزت في مقترحاتها على تمسكها بالطرق السلمية لحل النزاعات والقضايا المختلف حولها، ضرورة التصدي لجميع أشكال الإرهاب والتطرف، خفض الموازنات العسكرية لدول المنطقة، وتوقف تلك الدول عن امتلاك او صنع أسلحة الدمار الشامل، وفي نهاية المطاف إقامة منطقة شرق أوسط خالية من تلك الأسلحة.

إن إسرائيل هي الثابت في السياسة الأميركية، وفي مقابل ذلك تُعتبر الدول الأخرى كمتغير وفقاً للمصلحة الإسرائيلية، بينما تحاول روسيا أن تكون على مسافة واحدة من كل الأفرقاء في المنطقة ضمناً إسرائيل، بما يخدم مصالحها الإستراتيجية. تعتبر روسيا أن الحل الأمثل للنزاع العربي الإسرائيلي يكمن في أن تكمل اللجنة الرباعية المكونة من الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة صوغ مخطط لحل وسطي لكل القضايا المتعلقة بالنزاع، مع التأكيد على ضرورة إخلاء المنطقة من السلاح النووي.

فمن الإطار العام للتصرفات الروسية يُفهم أن العالم العربي اليوم بالنسبة لروسيا يقع في نطاق "حلول الوسط" وليس "الحلول الجذرية". فروسيا اليوم ومن خلال سياستها في المنطقة العربية تمارس المبدأ الذي طرحه

الرئيس بوتين والقائل بأنه كي يكون لك مكان تحت الشمس عليك أن تحتفظ بخيوط التواصل مع الجميع. وقد ثبت هذا الطرح من خلال التعامل الروسي مع ملف فلسطين، فهل لروسيا منهج آخر غير حلول الوسط؟ وكيف توازن روسيا بين علاقاتها مع إسرائيل ووجود مليون يهودي روس في فلسطين المحتلة؟ وفي نفس السياق، كيف سيفصل العرب بين روس إسرائيل الذين باتوا يزايدون على اليمين المتطرف الإسرائيلي، وبين الروس الأصدقاء في الإتحاد الروسي؟[355]

من جهة أخرى، ومع مرور أكثر من خمس سنوات على "الربيع العربي"، طغى استشراف المستقبل على أولويات المؤتمرات الأكاديميّة والبحثيّة العربيّة والغربيّة، وسيّطر على المناقشات الدولية هاجس مستقبل المنطقة. وقد أدى انشغال المجتمع الدولي بالأزمة السورية حالياً الى تراجع الإهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية، ما ساهم في إطلاق يد إسرائيل للعبث في الأراضي الفلسطينيّة مستفيدة من التوتر الحاصل أصلاً في المنطقة.[356] وتكاد تكون تداعيات "الربيع العربي" على الصراع العربي الإسرائيلي في كثير من الأحيان سلبيّة، حيث ساهمت في تراجع الاهتمام بهذه القضية وبالتالي تراجُع وتعثُّر حلول السلام المستقبلية في ظل تزايد غير مسبوق في قضم الأراضي، ونمو الاستيطان الإسرائيلي.[357] إلا أن بعض الآمال ما زالت تدغدغ المشاعر بالقدرة على تخطي هذه الحالة من اللامبالاة الدولية على ضوء المستجدات التي طرأت على اللعبة السياسية في الشرق الأوسط من خلال عودة روسيا الى المنطقة.

وفي هذا السياق، يبدو أن الفلسطينيين هم أكثر حرصاً الآن في الحصول على الدعم الروسي، وفيما عادت روسيا إلى الساحة الدولية كلاعب أساسي، تمّت دعوتها إلى وضع كامل ثقلها لمصلحة عملية السلام في الشرق الأوسط في ظل احتكار الولايات المتحدة الأميركية للعملية وتأمين غطاء للتوسع الإسرائيلي، خاصةً بعد فشل المحاولات غير الفاعلة التي أطلقتها اللجنة الرباعية، فهل ستنجح عودة روسيا في إعادة التوازن الى عملية السلام المتوقفة حالياً؟ إن الإجابة لا بد أن تكون مرتبطة بما ستحمله الأيام القادمة من تطورات، خاصة في ظل التطورات الدراماتيكية المتمثلة بدخول روسيا المباشر الى الحرب السورية.

ب- **<u>الربيع العربي: تردد وخوف</u>.**

أظهرت بعض المواقف الروسية حيال ثورات الربيع العربي عداءً مبطناً أحياناً وظاهراً في أحيان أخرى، الأمر الذي تترتب عليه قراءة للدور الروسي في المنطقة العربية، ومعرفة حيثياته ومحدداته وحدوده، والأسباب

---

[355] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 110-111.

[356] محمد المعايعة، التغيير في الوطن العربي أي حصيلة؟، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2013، ص 81.

[357] المرجع السابق، ص 88.

الكامنة وراء توجس روسيا من المتغيرات التي حملتها الثورات العربية، التي بدأت مع نهاية عام 2010 في تونس، وإمتدت إلى مصر وليبيا واليمن والبحرين وسوريا، وسواها من البلدان العربية.

لقد أثارت المواقف الروسية من المتغيرات العربية العديد من التساؤلات، حيث إستغرب كثيرون تصريحات المسؤولين الروس المشوبة بالريبة والحذر. قد يبدو للبعض أن موقف روسيا من الثورات العربية محيّر وملتبس، ولكن الأمر ليس كذلك، على الأقل بالنسبة لصانع السياسة الروسية. فعدم ترحيب روسيا بالربيع العربي له أسباب وأبعاد عدة منها ما يتعلق بالجيوسياسة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ومحاولة التنافس على مناطق النفوذ مع الولايات المتحدة، ومنها ما يتعلق بالداخل الروسي وطبيعة النظام السياسي في روسيا. ويتشابك الخارج والداخل في الموقف الروسي من الثورات العربية في معادلة براغماتية.[358]

(1)- **لامبالاة أو تأنّي في الموقف؟**

يلاحظ المراقبون للمواقف الروسية أن موسكو لم تهتم بشكل كاف بما حدث في تونس مع الثورة التي إندلعت عام 2010، كذلك الأمر بالنسبة لأحداث البحرين. أما تجاه الثورة اليمنية خلال العام 2011 وتداعياتها، فقد أعربت روسيا عن تخوّفها وتحفظها من سير الأحداث، بحجة أن المعارضة اليمنية "مسلحة"، وتضم "عناصر إرهابية". في حين أن المتغيرات التي شملت كلاً من مصر وليبيا وسوريا نالت إهتماماً روسياً أكبر، إذ مع بداية الثورة المصرية أطلقت موسكو تصريحات تعبّر عن عدم رضا لا بل إنتقاد لما يجري من حراك، وعن الخشية مما تحمله الثورة من متغيرات، فإتهمت شركة "غوغل" بتحريض الشعب المصري على الثورة ضد نظام حكم مبارك، حيث جاء الإعلان الروسي بدعم الثورة متأخراً، وغير واضح المعالم.[359]

ويبدو من المواقف الروسية المتضاربة إزاء الثورات العربية، أن القيادة الروسية عمدت الى التعامل مع كل حالة على حدة، وبما يتناسب مع تأمين مصالحها الإستراتيجية والإقتصادية. لم تؤيد روسيا الثورة الليبية، واكتفت بالإعلان عن ضرورة إيقاف إراقة الدماء، والدعوة الى عدم التدخل الخارجي، رغم أنها مررت القرارات الدولية بشأن ليبيا دون اعتراض،[360] حيث امتنعت عن التصويت على قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1973 القاضي بحماية المدنيين وفرض حظر جوي على ليبيا، مما سمح لحلف شمال الأطلسي بتوجيه ضربات جوية للقوات العسكرية التابعة للرئيس الليبي. ولكنها ومع بروز ملامح سقوط الرئيس القذافي بدأت بمفاوضة

---

[358] هاني شادي، "روسيا والربيع العربى: مصالح ومخاوف"، الأهرام الرقمي، الموقع الإلكتروني: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx، (دخول 22 كانون الأول 2015).

[359] محمد سعيد أبو عامود، "تحولات السياسة الأميركية تجاه إيران وتركيا وروسيا،" السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 147، كانون الثاني 2002، ص 42.

[360] ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره، ص 289.

المجلس الإنتقالي في بنغازي في أيلول 2011، بهدف المحافظة على العقود الموقعة بين البلدين بعد سقوط النظام.

هذا التردد والتناقض في المواقف الروسية وضع موسكو في خانة المعارضين للتغيير والداعين الى الإصلاح فقط، وظهر التناقض جلياً في تصريحات قادة روسيا ذات العلاقة، حين وصف رئيس وزرائها حينها، فلاديمير بوتين التدخل الأطلسي "بالحرب الصليبية"، في حين اعتبر الرئيس مدفيديف " أن التدخل الأطلسي يهدف الى تجنيب المدنيين الجرائم التي يرتكبها النظام".[361]

وصف الموقف الروسي إزاء الثورة السورية الأكثر تشدداً إزاء باقي ثورات الربيع العربي، فقد استخدمت روسيا حق النقض في مجلس الأمن ورفضت أية إدانة للنظام السوري، وعارضت فرض عقوبات على سوريا متوافقةً في ذلك مع الصين، كما أصرت على تحميل مسؤولية العنف لطرفي النزاع، بعد أن اعتبرت أن ما يجري هو مواجهة مع مجموعات مسلحة متطرفة. لم تُسفر زيارات المعارضة السورية للعاصمة الروسية عن تغيير الموقف الروسي بل تبلغت قوى المعارضة أن موسكو لن تتخلى عن سوريا، وعليها التفاوض مع الحكومة السورية، ووقف العنف من طرف المسلحين.[362] وسيتم تفصيل الدور الروسي في سوريا في القسم الرابع من هذا الفصل.

(2)- **<u>الثورة المصرية: بوابة العودة.</u>**

الموقف الروسي من الثورة المصرية كان محيراً، فحيناً كانت الخارجية الروسية تصدر بيانات تؤيد الديمقراطية، وحيناً آخر كانت تعتبر أن الأزمة لا تحل إلا بالتفاوض بين الشعب والسلطة على أساس القانون. واستمر الرهان الروسي على حل المسألة المصرية بالتفاوض حتى اللحظة الأخيرة، وقد أرسل الرئيس ميدفيديف مبعوثه الخاص ألكسندر سلطانوف للقاء الرئيس المصري حينها قبل يومين على رحيله، حيث ولّد ذلك غضباً عارماً عند داخل الشارع المصري الثائر، واعتبر الحديث الروسي عن ضرورة المحافظة على الإستقرار في الدول العربية بمثابة مهادنة للحكام المستبدين، أكثر مما يحمل تأييداً للثوار. وما زاد الإمتعاض الشعبي من السياسة الروسية، اعتبار المسؤولين الروس أن التحركات الشعبية العربية مرتبطة بالأجندة الأميركية بهدف تغيير الشرق الأوسط، "وإحداث تحولات تستهدف المصالح الروسية".[363]

---

[361] ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره، ص 290.

[362] محمد سعيد أبو عامود، مرجع سبق ذكره.

[363] ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره ، ص 284- 285.

ولكن هناك إعتباراً يتعلّق بمصر تحديداً كان له أقوى الأثر، وهو حاجة السّلطة الحاكمة الجديدة التي تلت حكم الرئيس مرسي إلى السلاح وإعلان واشنطن تجميد صفقات سلاح للجيش المصري تطبيقاً لما لديها من قوانين تفرض عدم تقديم الدعم العسكرى لحكومات تنشأ بالإنقلاب، وعلى الفور سارع الحكم الجديد بطرق أبواب روسيّا للحصول على بديل للسلاح الأمريكي المتجمّد، وقد أفادت تقارير صحفية بأنّ مصر تنوي إبرام صفقة مع روسيّا بقيمة 15 مليار دولار تشمل طائرات ميج 29 ومعدات عسكرية أخرى.[364] فوفقاً لقراءة القادة الجدد في مصر للموقف الأمريكي من كل الجوانب منذ 25 كانون الثاني 2011، أضيف للسياسة الخارجيّة المصريّة بعداً جديداً هو ألاّ يرتهن القرار المصري الإستراتيجي بتقلّبات العلاقات بين القاهرة وواشنطن تحت أي ظرف من الظروف، ومن ثمّ أنّه حتى بإفتراض عودة المياه إلى مجاريها في العلاقات، لا يصحّ أن تبقى واشنطن وحدها الطرف الدّولي المؤثّر في بناء قدرات مصر العسكريّة. ووفقاً للقراءة نفسها فإنّ حاجة مصر إلى السلاح ستتزايد في السنوات المقبلة ولن تتناقص لسبب آخر إستجدّ في ظل التغيير الذي يمرّ به النظام السياسي المصري، وهو التّوجه لتنفيذ مشروع تطوير قناة السويس، الّذي يجعل من منطقة القناة برمّتها منطقة إقتصاديّة عالميّة تحتاج إلى حماية عسكرية كبيرة، ومن ثم يتعيّن الإسراع بتوفير هذه الإمكانات وتنويع مصادر الحصول عليها حتى لا تتأثر بأيّ خلافات طارئة.

روسيّا لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء هذا الوضع، فهي لا تريد تفويت الفرصة، ليس فقط لتحقيق مكاسب إقتصاديّة، وإنّما للحصول على نفوذ استراتيجي في منطقة بأهميّة قناة السويس. مثل هذا التحرّك المشترك من جانب القاهرة وموسكو يعيد رسم الخريطة الدّوليّة للشرق الأوسط، ومن هنا جاء أيضا قلق إسرائيل من الإنفتاح العسكري المصري على روسيّا.[365] من هنا نستطيع أن نفهم الغزل ما بين مصر السيسي وروسيا، والزيارات المتبادلة لبوتين والسيسي، وتوقيع اتفاقيات إقتصادية وعسكرية بين البلدين بمليارات الدولارات، أهمها بناء محطة للطاقة النووية بالتكنولوجيا الروسية، وإنشاء منطقة صناعية روسية في قناة السويس الجديدة.[366] وأشارت صحيفة الحياة اللندنية إلى تصريح وزير الصناعة المصري بشأن إبرام عدد من المشاريع التي ستنفذها موسكو في منطقة قناة السويس في إطار مشروع تنمية القناة، ومنها إقامة منطقة صناعية. ونوهت الصحيفة بأن العلاقات بين البلدين تشهد تطوراً ملحوظاً اقتصادياً وتجارياً إذ ارتفع حجم

---

[364] عبد العاطي محمّد، "عودة الدب الروسي إلى الشرق الأوسط"، مرجع سبق ذكره.

[365] المرجع السابق.

[366] أنس الوجود رضوان، " أصداء زيارة الرئيس السيسي إلى روسيا في الإعلام الغربي"، جريدة الوفد الإلكترونية، تاريخ 2015/08/27، الموقع الإلكتروني: http://alwafd.org/أخبار-وتقارير/899354-أصداء-زيارة-الرئيس-السيسي-إلى-روسيا-في-الإعلام-الغربي (دخول 16 تشرين الأول 2015).

التبادل التجاري عام 2014 بنسبة 86% ليصل الي 5.4 مليار دولار.[367] كشفت وكالة "سوبتنيك" الروسية، أن موسكو وافقت على تسليم مصر 46 مقاتلة من طراز «ميج 29»، ومن المتوقع قريباً توقيع الإتفاق بقيمة 2 مليار دولار أمريكي. وأوضحت الوكالة أن منح موسكو الطائرات للقاهرة، يجعلها متفوقة في المجال الجوي في المنطقة، وكان سيرجي كوروتكوف الرئيس التنفيذي لشركة الطائرات الروسية صرح أن شركته مستعدة لتزويد مصر بطائرات "ميج 35" وهو أحدث جيل من المقاتلات الروسية.[368]

لا يمكن إسقاط عامل ديبلوماسية الطاقة عن العلاقات الروسية المصرية في ضوء عثور مصر على حقل غاز طبيعي عملاق في البحر المتوسط، قد يكون الأكبر من نوعه في الشرق الأوسط، وأحد أكبر الحقول التي اكتُشفت حول العالم منذ سنوات، ما يهدد بقلب دبلوماسية الطاقة في الشرق الأوسط رأساً على عقب. الحقل الذي سُمي "الظهر" يحتوي على قرابة 30 تريليون قدم مكعب من الغاز. هذه الكمية من الغاز تساوي قرابة مئة مليار دولار حتى إذا أخذنا في الاعتبار أسعار موارد الطاقة المنخفضة حالياً.[369] وسيكون لهذا الإكتشاف تبعات جيوسياسية كبيرة على مصر إذ أنها ستصبح مؤهلة للعب دور استراتيجي في مجال الطاقة على الصعيد العالمي ولا سيما الأوروبي، خاصة وأن شركة إينى الإيطالية هي الشريك الرئيسي لمصر في هذا الإكتشاف. وهذا ما أصبح يقض مضاجع القيادة الروسية وجعلها تضع علاقاتها مع مصر على سلّم أولوياتها من أجل ضمان حسن التنسيق المستقبلي في مجالات عدة أهمها سياسة الطاقة.

فهل ستشكل مصر بوابة العودة الروسية الى الشرق الأوسط، أو أن أهداف موسكو الإستراتيجية تتخطى بضع اتفاقيات مع مصر؟ تعلم موسكو أهمية الإتفاقيات الإقتصادية والأمنية الوثيقة ما بين مصر والولايات المتحدة الأميركية الضامنة لمعاهدة كامب دافيد للسلام مع إسرائيل، كما تعلم أنها لن تستطيع اختراق هذه العلاقات على المدى الطويل، خاصة بعد عودة الولايات المتحدة عن قرارها بوقف تسليم المساعدات العسكرية والإقتصادية لمصر عقب الإطاحة بمرسي ووصول السيسي الى الحكم. وبالتالي كان على موسكو التشبث بسوريا بوصفها حليفها الأخير في المنطقة العربية.

---

[367] مارسيل نصر، " زيادة التجارة بين القاهرة وموسكو 86 في المئة إلى 5.4 بليون دولار"، جريدة الحياة، 2015/08/27، الموقع الإلكتروني: http://www.alhayat.com/Articles (دخول 18 تشرين الأول 2015).

[368] علا سعدي، "موافقة روسية على تسليم مصر 46 مقاتلة من طراز ميج 29"، موقع فيتو الإخباري، الموقع الإلكتروني: http://www.vetogate.com/1647748 (دخول 16 كانون الأول 2015).

[369] STANLEY REED, “A Gas Discovery in Egypt Threatens to Upend Mideast Energy Diplomacy”,The New York Times, 28/10/2015, http://www.nytimes.com/2015/10/29/business/energy-environment/a-gas-discovery-in-egypt-threatens-to-upend-mideast-energy-diplomacy.html?_r=0 (accessed Dec 20, 2015).

(3)- نتائج الربيع والقلق الروسي.

تعتقد القيادة الروسية الحالية أن الثورات في الشرق الأوسط أدت إلى تغييرات بعيدة المدى، وأن تأثيرها سيتواصل لسنوات عديدة، ومن بين التداعيات السلبية من وجهة نظرها الخوف روسيا من تهديد التطرف الذي ربما سيسيطر على دول الشرق الأوسط عقب الثورات، والذي يمكن إنتقاله إلى روسيا وإنتشاره في المناطق التي لا تزال النار فيها تحت الرماد. فالإسلاميون الديمقراطيين هم الخطر الحقيقي بنظر روسيا، لأنه سيصعب إتهامهم بالإرهاب، وسيصعب بالتالي حصر تأثيرهم على بعض الداخل الروسي المسلم.[370]

ويبدو أن روسيا قلقة من أن النهج الديمقراطي الذي قد ترسيه هذه الثورات سيؤدي إلى إبتعاد دول المنطقة العربية عنها، وفي المقابل تدخل دول منافسة لروسيا في المنطقة كالصين وغيرها. وفي السياق نفسه، تبدي روسيا تخوفاً من تأثر وضعها الداخلي برياح التغيير الديمقراطي التي تجتاح المنطقة العربية، ومن تهديد نتائج الربيع العربي لمستقبل أنظمة دول آسيا الوسطى، وإحساس روسيا بوجود محاولات غربية لإبعادها من الشرق الأوسط وقرصنة مصالحها، التي تعتبر موارد أساسية لها، كتجارة السلاح والتنقيب عن النفط والغاز، ومحاولة محاصرتها عسكريّاً من خلال نشر الدرع الصاروخية في أوروبا وفي تركيا.[371]

كما يبدو من كل ذلك، أن المواقف الروسية الرسمية حيال ما يجري في المنطقة العربية ما زالت محكومة بإرث مرحلة الحرب الباردة، وما يتمخض عنها من ردّات فعل ضد المواقف الأوروبية والأطلسية، إضافة إلى حسابات الربح والخسارة الإقتصادية، والتخوف الروسي مما يمكن أن تقدمه التغييرات الجارية في بعض البلدان العربية من تهديدات للأنظمة التي تدخل في نطاق مجالها الحيوي، ومن إزدياد مساحات نفوذ الغرب الأوروبي والأطلسي. لكن حدود المواقف الروسية ما زالت ضيقة، وتخضع في غالب الأحيان للمقايضات والمساومات، وربما تتحول التطورات الحاصلة في الشرق الأوسط إلى وضع إيجابي بالنسبة لها إذا ما إستطاعت تشكيل كتلة دول تدور في فلكها، أو أقله القدرة في المحافظة على شركائها في محور الممانعة.

ج- **المتفاعل الإيراني وتأثيره على العلاقات مع روسيا.**

إكتسبت العلاقات الروسية الإيرانية تاريخياً طابع العلاقات التجارية والتنافس الإقليمي، كما شهدت هذه العلاقة جهوداً روسية مزمنة للسيطرة على إيران. أما حديثاً فقد توفر لإيران أسباباً وجيهة دعتها الى التقرب من موسكو خاصة في مرحلة ما بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي، أبرزها مسألة الحصار الغربي عليها وحرمانها

---

[370] تسفي ماجن، "روسيا والشرق الأوسط الجديد"، البلاد، الموقع الإلكتروني: http://www.albiladdaily.com (دخول 20 تشرين الأول 2015).

[371] المرجع السابق.

من التكنولوجيا والتسلّح، حيث شكلت روسيا بعد إنتهاء الحكم الشيوعي فيها فرصة حقيقية ووحيدة لإيران لمحاولة التملص من العقوبات الغربية عليها. أما في المقابل كانت المعادلة صعبة بالنسبة لروسيا.[372]

(1)- روسيا والطموح النووي الإيراني.

تصاعدت أزمة البرنامج النووي الإيراني في أعقاب إعلان طهران فض أختام الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن منشآتها النووية، وإستئناف عمليات تخصيب اليورانيوم غير مبالية بتهديدات الولايات المتّحدة والاتّحاد الأوروبي،[373] ما دفع الغرب الى اتباع سياسة العقوبات الإقتصادية بحقها، وتجميد مستحقاتها المالية في الخارج ما أثر سلباً على طريقة إدارة الأزمة. في هذا المجال، تؤكد روسيا أن ممارسة ضغط قوي على إيران من خلال التهديد باستخدام القوة والعقوبات الإقتصادية في محاولة لزيادة عزلتها الدولية، يمكن أن يؤدي إلى تطرف نظام الحكم فيها، ويحفزه على ابتكار برنامج للردع النووي. وتعتقد روسيا أن التعاون مع إيران في مجال الطاقة النووية سوف يساعد على تخفيف قلق طهران ويدعم الروابط الروسية الإيرانية تجارياً واقتصادياً. ولكن يعتمد هذا التعاون على التقيّد الصارم بالالتزامات الدولية المنصوص عليها في المعاهدات التي وقع عليها الجانبان، فضلاً عن شروط أخرى مثل ترتيبات إعادة الوقود المستهلك إلى روسيا.[374]

من المنظور الجيوبوليتيكي، كان على القادة الروس العمل على معادلة دقيقة تستوجب الموازنة بين رفض مطالب إيران بالحصول على المزيد من التكنولوجيا المتطورة في المجالات المثيرة للريبة، حتى لا يتسبب ذلك في الإخلال بالتوازن الإستراتيجي العالمي بشكل عام، أو الإخلال بالإستقرار الإستراتيجي القائم على تخوم روسيا الجنوبية بشكل خاص، وبين التعاون الوثيق معها وبالتالي مواجهة الغضب الأميركي. كما كان لموسكو حساباتها الخاصة في العديد من الملفات المشتركة، لعلّ أبرزها: الإقتصاد، التسلّح والغاز الإيراني، دون إغفال طهران كساحة للتنافس الروسي الغربي بحكم أهميتها الإستراتيجية في ظل الهاجس الروسي الأبدي بالوصول إلى المياه الدافئة.[375]

---

[372] Le Monde Diplomatique: La nouvelle russie de Vladimir putin, France-Paris- Mensuelle, Fevrier 2007, https://www.monde-diplomatique.fr/2007/02/CHAUVIER/14403 (accessed Dec 12, 2015).

[373] وليد عبد الحي، دراسات مستقبلية وعلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره.

[374] طارق ذنون الطائي، مرجع سبق ذكره، ص 78.

[375] Dmitri Trenin and Alexey Ma lashenko, "Iran: Aview from Moscow", Carnegie Endowment for International Peace, 2010, http://carnegieendowment.org/files/iran_view_moscow.pdf (accessed Dec 15, 2015).

يمكن فهم الموقف الروسي من البرنامج النووي الإيراني. ففي حين تعددت المواقف الدوليّة بخصوص أنشطة إيران النوويّة المتعلقة بتخصيب اليورانيوم، سعت كل دولة للتعامل مع هذا الموضوع من زاوية مصالحها الاقتصادية، الأمنيّة والإستراتيجية، حيث أمكن التمييز بين معسكرين من المواقف الدوليّة تجاهها:[376]

- معسكر يتعارض موقفه كليّا مع برنامج إيران النووي، ولا يقبل بأيّة مساومات في هذا المجال، يقود هذا المعسكر الولايات المتّحدة ومن ورائها بريطانيا، فرنسا، ألمانيا ومعظم الدول الأوروبيّة وإسرائيل، كما ينضم إلى هذا المعسكر بعض الدول العربيّة مثل المملكة العربيّة السعوديّة، مصر، الأردن ومعظم دول الخليج.
- المعسكر الثاني وتقوده روسيا والصين، والذي يرى أنه لا ضير من امتلاك طهران للقدرة النوويّة في الحقل السلمي، خاصةً إذا تمّت نشاطاتها وفقاً لشروط الوكالة الدوليّة للطاقة الذريّة وبإشرافها، وتكاد تكون سوريا الدولة العربيّة الوحيدة التي تؤيد امتلاك طهران للتكنولوجيا النوويّة.

كان الموقف الروسي إجمالاً داعماً لإيران، حيث تعارض روسيا فرض أيّة عقوبات عليها، وقد حاولت تخفيف الضغوط ضدها بالإعلان عن استعدادها لتخصيب اليورانيوم الإيراني على أراضيها. يلاحظ المتتبع للموقف الروسي، أن روسيا لا ترغب في أن تخاطر بتوتير علاقاتها بالولايات المتحدة، حيث مارست الأخيرة ضغوطاً كبيرة عليها حتى توافق على نقل الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن، كما أنها لا ترغب بخسارة علاقاتها المتنامية مع الدول العربية عامة ودول مجلس التعاون الخليجي خاصة، لما لهذه العلاقات من فوائد اقتصادية خاصة في مجالي الطاقة والأسلحة. وهذا ما يفسر بعض التناقضات في الموقف الروسي من الملف النووي الإيراني، وذلك يعود إلى وجود بعض الخلافات بين روسيا وإيران بشأن إدارة هذا الملف، فمن جهة ترغب روسيا في استمرار دعمها لإيران في مجال الطاقة النوويّة السلميّة، ومن ناحيّة أخرى لا تريد من إيران أن تذهب بعيداً في تحدّيها للمجتمع الدولي، لكي لا تتأثر سلباً المصالح والعلاقات الروسيّة في العالم. من هنا يمكن فهم إقتراح موسكو الذي قضى بتخصيب اليورانيوم في روسيا، الأمر الذي كان سيؤدي إلى طمأنة المجتمع الدولي حول طبيعة النّشاط النووي الإيراني، إلاّ أن هذا الموضوع لم يعد مطروحاً.

يعتبر الدور الروسي في أزمة إيران النووية واحداً من الأدوار القليلة التي تتمتع بالفاعلية والحيوية في إثارته على الساحة الدولية، رغبة من روسيا في الحفاظ على مصالحها. الى ذلك بات مؤكداً أن الولايات المتحدة سعت الى إشراك روسيا في فك خيوط أزمة البرنامج النووي الإيراني، وهذا ما حدا بالرئيس بوتين للقول أثناء

---

[376] بادية حيدر، الملف النووي الإيراني، المركز العربي للمعلومات، العدد 39، بيروت، 2007، ص 51.

قمة الدول المطلة على بحر قزوين في تشرين الأول 2007، أن "حل ملف إيران النووي يمر في موسكو، وهو مرور له ثمن".[377]

(2)- مستقبل العلاقات بين البلدين.

إنطلاقاً من هذا التوصيف للسياسة الإيرانية وعلاقتها مع روسيا وملفها النووي، يمكن ومن منظور روسي تسجيل العديد من الخلاصات التي يمكن ملاحظتها، فمن غير المحتمل بالنسبة الى روسيا تغيير النظام الإيراني الحالي. فإيران قوة إقليمية تسعى لأن تحترم مصالحها، وإستناداً لذلك ترى موسكو أنّ الإستراتيجية العقلانية للتعامل مع إيران يجب أن تسود، ولا بد للمجتمع الدولي من تطوير إستراتيجية تتناسب مع هذا التوجه، وقد سيطر هذا التفكير على جميع المقاربات التي طرحتها القيادة الروسية في سبيل حل الموضوع النووي الإيراني أثناء المفاوضات مع مجموعة الدول الست (5 + 1)، والتي امتازت بدعم روسيا لحق إيران في الحصول على الطاقة النووية مع استعداد موسكو أن يتم التخصيب على أراضيها.[378]

لكن ماذا عن مستقبل العلاقات الإيرانية الروسية، لا سيما في ضوء الحركات الإحتجاجية العربية الرافضة لتكريس إيران شرطي إقليمي؟ لدى مقاربة هذا الموضوع يتضح جلياً أنه هناك نقاط خاسرة وأخرى رابحة بالنسبة الى روسيا من جراء دعمها الدائم لإيران. إلا انه ثمة عوامل مشتركة تقرب بين الدولتين وتحتم تعاونهما في حدود الأمد المنظور.

أحد هذه العوامل هو أن الدولتين خسرتا معاً من جراء الثورات الشعبية العربية، خاصة في سوريا وما تبعها من إضعاف لحليف كلا الدولتين فيها، في ظل إرتفاع الأصوات الداعية للقطيعة معهما جراء موقفهما الداعم لهذا النظام، سيما أن سوريا دولة لها أهميتها كرقم صعب في التنافس الإقليمي والدولي في صوغ خريطة الشرق الأوسط، وهي مفتاح للعديد من الساحات التي لا تقل عنها أهمية كلبنان وفلسطين والعراق.

عامل آخر يتعلق بأن الدولتين لهما مصلحة في لجم طموحات جارهما التركي الصاعد بقوة على مستوى الشرق الأوسط. فبالرغم من وجود تكافؤ نسبي في مقومات القوة المادية لكل من إيران وتركيا، فإن هذه الأخيرة تتفوق في عناصر القوة الناعمة. وتعتبر الموقع التركي عامل منافس لكلٍ من روسيا وإيران سواء على المستوى العربي أو على مستوى القوقاز فيما يتعلق بمسائل تصدير النفط والغاز عبر أراضيها إلى الخارج. عامل ثالث وأخير مرتبط جزئياً بسابقيه، وهو أنه ليس من مصلحة روسيا إضعاف إيران إقتصادياً

---

[377] فكتور شلهوب، "بعد الصحوة الروسية: مداخل سياسة موسكو الخارجية في الشرق الأوسط"، آراء حول الخليج، جدة، العدد 38، تشرين الثاني 2007، ص 59.

[378] ناصر زيدان، مرجع سبق ذكره، ص 231.

بالكامل بما يصب في النهاية لمصلحة ارتفاع أسهم تركيا، وليس من مصلحتها كذلك إفلات إيران من الرقابة الدولية على نشاطها النووي، وبالتالي قيام دولة نووية على حدودها.[379]

من هنا، تسعى روسيا لتطوير علاقاتها مع إيران التي دخلت في إطار التنافس مع جمهوريات آسيا الوسطى وتركيا، كما يتقاسم البلدان الرغبة في الحد من النفوذ الغربي، ولا سيما النفوذ الأميركي في منطقة آسيا الوسطى، ويشتركان في الخشية من مشاريع الولايات المتّحدة النفطية الآيلة الى ربط وسط آسيا بأوروبا والغرب عبر شبكات من خطوط الأنابيب، ما يضعف تأثير الدولتين في تجارة الطاقة.

ويستنتج من السياسة الروسية سعيها الى كبح الإنفلاش التركي شمالاً وشرقاً بالإستعانة بإيران القوّة المنافسة لتركيا في منطقة آسيا الوسطى، وتشير بعض الوثائق الخاصّة بمجلس الدّوما الروسي، إلى أنّ الولايات المتّحدة الأميركية وتركيا تسعيان لتحويل روسيا إلى جزيرة مُحاطة بشبه طوق تركي، والحيلولة دون استعادة دورها في دول الإتحاد السوفياتي السابق، والدفاع عن نفسها باتجاه دول أوروبا الشرقيّة.[380]

في الوقت الذي يعتبر فيه كثير من المراقبين أنَّ موسكو مقرّبة جداً من طهران، إلا أن الحقيقة قد تكون أكثر تعقيداً من ذلك. فإيران من الدول القليلة ذات الأغلبية الشيعية، مما يعطيها الإحساس بأنَّ لديها مهمة" رسالية"، إذ تعمد إلى إستخدام "ورقتها" في الدول الأخرى خدمة لمصالحها. وبما أنّ الجيوبوليتيك الإيرانية ليست مذهبية بكاملها، فإنها تحاول أن توازن أهدافها من خلال العلاقة مع اللاعبين الإقليميين الرئيسيين أو لاعبين أكبر، لذلك تبقى روسيا على حذر ويقظة في كلا الملفين.[381]

أما حالياً، وفي ظل متغيرات الملف النووي الإيراني ونجاح إيران المبدئي في مفاوضاتها مع مجموعة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن + ألمانيا في لوزان، إضافة الى التطورات الدراماتيكية في مجريات الأزمة السورية والدخول الروسي في مجابهة مباشرة مع الغرب، فالواضح أن القيادة الروسية تسعى لتحسين شروطها من خلال اللعب على مجموعة التناقضات المتحكمة بمعايير اللعبة السياسية الشرق أوسطية، من طرفيها السوري والإيراني. وقد افتتح بوتين بوادر سياسته الجديدة بإعلانه انتهاء الحظر على تسليم إيران صواريخ اس–300، معتبراً أن الإتفاق الإطار الموقع في لوزان بين القوى العظمى وإيران يتيح ذلك، من دون انتظار رفع العقوبات. وكان الرئيس الروسي السابق ديمتري مدفيديف حظر في 2010 تسليم ايران هذه الصواريخ، تطبيقاً لقرار الأمم المتحدة 1929 الذي يفرض عقوبات على إيران بسبب برنامجها النووي. ووقعت إيران

---

[379] نيفين عبدالمنعم مسعد، " العلاقات الإيرانية الروسية: بين الحمولة التاريخية والآفاق المستقبلية"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الموقع الإلكتروني: http://www.ecssr.ac.ae/ECSSR/appmanager/portal/ecssr (دخول 16 تشرين الأول 2015).

[380] لمى مضر الإمارة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مرجع سبق ذكره، ص72.

[381] العلاقات الروسية الصينيّة، وكالة الأخبار الإسلاميّة (نبأ)، تاريخ 2008/2/17.

وروسيا في 2007 اتفاقاً على تسليم هذه الصواريخ وبلغت قيمة الصفقة 800 مليون دولار.[382] الى ذلك أعلن وزير الطاقة الروسي التوصل لاتفاقات مع إيران بقيمة 40 مليون دولار أميركي،[383] كما أعلن في موسكو بدء تنفيذ اتفاق لمقايضة النفط بالسلع مع إيران، حيث ستقوم روسيا بشحن الحبوب والمعدات ومواد البناء إلى إيران في إطار اتفاق مقايضة وذلك في خطوة هي الأولى لكسب موطئ قدم بسوق جديدة منذ فرض الغرب عقوبات على موسكو بسبب الأزمة الأوكرانية.[384]

ومن اللافت ما صرّح به البعض أنه من مصلحة روسيا استمرار العقوبات الدولية على إيران. فقد صرّح ميخائيل كروتيخين من شركة روس إنرجي الإستشارية التي مقرها موسكو أن روسيا تريد استمرار العقوبات على إيران، إذ أن زيادة المعروض النفطي في السوق لا يفيدها. كما قال كونستانتين ريمتشوكوف رئيس تحرير صحيفة نيزافيسيمايا جازيتا الروسية لإذاعة صدى موسكو أنه من الممكن أن يكون هدف القيادة الروسية من تزويد إيران بأنظمة دفاع جوي حديثة هو مزيد من التصعيد، ما قد يصعّب نجاح واستمرار مفاعيل الإتفاق حول المشروع النووي الإيراني.[385] إلا أنه من المؤكد أن موسكو أصبحت تجيد لعبة حافة الهاوية في سياساتها الشرق أوسطية، وباتت تعلم كيفية صياغة سياستها التكتية والإرتقاء بها لخدمة مصالحها الإستراتيجية.

د- **<u>علاقة روسيا بكل من تركيا وإسرائيل</u>.**

يعود تاريخ العلاقات الروسية التركية إلى خمسة قرون مضت، تكاد الحرب لا تترك مجالاً فيها لأية علاقة أخرى بين الطرفين. إلا أنه بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي أصبحت تركيا محطة سياحية للروس وبلغ التبادل التجاري بين البلدين أقصى مستوياته،[386] تعززت هذه العلاقات في العقدين الأخيرين بإرتكازها على قاعدة واسعة من الإتفاقيات بالإضافة إلى البعد الجغرافي الهام فضلاً عن وجود تنسيق حول القضايا الإقليمية المشتركة، وبالرغم من التناقض الواضح في المواقف بشأن الموضوع السوري، إلا أن محاولات تقريب وجهات النظر لم تنقطع بالرغم من تدهور العلاقات الخطير الذي رافق التدخل الجوي الروسي لدعم النظام في

---

[382] "بوتين يعتبر أن الاقتصاد الروسي تخطى "ذروة" صعوباته"، euronews، الموقع الإلكتروني: http://arabic.euronews.com/2015/04/16/putin-swats-down-russian-worries-on-annual-televised-call-in/ (دخول 13 تشرين الأول 2015).

[383] "مشاريع روسية- إيرانية بـ 40 بليون دولار"، جريدة الحياة، الخميس، 22 تشرين الأول 2015، الموقع الإلكتروني: http://www.alhayat.com/Articles (دخول 10 كانون الأول 2015).

[384] "مجموعة السبع: رفع العقوبات عن روسيا بشروط والأخيرة تحاول المناورة بين أوبك وإيران"، مرجع سبق ذكره.

[385] المرجع السابق.

[386] والتر لاكور، الإتحاد السوفياتي والشرق الأوسط، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1959، ص 75.

سوريا، وتهديد تركيا بإسقاط أي طائرة تنتهك أجوائها، في إشارة واضحة الى دخول بعض طائرات الإستطلاع والطائرات الحربية الروسية الى الأجواء التركية، وقد تم بالفعل إسقاط طائرة إستطلاع، إلا أن وزارة الدفاع الروسية نفت أن تكون فقدت أي طائرة فوق تركيا، هي حين اكتفت الأخيرة بالإعلان عن إسقاط طائرة مجهولة إنتهكت أجوائها. في ظل هذا المشهد الدراماتيكي مع الجانب التركي، نرى في المقابل تحسناً ملحوظاً على خط موسكو تل أبيب، إذ يعتبر العديد من المحللين أن علاقة روسيا مع "حلفائها" في سوريا وإيران تأخذ بعين الإعتبار مصالح إسرائيل، فضلاً عن أن موسكو تبقي عينها على تل أبيب لما تمثله الجالية اليهودية من ثقل في روسيا، يحاول الكرملين الإستفادة من خبراتهم، وفي هذا الإطار لا يمكن إغفال زيارة رئيس أركان القوات المسلحة الروسية الى إسرائيل من أجل تنسيق نشاطات سلاح الجو الروسي فوق سوريا منعاً لأي تصادم مع سلاح الجو الإسرائيلي الناشط بكثرة في الأجواء السورية منذ إندلاع النزاع السوري، وقد نفذت طائراته غارات عدة وضربت أهدافاً داخل العمق السوري بحجة منع نقل أسلحة متطورة الى حزب الله اللبناني. الى ذلك، وفي خضم الحملة الجوية الروسية في سوريا، لوحظ عدم تجاوز الطائرات الروسية لمناطق وسط سوريا جنوباً إلا نادراً، فهل يمكن وضع هذا الموضوع في خانة ما تم الإتفاق عليه بين روسيا وإسرائيل؟ الوقت كفيل بالإجابة عن هذا السؤال.

(1)- العلاقات الروسية التركية.

بعد وصول حزب العدالة والتنمية الى الحكم في تركيا العام 2002، وتطبيقاً لأسس السياسة الخارجية التركية التي وضعها أحمد داود أوغلو وزير الخارجية في حكومة أردوغان منذ العام 2000، بدأت تركيا باعتماد مبادىء ساهمت بتطبيق سياسة خارجية فعّالة وإيجابية. إعتمدت المقاربة الجديدة للسياسة الخارجية على مبدأ "تصفير" المشكلات واعتماد سياسة التأثير في الأقاليم الداخلية والخارجية لدول الجوار، كما اعتماد مبدأ السياسة الخارجية المتعددة الأبعاد، الذي يرتكز على مسلّمة واقعية أن العلاقات بين الدول ليست بديلة لبعضها البعض، بل هي متكاملة فيما بينها، وهذا المبدأ وضع علاقات تركيا الإستراتيجية بالولايات المتحدة في إطار ارتباطها بحلف الناتو وتحت مفهوم العلاقات الثنائية، كما وضع الجهد التركي للإنضمام الى الإتحاد الأوروبي وسياستها مع روسيا وأوراسيا على الوتيرة نفسها، باعتبارها علاقات تجري في إطار من التكامل وليس التناقض، بما سمي بمبدأ الديبلوماسية المتناغمة.[387]

[387] أحمد داود أوغلو، العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، ص 614.

وبالرغم من اعتماد تركيا لهذه المبادئ، إلا أن روسيا لم تخف مخاوفها من أن تتجه تركيا الى دعم المقاتلين الشيشان المناهضين لموسكو.[388] لتبديد هذه المخاوف، قام رئيس حزب العدالة والتنمية أردوغان، الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء تركيا، بزيارة روسيا في كانون الأول العام 2002،[389] وأكد وقوف تركيا مع روسيا في محاربة الإرهاب،[390] وأعرب الرئيس الروسي بوتين عن رضاه عن مستوى العلاقات مع تركيا واتفق الزعيمان على تعزيز التعاون الإقتصادي بين دولتيهما.[391]

(أ)- **<u>ملامح التقارب بين البلدين.</u>**

إنعكس التقارب بين البلدين على علاقتهما الإقتصادية، حيث ارتفع مستوى التبادل التجاري بينهما من 5.031 مليار دولار في العام 2002 الى 10.860 مليار دولار في العام 2004. كما شهدت هذه المرحلة تبادل زيارات على مستوى رفيع وتوقيع اتفاقيات ثنائية، فزار الرئيس بوتين تركيا ما بين 5 و6 كانون الأول 2004 حيث تم توقيع الإعلان المشترك "لتعميق الصداقة والشراكة المتعددة الأبعاد" بين البلدين، وتم التأكيد على تقوية العلاقات على أساس التفاهم والثقة المتبادلة، وتحقيق الأمن والإستقرار في منطقة القوقاز كما الإتفاق على مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة العابرة للحدود، كما أشار الإعلان الى أهمية التعاون العسكري التقني والصناعة الدفاعية. وفي أثناء هذه الزيارة أعلنت روسيا تأييدها انضمام تركيا الى الإتحاد الأوروبي في حين أيّدت تركيا إنضمام روسيا الى منظمة المؤتمر الإسلامي كدولة مراقبة.[392]

ظهر من خلال هذا التطور في العلاقات بين البلدين إتفاق على عدد من القضايا الدولية ذات الإهتمام المشترك، حيث تخوفت كلتا الدولتين من نتائج الثورتين "الملونتين" في كل من جورجيا (2003)، وأوكرانيا (2004)، ومن توسيع حلف الناتو وانضمام كل من بلغاريا ورومانيا إليه في آذار 2004، فروسيا رأت في

---

[388] James W. Warhola and William. Mitchell, “The warming of Turkish– Russian relations: Motives and Implications”, Demokratizatsiya, vol. 14, no. 1 (winter 2006), p. 11.

[389] Robert O. Freedman, “Russian policy towards the Middle East under Putin: The Impact of 9/11 and the war in Iraq”, Alternatives, vol. 2, no. 2 (summer 2003), http”//www.alternativesjournal.net/volume2/number2/putin.htm>. (Accessed Dec 12, 2015).

[390] Gulperi Karayel, “Rivals or Partners? Turkish – Russian Relations in the Greater Black Sea Region since 1999 ”, Thesis, Istanbul Bilgi University (2006), p 73.

[391] Robert O.Freedman, “Russian policy towards the Middle East under Putin: The Impact of 9/11 and the war in Iraq”.

[392] معمر فيصل خولي، اللعلاقات التركية– الروسية، من إرث الماضي الى آفاق المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة وبيروت، الطبعة الأولى، 2014، من ص 30 الى ص 39.

الدعم الأميركي لهذا الحراك الأوروبي محاولة لتحجيم دورها في البحر الأسود، أما تركيا فرأت في دعوى نشر الديمقراطية الأميركية في جورجيا وأوكرانيا على غرار المشهد العراقي خطر داهم على الإستقرار في المنطقة،[393] كما رأت في دخول رومانيا وبلغاريا في الناتو تقليصاً لأهمية الدور التركي في سياسة الحلف في منطقة البلقان والبحر الأسود. وأتى التوافق الروسي التركي حول هذا الموضوع لرغبة البلدين بعدم إحداث أي تغيير جيوستراتيجي في منطقة البحر الأسود، بوصفها منطقة نفوذ لكل منهما.[394] وجاء تأييد روسيا لانضمام تركيا الى الإتحاد الأوروبي بالرغم من أنها ليست عضواً فيه، كإشارة من روسيا الى التطور الإيجابي في علاقاتها مع تركيا من جهة،[395] ولوجود مصلحة اقتصادية مشتركة لدى الدولتين، إذ أن دخول تركيا الى هذا الإتحاد سيعود بالنفع كذلك الى روسيا لوجود علاقات تجارية مزدهرة بين البلدين الأمر الذي يسهّل استفادة روسيا بطريقة غير مباشرة من التسهيلات الإقتصادية التي يمنحها الإتحاد لأعضائه. سعت روسيا من جهتها الى توثيق التعاون مع تركيا التي تساهم في دور مهم في الشرق الأوسط على اعتبار أنها الجسر الذي يصل الشرق بالغرب، فهي تجسد ثلاث دوائر جغرافية: الدائرة الأوروبية والعربية والآسيوية الوسطى في آن.[396]

(ب)- **التناقضات الظاهرة: توافق هش.**

إلا أن هذا التوافق بين الدولتين لم يمنع وجود تناقضات في مواضيع أخرى لم يتم الإتفاق بشأنها لتعارض مصالح الدولتين حيالها، ولعل مسألة حزب العمّال الكردستاني ورعاية روسيا لنشاطاته من حيث عقد المؤتمرات والإجتماعات العائدة للحزب على أراضيها، وافتتاح "البيت الكردي" كممثل للحزب في موسكو العام 1995،[397] والإتهامات الروسية لتركيا بشأن إيوائها لقادة شيشانيين على أراضيها تعتبر من أهم المواضيع الشائكة في العلاقات ما بين الدولتين، أضف الى ذلك مسألة تباين الآراء حول المسألة القبرصية وموضوع الإبادة الأرمنية ومشكلة كوسوفو، وقيام تركيا بتسليم جورجيا وأذربيجان معدات عسكرية وتأهيل قواعد عسكرية في البلدين.[398] وظهر التناقض الكبير بين البلدين في مجال الطاقة، حين وقّعت روسيا وبلغاريا

---

[393] Gulperi Karayel, " Rivals or Partners? Turkish– Russian Relations in the Greater Black Sea Region since 1999". p 69.

[394] Gulperi Karayel, op.cit.

[395] معمر فيصل خولي، مرجع سبق ذكره، ص 42.

[396] مأمون شحادة، "البريسترويكا الروسية الجديدة بمفهوم بوتين"، الحوار المتمدن، 2009/12/09، الموقع الإلكتروني:.http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=194542 (دخول 16 تشرين الأول 2015).

[397] Gulperi Karayel, "Rivals or Partners? Turkish – Russian Relations in the Greater Black Sea Region since 1999". p 86.

[398] معمر فيصل خولي، مرجع سبق ذكره، ص 45.

واليونان في آذار 2007 إتفاقاً يقضي بإنشاء خط أنابيب بورغاس- ألكسندر بوليس لنقل الغاز الطبيعي الروسي الى بلغاريا واليونان، كما وقّعت شركة "غازبروم" الروسية والشركة الإيطالية "إي إن آي" إتفاقاً يقضي بنقل الغاز الروسي الى وسط أوروبا عبر بلغاريا، ومنها الى إيطاليا عبر البلقان، حيث شكلت الإتفاقيتان ضربة لطموح تركيا أن تصبح أراضيها جسراً لعبور الغاز الروسي نحو البلقان.[399] إلا أن هذه الإتفاقات لم تمنع تركيا أن تحل في المرتبة الثالثة بعد ألمانيا وإيطاليا من حيث حجم إستيراد الغاز الروسي.[400]

أول اختبار حقيقي لعمق العلاقات بين البلدين جاء على خلفية الحرب الروسية الجورجية في آب 2008، حين سمحت تركيا بتاريخ 21 آب 2008، بدخول سفن حربية أطلسية الى البحر الأسود،[401] حيث وجّهت روسيا حينها تحذيراً شديد اللهجة لتركيا مطالبة إيّاها بخروج هذه السفن من البحر الأسود بمهلة 21 يوماً تطبيقاً لاتفاقية مونترو للمضائق[402] محمّلة تركيا كامل المسؤولية.[403] ولممارسة المزيد من الضغط، فرضت روسيا قيوداً جمركية تمثلت باحتجاز حوالي عشرة آلاف شاحنة تركية عند نقاط العبور معها، في حين اعترضت تركيا على هذا الإجراء متهمة روسيا بخرق قواعد منظمة التجارة العالمية.[404] ولم تنته الأزمة بين الدولتين إلا بعد إعلان الناتو في 10 أيلول 2008 عزمه سحب سفنه الحربية من البحر الأسود.[405]

في معرض تعليقه على الأزمة التجارية التي استجدت بين تركيا وروسيا على خلفية تحميل الأخيرة تركيا مسؤولية دخول سفن أطلسية الى البحر الأسود وفرض قيود جمركية على الشاحنات التركية، أكد رئيس

---

[399] Marek Menkiszak, Towards Strategic partnership? Turkish- Russian relations at the turn of the Twenty- first century, The International Relations and security Network, Center of Eastern Studies (July 2008), p 79.

[400] معمر فيصل خولي، مرجع سبق ذكره، ص 49.

[401] جريدة الإتحاد، "الناتو يعلن اكتمال التدريبات في البحر الأسود"، 2008/09/11، الموقع الإلكتوني: <http://www.alittihad.ae/details.php?id=37909&y=2008> (دخول 16 تشرين الأول 2015).

[402] تمنع هذه الإتفاقية دخول سفن حربية الى البحر الأسود تابعة لدول لا تقع على سواحله وتزيد حمولتها الإجمالية عن 45 ألف طن لمدة تتجاوز 21 يوماً.

[403] طه عودة، "الأزمة الدبلوماسية بين تركيا وروسيا، النتائج والأبعاد"، الجزيرة نت، 2008/09/16، الموقع الإلكتروني: <http://www.aljazeera.net/opinions/pages/668ec3f1-2ffa-43d1-9e6b-a481de92e018> (دخول 16 تشرين الأول 2015).

[404] وكالة الأنباء الكويتية، "وزير الخارجية الروسي وصل الى اسطنبول لبحث تطورات الوضع في منطقة القوقاز"، كونا، 2008/09/02، الموقع الإلكتروني: http://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?language=ar&id=1935133. (دخول 16 تشرين الأول 2015).

[405] جريدة الإتحاد، مرجع سبق ذكره.

الوزراء التركي أردوغان أن تركيا ستتعامل مع هذه الأزمة وفق ما تقتضيه المصالح التركية، وأضاف أنه عند النظر الى حجم التبادل التجاري بين الدولتين، فإنه لا يمكن تجاهل روسيا.[406]

بعد أن أظهرت الحرب الجورجية قوة التأثير الروسي خاصة في المنطقة الإقليمية القريبة، وبعد أن وعى الأتراك لمصالحهم المرتبطة مباشرة بالشراكة الإقتصادية مع روسيا، نحت العلاقات بين البلدين باتجاه تمتين الشراكة الإقتصادية خاصة في مجال النفط والغاز حيث تم في العام 2009 توقيع اتفاقية التعاون في شأن بناء خط أنابيب للغاز (المجرى الأزرق 2)، لنقل الغاز الروسي الى أوروبا عبر المنطقة الإقتصادية الخالصة البحرية التركية على البحر الأسود، كما وقّع اتفاقاً تبني بموجبه روسيا لتركيا أول محطة كهروذرية، وبالمقابل جددت روسيا الإتفاق الخاص بالغاز الذي تستورده تركيا منها.[407] لقد وعت القيادة الروسية أهمية موقع تركيا الجيوسياسي لأمن روسيا القومي والإقتصادي، وسعت من خلال مشروع المجرى الأزرق الى منافسة مشروع خط أنابيب نابوكو المزمع إنشاؤه بدعم أميركي لجر غاز وسط آسيا الى أوروبا، كما أعرب فلاديمير بوتين، رئيس الوزراء الروسي حينها.[408] إلى ذلك يدرك الروس أن إنهماك تركيا في الربيع العربي وإنسجام مواقفها مع الغرب سيُخرجها أشدّ قوّة وأطول باعًا، وأنها ستضع شروطها على أي تعاون روسي- تركي في مجال الطاقة، وأنها ستكون أكثر حريّة في المفاضلة بين "خط نابوكو" الذي يمرّ عبر أراضيها يجانب الأراضي الروسية، و"خط المجرى الأزرق" الذي تعمل روسيا جاهدة من أجل إنجاز كامل مراحله.[409]

(ج)- <u>سوريا: الإختبار الأخطر.</u>

الإختبار الآخر للعلاقات بين روسيا وتركيا جاء على خلفية موقف البلدين من الأزمة السورية، حيث اعتبر الرئيس أردوغان أن الموقف الروسي تجاه الأزمة السورية يسمح باستمرار القتل بلا هوادة، وأن المصدر الأساسي لخيبة الأمل بشأن الأزمة السورية هو روسيا التي تساند المذبحة،[410] مع الإشارة الى الموقف التركي العلني الداعم لضرورة تنحي الرئيس الأسد عن السلطة كضرورة لإيجاد حل للأزمة السورية. في المقابل

---

[406] Gulsah Gures, Security Dimension of Turkey's Relations with Russia: 2000 – 2010, Ibid, p 63.

[407] حسني محلي، "تعاون مع روسيا على تزويد أوروبا بالغاز: تركيا.. حرب الأنابيب والمعادلات الصعبة"، القبس، 2009/08/07، الموقع الإلكتروني: <http://www.alqabas.com.kw/node/648787>. (دخول 19 تشرين الأول 2015).

[408] Gulsah Gures, Security Dimension of Turkey's Relations with Russia: 2000– 2010, Ibid, p 63.

[409] Le Monde Diplomatique: France-Paris- Mensuelle, numeros635-636 – La nouvelle russie de Vladimir putin.

[410] "أردوغان: موقف روسيا والصين من الأزمة السورية يسمح باستمرار القتل هناك دون هوادة"، موقع سيريانيوز، 2012/09/28، الموقع الإلكتروني: /http://www.syria-news.com (دخول 17 كانون الأول 2015).

إنتقدت وزارة الخارجية الروسية قرار مجموعة أصدقاء سورية بشأن تسليح المعارضة السورية، والتي وصفها وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف بأنها صديقة لطرف واحد من المعارضة السورية فقط، وبان أعمالها ذات أثر سلبي على الجهود الآيلة لحل الأزمة، وشدد لافروف على أن الجهود المبذولة لتنحي الرئيس السوري عن السلطة لا تخدم الحوار بين الطرفين.

التدخل الروسي في سوريا أثّر مباشرة على الموقف التركي. إن الناظر الى الخارطة العسكرية الحالية لا بد أن يلاحظ أن تركيا باتت محاصرة عملانياً من قبل روسيا شمالاً وجنوباً وشرقاً. فالوجود العسكري الروسي الممتد من البحر الأسود الى منطقة بحر قزوين شمالاً، وفي سوريا جنوباً، والتحالف الروسي الإيراني شرقاً، حتم على تركيا التحرك سريعاً والطلب من حلف شمال الأطلسي تعزيز دفاعات تركيا الجوية، والسماح لطائرات التحالف الدولي العامل في سوريا باستخدام مطار قاعدة إنجرليك الجوية، كما أدى الى تغيير جذري في سياسة أنقرة تجاه المتشددين العاملين في سوريا، أضف الى كل ذلك بوادر تشكّل إقليم كردي جديد على حدودها الجنوبية مع سوريا.

(د)- **<u>مستقبل العلاقات بين البلدين.</u>**

السؤال الذي يطرح هنا هو مدى تأثير التناقضات بين روسيا وتركيا على السياسة الروسية في الشرق الأوسط، باعتبار ما لتركيا من قوة تأثير في العديد من الملفات المطروحة.

بالنظر الى الأهداف المعلنة لكلا البلدين، فإن التناقضات التكتية الموجودة حالياً قد لا تؤثر على مستوى التقارب الإستراتيجي بينهما ولعدة أسباب أهمها اقتناع الطرفان بأهمية كل بلد بالنسبة للآخر على المستويات السياسية والإقتصادية، إذ تسعى تركيا من خلال روسيا الى تعزيز فرصها في أن تصبح مضخة لتدفقات نفط آسيا الوسطى وبحر قزوين وروسيا وكازاخستان،[411] أما روسيا فتسعى الى توثيق التعاون الإستراتيجي مع تركيا، الدولة العضو في الحلف الأطلسي، مع ما يعني هذا التعاون من تراجع للنفوذ الأميركي في القوقاز وآسيا الوسطى، كما أنها تدرك أهمية تركيا كممر إلزامي لأنابيب نفطها وغازها باتجاه أوروبا، خاصة بعد الأزمة المستجدة مع أوكرانيا.[412] إلا أن هذا التفاؤل يشوبه بعض القلق خاصة في حال تطور الأوضاع بشكل دراماتيكي في إحدى مسائل الخلاف، فماذا لو تطورت الأزمة السورية مثلاً تطوراً يخرج عن حسابات

---

[411] طه عودة، مرجع سبق ذكره.

[412] بشير عبد الفتاح، "السياسة الخارجية التركية وقضية تأمين الطاقة"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 182، تشرين الأول 2010، ص 120.

كل من تركيا وروسيا، فكيف سيؤثر ذلك في استمرار سياسة التهميش والتجاهل للخلافات المتبعة من قبل البلدين؟[413]

إن القراءة المتأنية لتوجهات الدولتين التركية والروسية تؤشر الى أن التقارب الإيجابي على الصعيد الإقتصادي والتجاري لا بد أن يساهم في ترميم الفجوات التي قد تظهر من جراء بعض التباين السياسي تجاه مواضيع محددة، إذ أن المشكلات ذات الإهتمام المشترك تنطوي على مخاطر وأضرار بالنسبة الى الإعتماد المتبادل القائم بينهما، وبالتالي هذا ما يدفع باتجاه الحفاظ على الحد الأدنى من التوافق الضروري لتطوير العلاقات الإيجابية بين البلدين بالرغم من تطابق وجهات النظر حيال بعض القضايا.[414] وضمن هذا الإطار يمكن وضع الأسلوب المتبع من قبل الطرفين لمعالجة المسائل الطارئة المتأتية عن التطورات الأخيرة في الحرب السورية، إثر التدخل الجوي الروسي في سوريا.

بالتالي يمكن عنونة المرحلة الحالية من العلاقات الروسية التركية بأنها مرحلة التعاون حول الطاقة، إذ يستند هذا التفاهم حول إدراك كل منهما حاجته للآخر، ففي حين تدرك موسكو أنه ليس من مصلحتها تجاهل موقع أنقرة كممر إلزامي للنفط والغاز ولأسطولها المتمركز في البحر الأسود بإتجاه البحر المتوسط، كذلك تعي تركيا مقدار إعتمادها حالياً على روسيا في تأمين إحتياجاتها النفطية، رغم الأزمة الناتجة عن موافقتها نصب الدرع الصاروخية الأميركية على أراضيها. فموسكو، التي تتعامل حتى الآن بمنطق الثنائيات في دبلوماسيتها، ترسم مكاناً لأنقرة مقابل مكان لطهران، وهذا يريحها إلى حد ما طالما أن الدولتين الإقليميتين ماثلتان بمواجهة بعضهما في الخارطة الجيوستراتيجية الروسية.

(2)- **العلاقة الروسية الإسرائيلية.**

تتعلق أهم المشاكل التي تبرز بين روسيا وإسرائيل ببيع الأسلحة الروسية إلى دول تعتبرها إسرائيل خطراً عليها، كإيران وسوريا، وفي حين دأبت روسيا على تبرير تعاونها العسكري مع هذه الدول بأنه يعود لأسباب مالية فقط، لم تقتنع إسرائيل بهكذا تبريرات، خاصة بعد إعلان روسيا شطب 9 مليار دولار من قيمة الديون الروسية بذمة سوريا. تنظر إسرائيل إلى التعاون الروسي مع سوريا وإيران على أنه مؤشر لإرادة الكرملين بإسترجاع دور روسيا السابق كقوة فاعلة في الشرق الأوسط، وتطبق ذلك عبر إتباعها سياسة قائمة على بناء علاقات وثيقة مع هذه الدول لاستخدامها كجسر عبور الى المنطقة من جديد . ويمكن الركون من وجهة

[413] معمر فيصل خولي، مرجع سبق ذكره، ص 76.
[414] المرجع السابق، ص 104 – 105.

النظر الإسرائيلية، الى تبني روسيا لهذه السياسة اعتباراً من العام 2006 من خلال التصريحات الروسية التي إعتبرت بأن الحرب الإسرائيليّة على لبنان عام 2006 كانت دموية وأدت إلى تدميره.[415]

(أ)- العلاقات المتأرجحة... والمتميّزة!

شكلت حرب لبنان الثانية العام 2006 مفصلاً بارزاً في العلاقات الروسية الإسرائيلية، حيث إعتبرت إسرائيل أن الصواريخ التي قصفت عليها خلال هذه الحرب كانت من صنع روسي، وقد أدى ذلك إلى توتر في العلاقات بين البلدين. وعلى الرغم من أنّ المسؤولين الروس حاولوا التغاضي عن هذا الموضوع أثناء زيارة رئيس الحكومة الإسرائيلية إلى موسكو بعد شهرين من وقف القتال، إلا أن ذلك لم يمنع من تعميق الخلاف بين إسرائيل وروسيا، إذ رأت إسرائيل موسكو في هذه الحرب تقف على المقلب الآخر من الصراع، في حين أكّدت موسكو أنها لا تتحمل مسؤولية فشل حكومة إسرائيل في تحقيق أهدافها في لبنان، فصحيح أنه تم استخدام سلاح روسي ضدها، ولكن بالمقابل فإن الجيوش العربيّة المسلّحة بالمعدات السوفياتية، خسرت حرب 1967 بغض النظر عن ظروف تلك الحرب.[416]

هذا الفتور في العلاقات ليس طارئاً على المسار الديبلوماسي بين البلدين، فالعلاقات الروسية الإسرائيلية لم تتسم عامة بالإستقرار شأنها شأن العلاقات السابقة مع الإتحاد السوفياتي، فالتأرجح يظل هو السمة الطاغية عليها. إلا أنه على الرغم من الفتور الذي يمكن أن يستجد بين البلدين عند أي استحقاق، فإن المعالجات السريعة تنجح في إعادة الأمور الى نصابها، نظراً لوجود عوامل تميّز علاقات روسيا بإسرائيل عن غيرها من العلاقات في المنطقة. فعلى الرغم من التوتر المستجد في العلاقات بين البلدين خلال أزمة أوسيتيا الجنوبية في العام 2008،[417] نرى أنه في الأعوام اللاحقة شهدت العلاقات بين البلدين تقدم مهم. ففي العام 2009 إستأنفت اللجنة الوزارية الإقتصادية الروسية الإسرائيلية المشتركة أعمالها، كما تم في العام 2010 التوقيع على إتفاقية التعاون العسكري الإستراتيجي، التي شكلت نقلة

---

[415] لمى الأمارة، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2009، ص 93.

[416] Yevgeny Primakov, Middle East in the lime light and behind the scenes, (Moscow: first edition, 2006), 79.

[417] رضا شحاتة، "اتجاهات السياسة الخارجية الأميركية نحو روسيا المعاصرة"، في الإمبراطورية الأميركية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2002.

نوعية في العلاقات بين البلدين، إذ تعزز التعاون بينهما في مجال مكافحة الإرهاب، ومجال الطائرات دون طيار، وفي خدمة هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل.[418]

(ب)- روسيا ما بين إسرائيل ودول المنطقة.

رغم أن روسيا تحاول الموازنة إلى حد كبير في علاقاتها بين إسرائيل والعرب، خاصة في موضوع القضية الفلسطينية، وهي العضو في اللجنة الرباعية الدولية، يستمر التناقض الجوهري بين البلدين حول عدد من القضايا لاسيما توجهات السياسة الروسية في المنطقة والتي لا تروق كثيراً لتل أبيب، في مقدمة ذلك تعزيز التعاون الإستراتيجي في المجالات التقنية والإقتصادية والعسكرية مع سوريا وإيران، ما يثير حفيظة إسرائيل التي طالما إتهمت سوريا بتزويد حزب الله بأسلحة تعتبر أنها تخل بالتوازن العسكري وبأمن إسرائيل، وقد حاولت مراراً عرقلة صفقات الأسلحة الروسية لسوريا.

إلا أنه من الملاحظ أن السياسة الروسية تجاه إسرائيل تتجاوز الإنتقادات الشكلية الآنية، بالإلتقاء حول مصالح إستراتيجية تؤشر الى مدى الرغبة للتوصل الى تفاهمات دائمة مشتركة بين الطرفين. فروسيا لا تريد أن تخسر العرب أو الإسرائيليين، كما أن المشكلة تزداد تعقيداً عندما نتابع ما يروّج له في الداخل الإسرائيلي أن قطاع غزة مثلاً، يمثّل بالنسبة لإسرائيل صورة مكررة لما تمثله الشيشان بالنسبة لروسيا، فما تمارسه إسرائيل تجاه الفلسطينيين لا يختلف عما مارسته روسيا تجاه الشيشانيين. والتشابك الأكبر يبرز من خلال الدعم الإسرائيلي لروسيا في مواجهتها مع بعض جماعات حقوق الإنسان التي طالبت بمحاكمة المسؤولين الروس عما فعلوه في الشيشان، حيث اعتبر الإسرائيليون أن ما تتعرض له روسيا مماثل لما تتعرض له إسرائيل عند ممارستها لحقعا المشروع بالدفاع عن النفس في غزة.[419]

وقد أعلن الرئيس بوتين أن "تطوير العلاقات البناءة والمتبادلة مع إسرائيل في المجالات السياسية والإقتصادية والإنسانية، كانت وستبقى أولوية السياسة الخارجية الروسية.[420]

ففي المجال السياسي، هناك أيضاً تفاهم متبادل. فعلى الرغم من أن روسيا تزوّد البلدان العربية بالأسلحة، فهي لا تمدها بالمنظومات التي يمكن أن تغير ميزان القوى. فما أن يبدأ الحديث عن تزويد سوريا مثلاً بوسائط دفاع جوي متطورة، حتى يطير رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى موسكو للتشاور مع القيادة الروسية.

---

[418] حاتم الشحف، العلاقات الروسية الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 2005، ص 34.

[419] عاطف عبد الحميد، "استعادة روسيا مكانة القطب الدولي"، مرجع سبق ذكره، ص 111.

[420] نيقولاي سوركوف، " إسرائيل أهم في موسكو من العالم العربي"، موقع العربي الجديد، 2014/08/10، الموقع الإلكتروني: http://www.alaraby.co.uk/opinion/2014/8/10/إسرائيل-أهم-في-موسكو-من-العالم-العربي (دخول 21 كانون الأول 2015).

ولذلك، لم يكن مصادفة لغاية الآن تخلي روسيا عن تزويد إيران وسوريا بمنظومة صواريخ إس-300، والتي كان يمكنها أن تعيق جدياً عمل سلاح الطيران الإسرائيلي، في حال نشوب حرب. وبالنتيجة، لم يحصل الإيرانيون سوى على صواريخ قصيرة المدى (تور)، والسوريون على (ستريليتس) التي لا تختلف إلا قليلاً عن الصواريخ المحمولة على الكتف المضادة للطائرات. الأمر الأكثر بساطةً وإقناعاً لتفسير مثل هذه السياسة التي تنتهجها روسيا، هو براغماتية بوتين في سياسته الخارجية. فهو يعقد صداقات، حيث تكون المنفعة. وروسيا ترى في إسرائيل شريكاً اقتصادياً وسياسياً مهماً، بل أكثر أهمية بكثير من البلدان العربية، علماً أن أهمية إسرائيل عند روسيا تضاعفت بعد الأزمة الأوكرانية. ففي أثناء هذه الأزمة، امتنعت إسرائيل بعناد عن توجيه أي نقد لروسيا، وهذا ما قدّرته موسكو عالياً. إضافة إلى ذلك، في حال تشديد العقوبات على روسيا، يمكن لإسرائيل أن تشكل بالنسبة لموسكو نافذة على الغرب لتخفيف من ضغوط هذه العقوبات.[421]

العلاقات الروسية الإسرائيلية، وصفها جيداً رئيس لجنة العلاقات الدولية في مجلس الفيدرالية الروسي، السيناتور ميخائيل مارغيلوف، والذي زار تل أبيب مع برلمانيين روس، في ذروة العملية الإسرائيلية في غزة العام 2008، فقال: "تتخلص من كل سوء فهم في أثناء المناقشات. نتحدث بالتفصيل مع شركائنا (الإسرائيليين) عن مناهجنا ومواقفنا. وحتى حين لا نوافق، وحين لا تتوافق وجهات نظرنا، فإننا لا ننزلق، في أي حال، إلى خطاب عدائي".[422]

مدير الأكاديمية للقضايا الجيوسياسية الروسية، الجنرال "إيفانشوف"، يرى أن روسيا عند تنفيذها لتعاونها العسكري مع حلفائها سورية وإيران، تأخذ بعين الاعتبار أمن ومصالح إسرائيل، معللًا ذلك بأن موسكو تبقي عينها على نحو مليون مهاجر روسي قدموا الى إسرائيل العام 1990. في المقابل فإن صحيفة "يديعوت أحرنوت" الإسرائيلية نقلت عن الخبير الإسرائيلي في الشؤون الروسية" ألكس تنتسر" قوله: "إن روسيا ترى إسرائيل شريكة في قضايا حساسة، وأنه على خلفية ذلك قررت روسيا فتح خط هاتفي مشفّر بين مكتبي الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، ورئيس حكومة إسرائيل، بنيامين نتنياهو، ويأتي تعزيز العلاقات بين الجانبين في ظل توتر العلاقات الأميركية الروسية على خلفية الأزمة الأوكرانية". ويشار إلى أن هذا التقارب بين روسيا وإسرائيل يأتي في ظل أزمة بين روسيا وبين الولايات المتحدة والدول الغربية عموما" في أعقاب الأزمة الأوكرانية، لاسيما وأن إسرائيل هي إحدى الدول القليلة التي لم تندد في دخول روسيا إلى شبه جزيرة القرم، كما أنها امتنعت عن التصويت في الأمم المتحدة على قرار يندد بروسيا.[423]

---

[421] نيقولاي سوركوف، " إسرائيل أهم في موسكو من العالم العربي"، مرجع سبق ذكره.

[422] المرجع السابق.

[423] بثينة اشتيوي، "روسيا وإسرائيل : توتر واستقرارفي العلاقات وفقاً لظروف المنطقة"، موقع ساسة بوست، 2014/01/05، الموقع الإلكتروني: http://www.sasapost.com/israeli-russian-relations/ (دخول 19 كانون الأول 2015).

وفي المجال الإقتصادي، تحتل إسرائيل على الصعيد الإقتصادي المرتبة الأولى بين دول الشرق الأوسط من حيث حجم التبادل التجاري مع روسيا، والذي بلغ نحو 3 مليارات دولار عام 2008، كما تحتل روسيا المركز الثاني بعد الولايات المتحدة من حيث عدد السوّاح الذين يزورون إسرائيل سنوياً خاصة بعد إلغاء نظام تأشيرات السفر بين البلدين عام 2008. ويتعاون البلدان على نحو وثيق في مجال تكنولوجيا النانو (TECHNOLGIE MICROSCOPIQUE)، والفضاء والطاقة، إضافة إلى توريد الغاز الروسي إلى إسرائيل، وإقامة منطقة تجارة حرة بينهما.[424]

(ج)- **<u>الأزمة السورية وقلق إسرائيل.</u>**

ولكن هل يمكن إطلاق صفة الإستقرار على علاقات البلدين خاصة في ضوء تطورات الحرب السورية الأخيرة، ودخول القوات الروسية القتال الى جانب النظام السوري، بالتحالف مع إيران، مع ما يعني ذلك من وصول قوات الحرس الثوري الإيراني الى الحدود الإسرائيلية في القنيطرة وغيرها، مع ما يمكن أن يستتبع ذلك من مواجهة مباشرة على غرار الغارة الإسرائيلية على القنيطرة والتي ذهب ضحيتها عدة كوادر حزبية لبنانية بالإضافة الى مسؤول إيراني في الحرس الثوري؟

إن المتتبع لتطور الأحداث في سوريا لا بد أن يلحظ تبدل الخطاب الروسي، خاصة مع قرار القيادة الروسية الذهاب في سياسة حافة الهاوية حتى النهاية. إلا أنه بالرغم من القلق الذي أثاره الإعلان الروسي عن الإفراج عن شحنة الصواريخ المتطورة لإيران، واعتبار إسرائيل نفسها المستهدفة الأساسية بهذا السلاح، فإن مسؤوليها لم يتجرأوا على توجيه انتقادات حادة الى روسيا خوفاً من تعريض شبكة العلاقات الخاصة التي تربط البلدين للخطر، ما يظهر تعقيد العلاقات التي تربط إسرائيل وروسيا.

هناك أكثر من سبب وراء هذا الحذر الإسرائيلي، منها اقتناع المسؤولين الإسرائيليين بأن الخطوة الروسية ليست موجهة ضدهم بقدر ما هي رسالة موجهة الى الولايات المتحدة الأميركية بصورة خاصة على خلفية الأزمة الأوكرانية والعقوبات التي فرضت على روسيا عقب ضمها شبه جزيرة القرم بالإضافة الى متغيرات الأزمة السورية. والأهم من كل هذا التقديرات الإسرائيلية أن الخطوة الروسية تدخل في إطار الصراع على النفوذ في الشرق الأوسط مع الولايات المتحدة تحديداً، ورغبة روسيا في التحول الى لاعب أساسي من خلال تقرّبها من جميع دول المنطقة من دون استثناء وليس من إيران تحديداً. مع ذلك، رأى عدد من الخبراء

---

[424] حاتم الشحف، العلاقات الروسية الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس، ص 34.

الإسرائيليين في قرار الإفراج عن صفقة الصواريخ مؤشراً لتبدل السياسة الروسية في الشرق الأوسط، الأمر الذي يثير تساؤلاً هل يكون ذلك على حساب العلاقة الجيدة التي تربط حالياً روسيا بإسرائيل؟[425]

2- الدور الروسي المباشر في الأزمة السورية.

أصبحت سوريا، بعد انطلاق الثورة العام 2011، موضعاً لاستقطابات دولية. ولسوريا أهمية خاصة بالنسبة لروسيا نتيجة علاقات تاريخية، واستراتيجية واقتصادية، حيث دفعت هذه الأهمية إلى مواجهة روسية غربية متزامنة مع استقطاب إقليمي حول الموضوع السوري، جعل منطقة الشرق الأوسط في معسكرين: الأول بقيادة أميركية والثاني بقيادة روسية. ولا يزال جوهر الموقف الروسي يقوم على رفض أي تدخل خارجي للتغيير في سوريا، والتمسّك بأن يقتصر دور الدول الإقليمية والدولية على رعاية الحوار والتفاهم بين أطراف الأزمة مع مواصلة الدعم السياسي، سواء المباشر أو غير مباشر، للنظام ورفض أي قرارات تصدر عن مجلس الأمن بالتدخل، هذا بالإضافة إلى مواصلة تقديم الدعم العسكري والإقتصادي للنظام وإستمرار عمل الخبراء العسكريين الروس في معظم قطاعات الجيش السوري وفي بعض المصانع السورية، والترتيب لوجود طويل الأمد في القاعدة البحرية الروسية في طرطوس.[426]

أ- أهمية سوريا بالنسبة إلى روسيا.

بعد سقوط العراق، لم يبقَ لروسيا في منطقة الشرق الأوسط إلا إيران وسوريا، وهذه الأخيرة هي الحليف التاريخي والإستراتيجي لها، وتشتركان بوجهة نظر واحدة ضد الهيمنة الأميركية في المنطقة، كما تعتبر روسيا أن سوريا مُرتكز على الصعيد الاستراتيجي لا يُستغنى عنه في سياستها الشرق أوسطية.[427] كما يعتبر الكرملين أنه إذا تخلى عن حليفه السوري فإنه سيخسر ثقة كل شركائه في العالم، من هنا جاء الفيتو الروسي ضد مشروع القرار الأميركي الأوروبي العربي ضد سوريا لإزاحة الرئيس السوري بشار الأسد. إعتبر الروس هذا القرار بمثابة بداية لتدخل عسكري شبيه لما حصل في ليبيا، كما أن الفيتو الروسي في مجلس الأمن كان انطلاقاً من مبادئ مبنية على جيو- استراتيجية روسية لقراءة دورها المحوري في العالم.

يمكن إرجاع الأسباب التي دفعت روسيا إلى استعمال حق النقض ضد قرار مجلس الأمن الى أن سوريا من أهم الدول الحليفة لروسيا على الصعيد التجاري، فعقود التسلح التي تمت بين البلدين في السنتين الأخيرتين

[425] رندة حيدر، "العلاقات اللإسرائيلية الروسية المعقدة"، النهار، العدد 25808 تاريخ 2015/04/24.

[426] أحمد عبد ربه، مرجع سبق ذكره، ص 213.

[427] عادل خليفة، "عودة روسيا إلى الساحة الدولية عبر البوابة السورية"، جريدة الأخبار، العدد 1746، لبنان، 2012/7/12.

وصلت إلى أربعة مليار دولار، وحجم الإستثمارات الروسية في الإقتصاد السوري وصلت إلى عشرين مليار دولار. كل ذلك سينتهي إذا وصل المعارضون للرئيس السوري بشار الأسد إلى السلطة. أضف الى ذلك قلق موسكو بشأن قاعدتها البحرية وبعض قطع أساطيلها الموجودة في طرطوس شمال سوريا، هذه القاعدة هي الوحيدة الموجودة حالياً في البحر المتوسط. أما سياسياً، فروسيا قلقة من موقف المعارضة السورية المتناغم والقريب من تركيا ودول الخليج العربي والدول الغربية، وعدم ثقة الروس بالأميركيين والأوروبيين عندما يؤكدون لهم أن التصويت على قرار في مجلس الأمن لن يكون تدخلاً عسكرياً في سوريا، إذ يعتبر الروس أن الغربيين يلعبون على الكلام في هذا الموضوع ويذكّرونهم بالسابقة الليبية، حيث أن دول حلف شمال الأطلسي بدأوا بقصف قوات القذافي مباشرة بعد صدور القرار رقم 1973 في آذار 2011.[428]

وتمثل سوريا موطئ القدم الأكثر أهمية في المنطقة بالنسبة لروسيا، كما أنها تعتبر ذات أهمية رئيسة في حسابات بوتين. فموقع سوريا الجيوبوليتيكي يجعلها ذات أهمية كبرى من أن يُسمح بخسارتها، وساد اعتقاد مفاده أن «الحرب ضد الإرهاب»، سواء على الأراضي السورية أو في منطقة القوقاز، وإن طال أمدها، تعتبر مفروضة على روسيا وسوريا في آن، ومن الطبيعي، في ظل التخوف من عودة المقاتلين من سوريا إلى القوقاز، أن تعتبر روسيا الجبهة السورية خطها الدفاعي الأول.

وقد أكد هذا المعنى وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر، في 17 /2013/09، عندما قال في مقابلة مع قناة "سي إن إن" الأميركية رداً على سؤال حول حقيقة موقف موسكو وما يريده الرئيس الروسي، إن "بوتين يعتبر أن الإسلام المتشدد هو التهديد الأمني الأكبر لبلاده"، مضيفاً: "بحسب مراقبتي فإن مصدر القلق الأكبر في سوريا بالنسبة إلى بوتين هو إمكانية تسبب هذا النزاع في زيادة التشدد في المنطقة وليس حماية شخص بعينه" في إشارة إلى بشار الأسد.[429] وفي السياق نفسه، أكد رئيس الوزراء الروسي ديميتري مدفيديف في مقابلة على التلفزيون الرسمي الروسي بتاريخ 2015/10/17 أن" بلاده تقاتل من أجل مصالحها القومية وليس من أجل قادة معينين، وإن روسيا تدافع عن نفسها ضد تهديد قدوم المتطرفين الإسلاميين الى أراضيها".[430]

---

[428] عادل خليفة، "عودة روسيا إلى الساحة الدولية عبر البوابة السورية"، مرجع سبق ذكره.

[429] أحمد دياب، " هل تسترجع روسيا تاريخها السوفياتي في الشرق الأوسط؟ حلفاء روسيا.. وإرث بريجينيف"، الموقع الإلكتروني:
http://arb.majalla.com/2013/10/article55248205 (دخول 20 كانون الأول 2015).

[430] "ميدفيديف:روسيا لا تدافع عن الأسد بل عن مصالحها القومية"، موقع أم تي في الإخباري،2015/10/17، الموقع الإلكتروني: mtv.com.lb (دخول 17 تشرين الأول 2015).

وعلى العموم فإن المصلحة الروسية في الأزمة السورية تتعلق بمسألة بالغة الأهمية، إذ هناك حاجة لروسيا في ظل ولاية ثالثة لبوتين، لاستعادة مكانة لائقة كدولة عظمى في النظام الدولي، ويبدو أن الرئيس بوتين بحاجة لإستثارة النعرات القومية لدى الشعب الروسي، وفي الوقت نفسه إبهاره بعودة الدول الكبرى للوقوف على أبواب موسكو متوسلة حلاً للأزمة السورية. ومن ناحية ثانية يبدو بوتين حريصاً على عدم تكرار ما يعتبره "خديعة" لبلاده عندما استخدمت دول غربية قراراً لإقامة منطقة حظر جوي (قرار مجلس الأمن رقم 1973) للتدخل عسكرياً من أجل إسقاط القذافي واستبعاد موسكو مما يعتبره "غنائم" تقاسمتها تلك الدول.[431]

من المرجح أن يشكل موقف ودور روسيا في الأزمة السورية بوابة دخول الى منطقة الشرق الأوسط، لا بل الى العالم، على نحو ما شكل موقف ودور الإتحاد السوفياتي السابق من أزمة السويس عام 1956 بوابة دخول إلى المنطقة. فإذا كان الدخول الأول قد دشن بداية تصفية الإستعمار البريطاني والفرنسي في آسيا وأفريقيا وتدشين البداية الحقيقية للحرب الباردة بين الإتحاد السوفياتي السابق والولايات المتحدة، فإن الدخول الثاني لروسيا إلى المنطقة قد يعني بداية تشكيل عالم متعدد الأقطاب ينهي الأحادية القطبية الأميركية، فالعالم يشهد اليوم تراجعاً متدرجاً الأميركي، مقابل تصاعد ملحوظ لدور روسيا والصين، حيث حصلت تحوّلات متسارعة كان من أبرزها صعود الصين الإقتصادي، والمديونية الأميركية، بالإضافة إلى دخول حربين في أفغانستان والعراق، والشكوك التي تولّدت جرّاء الأخطاء الكبيرة لسياسات الرئيس بوش، قد سرّعت في تراجع الدور الأميركي في السياسة الدولية.[432] إن روسيا، بغضّ النظر عن نظام الحكم فيها، لا يمكننا أن تكون منعزلة أو محصورة فقط في حدودها. هكذا كانت روسيا القيصرية وروسيا الشيوعية، وهكذا هي الآن روسيا "البوتينيّة".[433]

ب–<u>المواجهة الروسية الغربية في سوريا.</u>

يبدو أنّ الحسابات السياسية بين أطراف المواجهة العالمية حول سوريا أبعد من النطاق الجغرافي السوري، إذ ترى واشنطن ومن ورائها الإتحاد الأوروبي وكل من تركيا والمملكة العربية السعودية، أنّ تغييراً في سوريا سيجعل محور إيران وسوريا في طريق التداعي، إضافةً إلى انزعاجها من وقوع العراق بين أيدي القوى الموالية لطهران بعد الغزو الذي قادته بنفسها للعراق.

---

[431] أحمد دياب، "هل تسترجع روسيا تاريخها السوفياتي في الشرق الأوسط؟ حلفاء روسيا.. وإرث بريجينيف"، مرجع سبق ذكره.

[432] نزار عبد القادر، "الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط"، الدفاع الوطني اللبناني"، اليرزة، العدد 93، تموز 2015، ص 14.

[433] أحمد دياب، مرجع سبق ذكره.

تتمسك موسكو بدعم السلطة الحاكمة في سوريا، وتحول دون تبني أي قرار يدينها في مجلس الأمن الدولي، وقد استخدمت حق النقض الفيتو عدة مرّات (بالتنسيق مع الصين) لحمايتها مما تعتبره حملة غربية عليها، ولحماية مصالحها الخاصة في المنطقة. كما تسعى روسيا الى وقف ما تعتبره زحف جدول أعمال غربي يهدف الى تغيير الحكّام، تحسباً لاقتراب الثورات والإضطرابات من حدودوها الجنوبية.[434]

قبلت تركيا بنشر الدرع الصاروخية الأميركية في الأناضول، بعد إستعمال روسيا حق النقض ضد القرارات المتعلقة بسوريا في مجلس الأمن، وفي السياق نفسه يمكن وضع إرسال سفن الأسطول الروسي إلى مرفأ طرطوس وقبالة السواحل السورية.[435] لذلك لا يمكن عزل نشر الصواريخ أو السفن في المنطقة عن سياق المواجهة الروسية التركية – الغربية حول النفوذ في القوقاز وآسيا الوسطى، والتي كان أحد مظاهرها الصراع حول أنابيب النفط والغاز في تلك المنطقتين، إن كانت ستمر بأحد المعبرين التركي أو الروسي إلى أوروبا. كما لا ينفصل ذلك عن هواجس روسية بأنّ سوريا موالية للغرب، ستكون مع تركيا معبراً لأنابيب الغاز والنفط إلى أوروبا، مما سيؤدي إلى فقدان موسكو لأحد أقوى أسلحتها الإستراتيجية الراهنة مع الغرب.

يتبين من كل ما يجري في سوريا أنّ دمشق هي مفتاح المنطقة بالنسبة للجميع، وهو ما ينطبق على كل الأطراف المشاركة في الصراع فيها، التي تريد من خلال التغيير في دمشق إنشاء تغيير جيوبوليتيكي ينهي المدّ الإقليمي الإيراني. ينطبق ذلك أيضاً على موسكو التي ترى دمشق كآخر معاقلها في المنطقة، وقلعة أخيرة إن خسرتها سيسقط الشرق الأوسط بكامله بيد واشنطن، مما قد يؤدي وفق الحسابات الروسية إلى تأثيرات على مسلمي الجمهوريات السوفياتية السابقة، وبالتالي على مسلمي الإتحاد الروسي.

تم طرح موضوع الممرات الإنسانية في سوريا، وبقي من المواضيع الشائكة في الأمم المتحدة نظراً إلى الظروف الطارئة التي تحيط بهذا الموضوع كصعوبة إيصال المساعدات، ووجود العصابات المسلحة. تمّ إسقاط إقتراح فتح ممرات إنسانية المقدّم من قِبل فرنسا وتركيا بفعل المعارضة الروسية أولاً ورفض سوريا ثانياً، معتبرين أن هذه الممرات ستكون سبباً مباشراً للتدخل في الشؤون السورية الداخلية، كما أنها ستؤدي إلى ازدياد خطورة النزاع المسلح في سوريا. كما أن الموضوع لم يُطرح حتى الآن بشكل جدّي في مجلس الأمن من أجل تأمين تغطية دولية له.[436]

---

[434] محمد طلعت، "العلاقات التركية– الروسية: مجالات التقارب وقضايا الخلاف"، رؤية تركية، العدد 2، صيف 2013، ص 103.

[435] عادل خليفة، "عودة روسيا إلى الساحة الدولية عبر البوابة السورية"، مرجع سبق ذكره.

[436] عادل خليفة، "الممرات الإنسانية في القانون الدولي"، جريدة الأخبار، العدد 1768، لبنان، 2012/7/27.

ج- <u>العودة القوية من البوابة السورية.</u>

لا شك أن القضية السورية باتت مرتبطة مباشرة بمسألة عودة روسيا إلى الشرق الأوسط، وقد بات هذا الخيار حيوياً وملزماً لموسكو. ففي ظل السياسة التي يمارسها الغرب ضدها، وبالتالي حاجتها إلى فتح ثغرة في هذا الجدار لتعبر من خلالها إلى مرتكزات المصالح الأميركية العالمية في منطقة الشرق الأوسط، من الطبيعي أن يختار الروس سوريا لتكون البوابة، خاصةً أن هناك أرضية جاهزة لإحياء علاقات الصداقة والتحالف إضافةً إلى الإرث التاريخي والثقافي.

عادت روسيا لتفرض نفسها على الساحة الشرق أوسطية، من البوابة السورية بالتحديد متوخية تعويض الخسائر الفادحة نتيجة ما جرى في ليبيا وتونس ومصر واليمن، حيث خرجت روسيا من تلك الثورات دون تحقيق أية مكاسب سياسية، إقتصادية أو حتى أمنية قد تستفيد منها أو تخدم مصالحها. ويبقى الحفاظ على تواجدها في القاعدة البحرية الإستراتيجية في طرطوس ذات أولوية لما يتيحه لها هذا التواجد في مياه البحر المتوسط من تأمين حضور هام في ملفات الشرق الأوسط الشائكة في كل التسويات، كذلك للرد على نشر واشنطن للدرع الصاروخية على الأراضي التركية.

لقد أصبح واضحاً بعد الرابع من شباط 2012، أي بعد أن استخدمت كل من روسيا والصين حق النقض لقطع الطريق أمام استصدار قرار في مجلس الأمن ضد سوريا، أن المنحى الذي اتخذته كل من الصين وروسيا، ذو بعد استراتيجي طويل الأمد، كما أجمع المراقبون أن قيام تحالف بين هاتين الدولتين سيحد كثيراً من نفوذ الولايات المتحدة. إن التوافق الروسي الصيني الحاصل نتيجة مصالح مشتركة، أعطى دفعاً لروسيا في مواجهتها مع الولايات المتحدة في سوريا، ويقود كل ما تقدم إلى قراءات وتحليلات حول طبيعة السياسة الخارجية الروسية تجاه سوريا وبالتالي تجاه منطقة الشرق الأوسط.

وتبدي القيادة الروسيّة، كما الصين، حرصاً شديداً على ربط مواقفها تجاه الأزمة السورية ولجوئها إلى إستعمال حق النقض بموضوع الحفاظ على مفهوم الدول وحقّها وسيادتها، والذي لا يجيز بالمطلق للدول الأخرى التدخّل في الشؤون الداخلية لدولةٍ ما. وهذا الأمر لا يشمل التدخّل العسكري فحسب بل يتجاوزه إلى رفض نظام العقوبات الإقتصاديّة. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن موسكو تدرك الآن مدى التراجع الحاصل على مستوى الشرعيّة الدوليّة في إحترام حق سيادة الدول، وأن روسيا والدول التي كانت عضواً في الاتّحاد السوفياتي باتت معرّضة لتدخّلات خارجيّة في أمورها الداخليّة.[437]

---

[437] نزار عبد القادر، "روسيا والأزمة السورية- مصالح جيو استراتيجية وتعقيدات مع الغرب"، الدفاع الوطني اللبناني، اليرزة، العدد 84، نيسان 2013، ص 78.

ومن المعروف أنّ روسيّا أصبحت اللاعب الرئيسي في الأزمة السورية منذ إندلاعها سواء من حيث تسليح نظام الأسد ووجودها العسكري البحري في طرطوس، ومن خلال الدعم السياسي الواضح لموقف النظام من كيفيّة حلّ الأزمة. ورغم الموقف الأمريكي المناقض لهذه السياسة الروسيّة، إلا أن روسيّا إستطاعت أن تضع الموقف الأمريكي على أرضّيتها من حيث الموافقة على صيغة جنيف "1" وتأييد عقد جنيف "2" حتى لو كان هذا المسار ليس على هوى المعارضة السوريّة.[438]

وظهرت جدية الدور الروسي الجديد في الأزمة السورية من خلال المناروات العسكرية التي أجرتها قوات البحرية الروسية قبالة الشواطئ السوريّة في المتوسط عام 2013. وقد وصفت هذه المناورات بأنها الأضخم في نوعها التي تجريها القوات الروسيّة منذ إنهيار الإتّحاد السوفياتي في بداية التسعينات، وقد شارك فيها أكثر من 20 سفينة حربيّة و3 غواصات انضمت إلى المناورات من الجيوش الروسية المتمركزة في كل من البحر الأسود وبحر البلطيق وبحر الشمال. وقد سعت روسيا من خلال هذه المناورات إيصال رسائل واضحة إلى الغرب بعدم التفكير في أي تدخل عسكري في سوريّة.[439]

إلا أن التطورات العسكرية خلال العام الحالي والتي حملت تراجعاً كبيراً لقوات النظام على الجبهة الغربية باتجاه الساحل في مقابل تقدم لقوات المعارضة المدعومة صراحة من قبل الولايات المتحدة، والتوسّع الكبير والسريع للمتطرفين الإسلاميين على الجبهة الشرقية ووصولهم الى تدمر، حدى بالقيادة الروسية الى تغيير استراتيجيتها المعتمدة حيال دعمها العسكري للنظام من خلال تأمين الدعم اللوجستي بالذخائر والمحروقات والتسليح، الى التدخل العسكري المباشر في الحرب السورية، ويمكن تتبع التطور الدراماتيكي للسياسة العسكرية الروسية في سوريا من خلال المناورات العسكرية البحرية والجوية في شرق المتوسط، والتي امتدت تدريجياً الى داخل الميدان السوري من خلال تقديم الدعم الجوي للقوات البرية السورية، ولتتحول لاحقاً الى عملية تعاون فعلي بين القوات البرية والجوية والبحرية لروسيا وسوريا.

وإذا كانت المناورات الروسية تهدف في المفهوم العام الى إظهار القوة والتدريب لمهام مستقبلية، فإنها بالإضافة الى خوض غمار الحرب السورية تعتبران من أخطر القرارات التي اتخذتها موسكو بعد قرارها بحرب شبه جزيرة القرم، إذ أنها تأتي في وقت حرج في المنطقة، أضف الى نوعية الأسلحة المستخدمة فيها من صواريخ باليستية وغيرها، والتي يستلزم استخدامها ولوج فضاء دول عديدة، في خطوة لم يجرؤ الإتحاد السوفياتي على القيام بها كون منطقة "الحزام الناري" ستشمل بطريقة أو بأخرى تركيا، العضو في حلف شمال الأطلسي، حيث من الممكن أن يتجاوز مفهوم المناورة والمشاركة في سوريا المفهوم الدفاعي ليكون ذا طابع

---

[438] عبد العاطي محمّد، "عودة الدب الروسي إلى الشرق الأوسط"، مرجع سبق ذكره.

[439] أحمد عبد ربه، مرجع سبق ذكره، ص 214.

هجومي بامتياز، وهنا تكمن المخاطرة الكبرى، معطوفة على حجم ونوع الأسلحة المستخدمة. من جهة أخرى يمكن ومن الناحية السياسية تفسير الخطوة الروسية كإعلان عن أن المنطقة لم تعد بحيرة أطلسية، بل على حلف شمال الأطلسي أن يغدو شريكاً في حل أمور المتوسط، وللمرة الأولى من حوالي الخمسين سنة.[440]

يبدو من الصعب جداً توفير الظروف الملائمة لتغيير الأجواء المخيّمة على العلاقات بين موسكو وواشنطن في الوقت الراهن. ومن هنا فإنه من الصعب، لا بل من شبه المستحيل، توقّع حدوث أي إختراق في جدران المأزق السوري، وذلك على الرغم من المغامرة التي تخوضها القيادة الروسية، والتي قد تسبّب لها بعزلة دولية، بالإضافة إلى الأضرار الفادحة التي قد يتسبّب بها سقوط نظام بشار الأسد المفاجئ لمصالح روسيا في الشرق الأوسط وشرقي البحر المتوسط.

د- <u>ماهية التدخل العسكري الروسي في سوريا.</u>

نجحت روسيا في إعادة إثبات نفسها في المنطقة عبر تدخلها في سوريا، بإرسالها قوات عسكرية الى الأراضي السورية ودعمها العلني للنظام، فالسفن الروسية التي عبرت مضائق البوسفور والدردنيل كانت تحمل الأسلحة بطريقة مكشوفة في صورة وصفت بأنها رسالة واضحة للغرب عن النية الروسية في التدخل العسكري في سوريا.

السؤال الأساسي يبقى حول حجم هذا التدخل؟ هل سيتخذ حجم استراتيجي أم سيبقى ضمن إطاره التكتي المحدود؟ الى جانب ذلك يبرز تساؤل آخر حول القدرة الروسية على الإستمرار مع الكلفة الباهظة لمثل هكذا تدخل وتأثيره على أمن الإقتصاد الروسي، في ظل حرب اقتصادية متوقعة خاصة على صعيد أسعار النفط. إلا أنه بالمقابل يمكن وضع التدخل الروسي العسكري في سوريا في خانة استراتيجية هجومية رادعة لمواجهة أية حرب إقتصادية محتملة كالتي سبق وشنّت عليها إثر الأزمة الأوكرانية.

تنصب الجهود الروسية الحالية في منع الثوار من الوصول الى المناطق الساحلية السورية، لما تمثله هذه المناطق من ثقل مصالحي روسي. أهمية توقيت التدخل العسكري المباشر ارتبط بوضوح بالتطورات العسكرية على الأرض، خاصة بعد ظهور ترابط الأعمال العسكرية على مختلف جبهات القتال والتي لها مدلولاتها على الصعيدين العملياتي والإستراتيجي. ففي الوقت الذي كانت الأعمال القتالية على مختلف الجبهات تأخذ منحى مستقل باختلاف الفصائل المقاتلة وأهدافها، بدى جلياً في الآونة الأخيرة ترابط جبهات

---

[440] أسرار شبارو، "مناورات المتوسط .... هل يترجم الإستعراض الروسي على الأرض"، النهار، 21 تشرين الثاني 2015، الموقع الإلكتروني: http://www.annahar.com/article/286482-مناورات-المتوسط-هل-يترجم-الاستعراض-الروسي-على-الارض (دخول 03 كانون الأول 2015).

القتال الشمالية والوسطى والجنوبية، ما يدل على تنسيق قوات الثوار فيما بينهم، حتى غدت معارك درعا والزبداني وإدلب والغوطتين الشرقية والغربية مترابطة بعضها مع بعض.

هذا التنسيق والترابط المدعوم أميركياً وإقليمياً، هو ما أقلق موسكو ووضع قدرة النظام على الإستمرار في دائرة التساؤل، وهو شكل المحرك الأساسي للتدخل العسكري المباشر من قبل القوات العسكرية الروسية لدعم النظام ولتخفيف الضغط العسكري خاصة على الجبهتين الشمالية والوسطى، ولمنع سقوط العاصمة دمشق. إضافة الى ذلك، لا يمكن إغفال أهمية وقع تطورات الوضع اليمني على توقيت هذا التدخل في سوريا، فمع ميلان كفة النزاع لصالح التحالف العربي/ الغربي، مع ما يعنيه ذلك من تراجع لدور إيران في اليمن، الحليف الإستراتيجي لموسكو في معركة إستعادة الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط.

من جهتها، توازن الولايات المتحدة في سياساتها في سوريا ما بين الرغبة الروسية الجامحة، والسياسة المتبعة بعدم الإنجرار الى الأتون السوري، إلا أن التدخل الروسي المباشر والذي وصف في بعض مراحله بأنه تم بمباركة أميركية، سوف لن يكون بمنأى عن الردود الإقليمية والغربية إذا ما تجاوز الخطوط الحمراء المرسومة، وقد ظهرت تباشير ذلك من خلال التسريبات عن نية الولايات المتحدة والسعودية تزويد المعارضة "المعتدلة" بصواريخ مضادة للطائرات في حال استمرار الطائرات الروسية باستهداف مواقعها.

إن الهدف الأميركي على ما يبدو يبقى متمحوراً حول استمرار روسيا في لعب دور الدولة الإقليمية القوية وعدم تجاوز ذلك الى لعب دور عالمي. الى ذلك يظهر من خلال اللقاءات العسكرية التنسيقية بين الطرفين الأميركي الأطلسي والروسي، أهمية تطبيق معايير تنسيقية صارمة، نظراً لمخاطر الإنزلاق الى مواجهة مباشرة في ظل فسيفساء من القوى العسكرية البريّة والجويّة النتشرة على الارض وفي الأجواء السورية، من قوات خاصة وطائرات حربية تابعة لأطراف متعددة، ما يحتم وجود تنسيق عملياتي في بقعة العمليات المشتركة.

يمكن الإستنتاج من خلال ما تقدم أن التدخل العسكري الروسي في سوريا سيبقى ضمن ضوابط فرضتها العوامل المؤثرة بالأزمة، فروسيا ليست اللاعب الوحيد أو الأقوى على الساحة السورية، فقد بات للحرب السورية ترداداتها الإقليمية وحتى العالمية، وفسيفساء اللاعبين وتعدد المصالح خير برهان على ذلك. إلا أنه ليس مبالغة القول إن الكرملين فرض قواعد جديدة. وما على جميع المعنيين بالأزمة السورية سوى إعادة النظر في حساباتهم. الهدف يبقى إرساء تسوية سياسية مرضية لموسكو، وفتح حوار في شأن الأزمات

الأخرى وعلى رأسها أوكرانيا من أجل فك طوق العقوبات. وهذا هو الثمن الأساس الذي تريده روسيا. يمكنها أن تصبر على ضائقتها كما فعلت طهران التي لم تجد واشنطن في النهاية مفراً من الحوار معها.[441]

3- فعالية الدور الروسي المتجدد في الشرق الأوسط.

إن أهم ما يمكننا ملاحظته في الاستراتيجيّة الروسيّة تجاه منطقة الشرق الاوسط هو أن هذا التوجه نحو دول المنطقة ومساندتها في بعض أزماتها، بل حتى القيام بالتلويح باستخدام حق النقض من أجل تمرير مصالح هذه الدول، أو تلك في مجلس الأمن والأمم المتحدة في مواجهة الولايات المتّحدة، لا يتم إلا كنوع من المساومة من أجل الحصول من الأطراف المتنازعة على أكبر قدر من الفائدة، أو من أجل الضغط بالإتجاه المعاكس في حالة تعرض روسيا لضغوط تمسّ مصالحها الحيويّة بسوء.

عملت روسيا على الإستفادة من القدرات الإقتصادية للمنطقة، إذ ترى موسكو أن هنالك إمكانية لإقامة روابط اقتصادية مع دول المنطقة، وهو ما يمثل ضرورة حيوية لدعم الإقتصاد الروسي. ويرى بعض القادة الروس أن مصالح روسيا الوطنية تتطلب من روسيا أن تسعى إلى تقديم نفسها كبديل من الغرب في المنطقة، وأن هذا المدخل ينبغي ألا يجري في إطار المجابهة السياسية التي سادت فترة الحرب الباردة، فقد كان هذا شرطاً ضرورياً لدخول روسيا منطقة الشرق الأوسط، فضلاً عن ضرورة أن يكون التحرك الروسي والعلاقات القائمة مع دول هذه المنطقة مرسومين وفقاً للأهداف والمصالح الروسية.

أ- مدى ارتباط الدور الروسي بانحسار الدور الأميركي في المنطقة.

إن النظريات السائدة حول تصاعد الدور الروسي عالمياً، ارتبطت بشكل عام بتراجع الدور الأميركي وتقلص نفوذ السياسة الأميركية حول العالم. إلا أنه إذا كان دور الولايات المتحدة قد تراجع في قيادة العالم في بداية رئاسة أوباما الأولى بحجّة الركود الإقتصادي والنتائج "الكارثية" لحرب العراق وأفغانستان، وفي الوقت الذي لا يمكن فيه إنكار وجود مشاكل إقتصادية كبرى تواجه الإقتصاد الأميركي، إلا أن حقيقة الأرقام تثبت بأن هذا الإقتصاد مازال الأكبر في العالم. إن القول ببروز دول وأسواق قادرة على منافسة الإقتصاد الأميركي، هو ضرب من الخيال ولا يمتّ إلى الواقع بصلة. لم يحدث هذا التراجع في الدور الإستراتيجي لأميركا حول العالم بسبب الكساد الذي استمرّ أربع سنوات، إنما يعود السبب الفعلي إلى تراجع مستوى ثقة القيادة الأميركيّة

---

[441] جورج سمعان، " سورية بين «نظرية» بريماكوف و«هجوم» بوتين"، جريدة الحياة، عدد 21 أيلول 2015، الموقع الإلكتروني: http://www.alhayat.com/Opinion/Abdullah-nasser-Al-Othiabi (دخول 10 كانون الأول 2015).

بنفسها وبقدرات أميركا على استعمال ما تمتلكه من عناصر القوة والنفوذ،[442] ومن جهة أخرى يمكن ربط هذا التراجع بالسياسة الأميركية الجديدة الهادفة لتركيز الجهد على منطقة المحيط الهادئ، وهذا ما سمح لموسكو بعودة قوية الى منطقة الشرق الأوسط.

إن تحليل هذه المعطيات يقودنا الى الإستنتاج أنه إذا توفر للولايات المتحدة قيادة سياسية جديدة مغامرة على الطريقة "البوشية"، فإن ذلك سيشكل عائقاً كبيراً أمام استمرار الدور الروسي بفعالية في الشرق الأوسط، مع الأخذ بعين الإعتبار الإمكانيات الهائلة التي ما زالت الولايات المتحدة تتمتع بها على حساب مجموع الدول التي يمكن أن تنافسها على قيادة العالم.

إن اعتماد الولايات المتحدة لسياسة نفض اليدين في منطقة الشرق الأوسط، والتي ظهرت من خلال تعامل واشنطن مع الأزمة السورية، وتعاميها عن الإنقلاب الذي نفّذه الحوثيون ضد الرئيس عبد ربه منصور هادي وحكومته في اليمن، أظهر الموقف كانتصار للسياسة الروسية في المنطقة، حيث توسّعت الفجوة في العلاقات الأميركية – الخليجية بشكل دراماتيكي، وسادت أجواء من الشكوك وعدم الثقة بين الحلفاء التاريخيين. وجاءت "عاصفة الحزم" بمثابة "جرس إنذار" بإمكان تدهور الأوضاع نحو حرب إقليمية بين إيران وتحالف إقليمي بقيادة المملكة العربية السعودية. إلتقطت الإدارة الأميركية الإشارة فدعا الرئيس أوباما إلى قمّة كامب ديفيد، ليقدّم التزامات أميركية جديدة أهمّها الإلتزام بمواجهة أي خطر خارجي على دول الخليج، حيث فسّرت هذه الإلتزامات بأنها موجهة ضد السياسة الإيرانية في المنطقة ومن خلفها الداعم الروسي. ففي كلا الأزمتين السورية واليمنية، تظهر البصمات الإيرانية– الروسية واضحة المعالم في محاولة لتحقيق المزيد من المكاسب. فكيف ستؤثر الإلتزامات الأميركية القديمة الجديدة على الدور الروسي في المنطقة؟[443]

ما الذي يدفع روسيّا إذاً إلى الإهتمام بالشرق الأوسط؟ أين تكمن المصالح؟ وما هي المستجدات التى شجّعت روسيّا على طرق أبواب المنطقة؟ هناك فراغ سياسي دولي نجم عن تراجع الدور الأمريكي في المنطقة لسببين رئيسييّن أحدهما يعود إلى التحوّل في أولويّات الولايات المتحدة الخارجيّة من حيث أوجه الخطر حيث تتّجه إلى التّركيز على شرق أسيّا تحسّباً لإنفجار الصراع المكتوم بينها وبين الصّين، وروسيّا ذاتها، إقتصاديّاً وعسكريّاً ومعهما كوريا الشّمالية، وثانيهما يتعلّق بالوضع في الشرق الأوسط من جهة الفشل الذي منيت به السياسة الأميركيّة في حل قضيّة السلام بين إسرائيل والسلطة الفلسطينيّة بسبب عدم قدرتها على فرض متطلّبات السلام على الحكومات الإسرائيليّة الأخيرة، ومن جهة الإفتقاد للثّقة في السياسة الأميركيّة من جانب

---

[442] نزار عبد القادر، "الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط"، مرجع سبق ذكره.

[443] المرجع السابق.

غالبيّة النظم العربيّة بعد أن تكشّف لها أن الولايات المتّحدة كانت وراء موجات التغيير الأخيرة في دول الربيع العربي والتي لم تؤت ثمارها بل هدّدت دولاً أخرى بتكرار الإضطراب والإنقسام نفسه، وبالمجمل تأكّد للجميع أنّ واشنطن تتدخّل في الشؤون العربيّة الداخليّة على عكس ما تعلن بأنّها بعيدة عن ذلك.

التدخل العسكري الروسي في سوريا لم تتضح معالمه كاملة بعد، لكنه بالتأكيد يندرج في إطار سياسة استراتيجية. إنها خطوة في إطار مشروع قديم. وتطور طبيعي لنهج الرئيس فلاديمير بوتين. لا شك في أن الرئيس الروسي إستفاد من خوف الإدارة الأميركية الحالية، أو اعتكافها وترددها في المبادرة الجدية والمواجهة، ليعزز نفوذه ودوره في أزمتي جورجيا وأوكرانيا أو في أزمات الشرق الأوسط عموماً وسورية خصوصاً.[444]

إن أي عودة أميركية الى منطقة الشرق الأوسط، أكانت مباشرة أو بالواسطة من خلال الحلفاء الإقليميين، لا بد من أن تؤثر سلباً على الدور الروسي في المنطقة، ما سيؤجج الصراع أكثر على ضوء ردّات الفعل الروسية التي من المتوقع أن تتسم بالصلابة، ومن هنا يمكننا فهم سبب نشر روسيا لسرب من طائراتها المقاتلة في سوريا ومشاركتها في العمليات القتالية، في إشارة واضحة لاستعداد القيادة الروسية للدفاع عن مكتسباتها، في ظل شعورها بالقلق من العودة الفاعلة للأميركيين التي تجلّت بتمويل وتسليح وتدريب المعارضة السورية من جهة، ودعم السعودية وقوات التحالف العربي في اليمن من جهة أخرى.

ب– **<u>التدخل الروسي في الشرق الأوسط: معرقل أو قادر على إيجاد الحلول؟</u>**

من المسلّم به في علم العلاقات الدولية، أن زيادة عدد الأطراف الفاعلة في أزمة معينة سيؤدي بالتالي الى صعوبة في إيجاد الحلول الكفيلة بوضع حلول لهذه الأزمة، على ضوء سعي كل طرف للمحافظة على مصالحه.

برغم قوّة الدلائل على بروز الدّور الرّوسي إلّا أن تقويم حقيقة هذا الدّور وحدود فاعليّته يحتّم إدراك عدّة حقائق. من الصحيح أنّ هناك زخماً يحيط بالتحرّكات والمواقف الروسيّة ممّا يجعلها مهمّة وملموسة ولا يتصدّى لها أحد، ولكن طبيعة وشكل هذا الدور لا يخرجان عن نطاق الشريك في توجيه الأحداث وليس الحليف أو اللّاعب الوحيد أو البديل للدّور الأمريكي، وربما إكتسب قدراً عالياً من الإهتمام ولفت الأنظار لكونه يحدث بعد عدّة عقود من العزوف عن المشاركة الإيجابيّة وليس السلبيّة، لأنه لا يصحّ القول أنّ روسيّا منذ سقوط الإتحاد السوفياتي كان دورها مهمّشاً تماماً، وإنما كانت تكتفي بالمشاركة السلبيّة، أيّ التأييد

[444] جورج سمعان، " سورية بين «نظرية» بريماكوف و«هجوم» بوتين"، مرجع سبق ذكره.

الظاهري والتفاعل المحدود مع التطوّرات دون الإنخراط في إتّخاذ القرارات المصيريّة وتحمّل التبعات، وهو بالطبع ما ليس منطبقاً على موقفها في الوقت المعاصر.

من الحقائق التي يجب أخذها في الإعتبار، أنّ روسيّا ليست هي الاتّحاد السوفياتي السابق، بل هي أكبر دولة، ولكن لا وجود لهذا الإتّحاد اليوم، وهي مختلفة عنه إيديولوجياً وليست عدوّة للغرب نظرياً، كما أنّ الحرب الباردة إنتهت ولم يعد العالم منقسماً بين معسكرين شرقي وغربي. من الصّحيح أنّ هناك مؤشّرات على إستعارة أساليب الحرب الباردة كسباق التّسلح والحروب الدعائيّة، ولكن هذا لا يعني عودة العالم إلى معسكرين متعاديين. من ذلك أيضا أنّ العلاقات الروسيّة – الأميركيّة لا تزال في نطاق التّعاون وليس الصّدام، فكلاهما يتجنّب العودة إلى المواجهة.

لم تشأ موسكو أن تواجه واشنطن عسكريّا على خلفيّة إشتعال الموقف حول سوريا إثر تهديد أوباما بعمل عسكري ضدّها. صحيح أن البوارج الروسيّة ذهبت إلى قرب سوريا وكذلك البوارج الأميركيّة، ولكن الموقف تبدل سريعاً ولم تقع المواجهة بعد موافقة النظام السوري على تدمير أسلحته الكيماويّة. كذلك تبدو العلاقات الروسيّة الإسرائيليّة طيّبة ولا يعكّرها الموقف الرّوسي المساند لإيران. ولم تتّخذ موسكو موقفاً مناوئاً لإسرائيل في صراعها مع الفلسطينيين، وهي إحدى أعضاء الرّباعيّة الدوليّة المعنيّة بالسلام بين الجانبين. ومن جهة أخرى إذا كانت روسيّا إحدى الدّول الثماني الصناعيّة الكبرى وإحدى مجموعة العشرين، فإنّ هذا لا يعني أنّها معنيّة إلى حد كبير بالتوجّه الإقتصادي صوب الدول العربية في الشرق الأوسط وإنما بالتوجّه نحو أوروبا خصوصا فيما يتعلّق بتصدير الغاز الروسي وزيادة حركة التجارة والسياحة معها.[445]

إلا أنه من الحقائق التي يجب أخذها بالإعتبار أيضاً، هو الفيتو الروسي في مجلس الأمن، الذي من شأنه منع اتخاذ أي قرار لا يتماشى مع مصالحها، وبالتالي عرقلة أي حل لا يراعي توجهاتها، ولا يكرس دورها كدولة فاعلة قادرة على فرض أجندتها الخاصة. إضافة الى ذلك، ما زالت القدرات العسكرية الروسية الكبيرة تمكن موسكو من لعب دوراً فاعلاً في الأزمات الإقليمية القريبة والبعيدة، ما يساهم كذلك في حماية المصالح الروسية، عبر تقديم الدعم للحلفاء أو بالتدخل المباشر، هذا وإن القدرات العسكرية الهائلة معطوفة على القدرات النووية الكبيرة ما زالت تسمح لروسيا بالتأثير في مجرى الأحداث، وهذا ما يحصل حالياً في سوريا.

إن العودة الروسية القوية الى الشرق الأوسط ساهمت في فرملة الحلول التي تصب في مصالح الغرب عامة، وهذا ما أدى، وبسبب عودة الصراع الروسي الغربي على المصالح في هذه المنطقة، الى تفاقم بعض الأزمات ربما، حيث شكل الشرق الأوسط أحد حلبات الصراع في محاولة السعي لتكوين نظام عالمي جديد.

---

[445] عبد العاطي محمّد، مرجع سبق ذكره.

الخاتمة.

يشير التاريخ الى أن السياسة تصنع بالشعوب أولاً وليس بالجغرافيا فقط. فالدولة العظمى عبر التاريخ تتكون بمشاركة شعبها في صناعة القوة. من المرجح أن الإستراتيجيين الغربيين، وعلى رأسهم الأميركيين، قد أخطأوا عندما سقط من حساباتهم عامل الشعب أثناء دراستهم لإستراتيجية السيطرة على روسيا. إذا تمثلت الإستراتيجية بحساب الأهداف والمفاهيم والموارد لخلق ظروف أفضل ضمن حدود مقبولة المخاطر، إلا أن الإستراتيجية الجيدة تنبع من فهم طبيعة البيئة من أجل توفير أفضل الإحتمالات لتحقيق أهداف السياسة.[446] لذلك على الإستراتيجيين أن يفهموا طبيعة البيئة التي سيتم فيها تطبيق الإستراتيجية التي يقومون بصياغتها،[447] كما عليهم فهم السلوك العام لهذه البيئة على مرّ الزمن، والذي يصنّف كأحد عوامل الإستمرارية عبر التاريخ.

تسعى عوامل الإستمرارية الى ترسيخ نفسها، وليس هناك سوى القليل من الإستراتيجيين الذين يدرسون بدقة دور الظواهر والعوامل التي تتسم بالإستمرارية، فعلى سبيل المثال، مع إنهيار الإتحاد السوفياتي كان تركيز الإستراتيجيين على وعود الرأسمالية والليبرالية والعولمة، وتجاهلوا الإنعكاسات المحتملة لظهور عوامل الإستمرار في روسيا والمتمثلة بالقومية والدين،[448] هذان العاملان اللذان شكلا رافعة بعث الدولة الروسية الجديدة مع بوتين.

وتعد القيادة السياسيّة المسيطرة على السلطة، إحدى المحددات المهمة في تبنّي الدولة للنهج السياسي الخارجي، فنوعية القيادة السياسيّة هذه في روسيا الاتّحادية، تترك أثرها بشكل كبير على مستوى الإرادة والعمل. إستيقظت روسيا البوتينية استراتيجياً في عام 2000 بعد أن مرت بمرحلة إنتقاليّة صعبة من الشيوعيّة إلى الدولة الوطنية المنفتحة على الغرب والرأسمالية ويظهر أن شخصية بوتين ساعدته في لملمة أشلاء الجسد السوفياتي المنهار لإعادة بناء روسيا المعاصرة كخليفة طبيعية لروسيا السوفياتية. ورغم الطبيعة السلطوية والتوتاليتارية لشخصيّة بوتين وللحكومة الروسيّة الحالية التي يقودها، إلا أن سياسات الخارجيّة قد فتحت آفاقاً كبيرة لروسيا في إعادة ترتيب أوراقها الاستراتيجيّة وتجديد تحالفاتها العسكريّة والاقتصاديّة.

إن سرعة استعادة روسيا لنفسها إقتصادياً ودولياً، ومحافظتها على جزء مهم من ترسانتها النووية الإستراتيجية، أسهم في تعزيز دورها وعودتها الى الساحة الدولية، من باب الدول الكبرى التي تمتلك موارد

---

[446] هاري ياغر، مرجع سبق ذكره، ص 73.

[447] Robert Cooper, The Breaking of Nations: Order and Chaos in the 21st Century (New York: Atlantic Monthly press, 2003) 5.

[448] هاري ياغر، مرجع سبق ذكره، ص 76.

وقدرات وإمكانيات تؤهلها لتكون لاعباً جيوستراتيجياً فاعلاً ومؤثراُ في العلاقات الدولية ضمن المنظومة العالمية الحالية، من دون المواجهة مع الولايات المتحدة الأميركية، إنما بالمحافظة على مصالحها في المدى الجيوسياسي الذي ترتبط فيه هذه المصالح. هذا ما جعلها تعيد تقييم إستراتيجيتها السياسية والعسكرية لتتواءم مع عالم اليوم، حيث المنافسة وصراع الدول الكبرى يهيمنان على العالم.

على الرغم من إن ميزان ومكانة روسيا تتقدم بشكل مضطرد، إلا أن ذلك لا يمنع من تدهورها في المستقبل، الأمر الذي يعني تراجعها وانكفائها على نفسها على حساب مكانتها ودورها الإقليمي والدولي. بالرغم من نمو قدراتها، إلا أنها ستعاني من مشاكل مستقبليّة عديدة أبرزها نقاط الضعف المتجسد بالإقتصاد بالدرجة الأولى، وإرتفاع معدلات البطالة، وإنتشار الجريمة المنظمة، بالإضافة الى ضعف الإنتاج العسكري نتيجة التقليص السريع في حجم المؤسسات الصناعية العسكرية، وتحول العديد منها إلى الإنتاج المدني سبيلاً للتكيف مع طبيعة المرحلة الجديدة. كذلك انخفاض نسبة السكّان مقارنة مع مساحتها الجغرافيّة الكبيرة، كما أنها تعاني من إزدياد الهجمات العنصرية بين طوائفها.[449]

السياسة التي ينتهجها الرئيس الروسي فيلاديمير بوتين أحدثت تحولاً دراماتيكيا نحو الحزم السياسي في ظل تحديها للنظام العالمي القائم. بالرغم من التحديات التي تواجهها روسيا، إلا أن القيادة الروسية الحالية لن تتنازل بسهولة عما يمكن إعتباره ثروات سياسية، على الأقل بدون مقابل مناسب من قبل الغرب.

لا ريب أن مشاركة روسيا في ممارسة دور فاعل في تنظيم الشراكات الإستراتيجية والأحلاف قد جعل من السياسة الروسية قاعدة الثقل والتوازن في صناعة القرار الدولي. ويعني ذلك ببساطة إمكان الوصول الى تسويات للنزاعات الصغرى والصراعات المحدودة والقضايا المعقدة مما يضمن قيام النظام العالمي الجديد الذي يضمن للدول الكبرى مصالحها بشكل متوازن مع عدم اهمال مصالح الدول الاخرى.

ولقد تعرضت السياسات الروسية لانتقادات قاسية بحجة التحولات الروسية الكبرى في التعامل مع الغرب والولايات المتحدة الاميركية. ويظهر ذلك حقيقتين: أولاهما أن روسيا تمارس دور الدولة العظمى التي تضع مصالحها في مقدمة متطلبات الشراكات الإستراتيجية، والثانية أن روسيا لا تتخلى عن التزاماتها الدولية في التعامل مع بقية دول العالم على ان تلتزم هذه الدول بقرارات الشرعية الدولية ومتطلبات الشراكات الدولية.[450]

---

[449] عطارد عبد الحميد، مستقبل منظومة التعاون الاقليمي لدول جنوب شرق اسيا مكانتها في البيئة الاقليمية، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، بغداد، 2009، ص 96.

[450] بسام العسلي، "روسيا المستقبل والسياسات الدولية"، مجلة الدفاع العربي، دار الصياد، بيروت، الموقع الإلكتروني: arabdefencejournal.com/article.php?categoryID=9&articleID=636 (دخول 22 كانون الأول 2015).

تشهد منطقة الشرق الأوسط، في ظل نظام دولي لم تتضح معالمه بعد، وتحت وطأة إنقسامات متباينة أزاء العديد من القضايا الدولية وعلى رأسها الأزمة السورية، تنافساً حاداً بين الإستراتيجيات المتناقضة لكل من الولايات المتحدة والصين وروسيا، قد يصل إلى حد إستخدام القوة العسكرية، ضد هذه الدولة أو تلك، تحقيقاً للمصالح ومنعاً للأطراف الأخرى من تحقيق أي تقدم سياسي أو إقتصادي، وذلك كما حصل في ليبيا.

تُعتبر معارك مجلس الأمن حول أزمات الشرق الأوسط بين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة وروسيا والصين من جهة أخرى إحدى أوجه الصراع العالمي، حيث فشلت المحاولات الاميركية إزاء الفيتو الروسي الصيني المزدوج عدة مرات في وضع الرؤية الأميركية للحل موضع التنفيذ.

إلا أن هذا لا يعني أن الحل في الشرق الأوسط بالنسبة لروسيا لا يجب أن يعبر من خلال مجلس الأمن الدولي، إذ أن هذا الحل بالنسبة لموسكو لا بد أن يتم من خلال الإطار القانون الدولي، إذ أن أي إجراء لحل الأزمة السورية من خارج إطار مجلس الأمن الدولي يشكل خطراً على روسيا بذاتها، خاصة لجهة وجود نزعات إنفصالية في بعض جمهوريات الإتحاد المطالبة بالإنفصال عنها، وحتى لا تعتبر موافقتها على حل الأزمة السورية خارج إطار مجلس الأمن سابقة تسمح بفرض حلول مماثلة في هذه الجمهوريات. لذلك فإن روسيا تسعى لإيجاد حل للأزمة السورية من خلال المجلس المذكور، وبدعم صيني لافت كونها تعاني من نفس الوضع في التيبت وفي بعض المناطق التي تحوي إنفصاليين إسلاميين. ويمكن وضع التدخل الروسي العسكري المباشر في سرويا ضمن هذا الإطار، بغية حجز مكان لها، وبدعم صيني، لضمان تدخلها من ضمن مجلس الأمن في حلّ النزاع السوري بما يضع حد للسياسات القديمة التي استخدمت في كل من يوغوسلافيا والعراق. هذه الصورة لآليات الصراع تفسح في المجال أمام رؤية جانب من عملية تشكل النظام العالمي الجديد على أرضية الصراع على النفوذ العسكري وعلى أرضية السيطرة على مصادر الطاقة وفي مقدمها الغاز.

تعتبر روسيا أن الولايات المتحدة تسعى لركوب حركة التحول في سوريا وغيرها من دول عربية واستغلال شعار مكافحة الإرهاب في دول آسيوية عدة، من أجل ببسط نفوذها السياسي والعسكري. لذلك تريد روسيا أن تؤكد أن لا حل في سوريا من دونها، ما يؤدي الى رسم حقائق جديدة في العلاقات الدولية، وهذا ما يشير إلى دخول العلاقات الدولية في منعطف مفصلي، لا يُعرف حتى الآن إن كان ذلك يعني بدء غروب الأحادية الأميركية للعالم أو لا.[451]

---

[451] محمد سيد رصاص، المواجهة مستمرة فوق الحلبة السورية، جريدة الأخبار، العدد 1690، لبنان، 2012/4/23.

أدركت روسيا أن نقطة إرتكاز نجاحها قائمة على السيطرة على مصادر الطاقة، لذلك نحت نحو إرساء نظام اقتصادي وتجاري يقوم على التبادل التجاري ولا سيما العسكري مع الدول الحليفة والصديقة في منطقة الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وآسيا، بما يساعد على إنعاش الاقتصاد الروسي بشكل كبير. وعملت موسكو على وضع إستراتيجية سعت من خلالها إلى صيانة مصالحها والحفاظ عليها خاصة في الشرق الأوسط، وتمثلت أولى ملامح تلك الإستراتيجية في محاولة إنهاك قوة ونفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة من خلال مزاحمتها في القضايا الشائكة.

يوم الأحد في 5 شباط 2012، قال وزير الخارجية الأميركي السابق هنري كيسنجر: "إن نذر الحرب العالمية الثالثة بدت في الأفق وطرفاها هم الولايات المتحدة من جهة والصين وروسيا من جهة أخرى".[452] فهل تؤشر أوجه الصراع العالمي الحالية إلى عودة الحرب الباردة؟ وهل ستكون منطقة الشرق الأوسط إحدى مناطق هذا الصراع؟ وهل سيتولى رئاسة الدولة الروسيّة مستقبلاً شخص ينظر إلى دور روسيا الاتّحادية من منظور الدور "البوتيني"، أم سينظر إلى الدور الروسي من منظور الشريك التابع للغرب وأميركا، كما كان الحال مع الرئيس يلتسن؟[453] وأخيراً هل ستتمكن روسيا من مواجهة العقوبات الغربية عليها وتقلّبات سوق الطاقة المستمرة، في ضوء الخسائر الإقتصادية الكبيرة التي منيت بها، ووصول الروبل الى أدنى مستويات له مقابل الدولار الأميركي؟

[452] عمر نجيب، الصراع الأميركي الروسي هل هي عودة إلى الحرب الباردة؟ الموقع الإلكتروني: http://www.alarab.co.uk، (دخول 23 كانون الأول 2015).
[453] عاطف عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، مرجع سبق ذكره، ص 130.

الملاحق

الملحق رقم 1:

خريطة جورجيا وإقليمي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية [454]

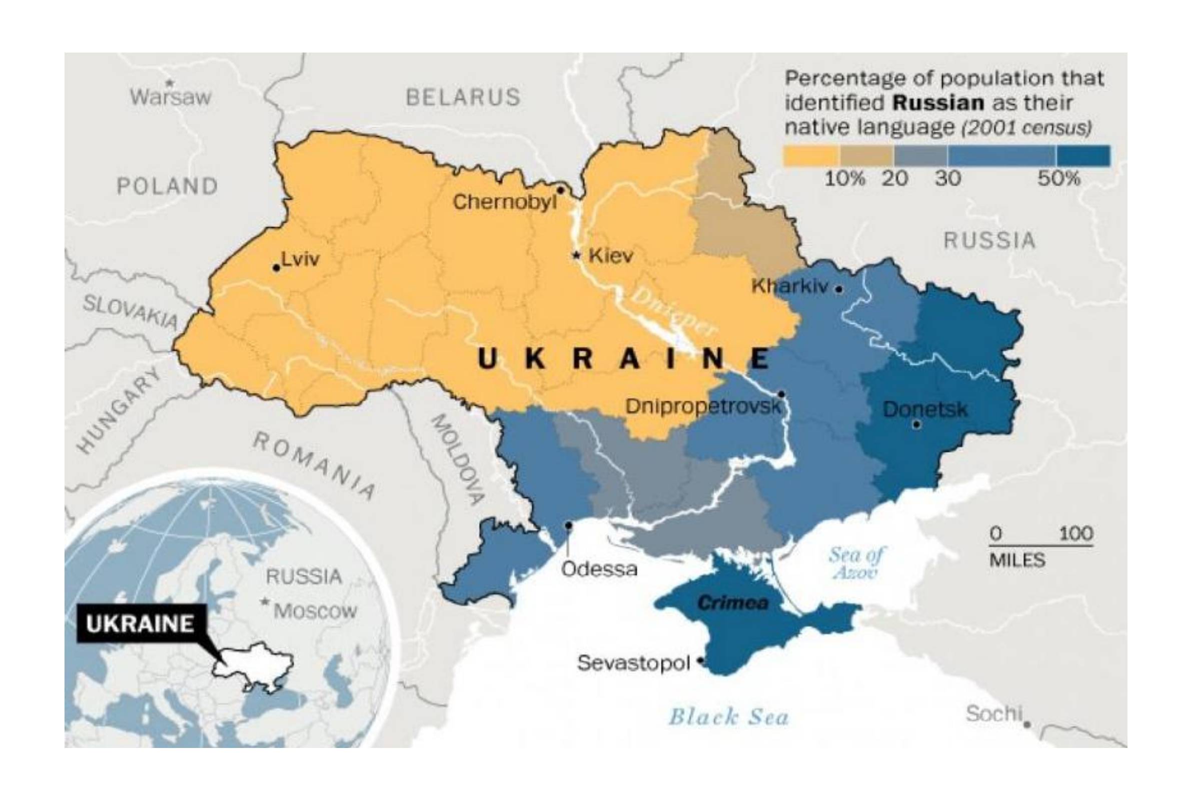


---

[454] Independent International Fact-Finding Mission on the Conflict in Georgia, Report, Vol 2, (September 2009).

الملحق رقم 2:

خريطة أوكرانيا [455]



455 The Washington Post, http://www.washingtonpost.com/blogs/worldviews/wp/2014/01/30/9 (accessed 24 Feb, 2016).

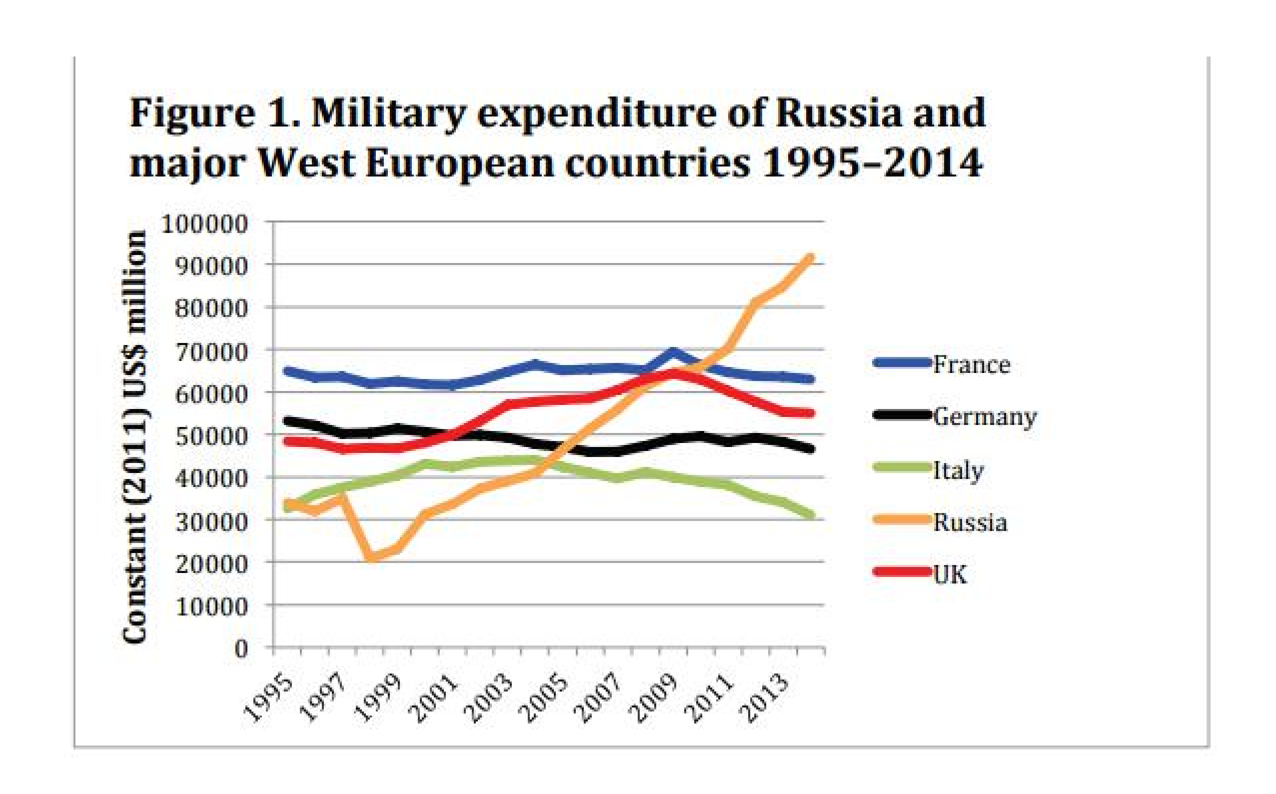
الملحق رقم 3:

خريطة الشرق الأوسط



الملحق رقم 4:

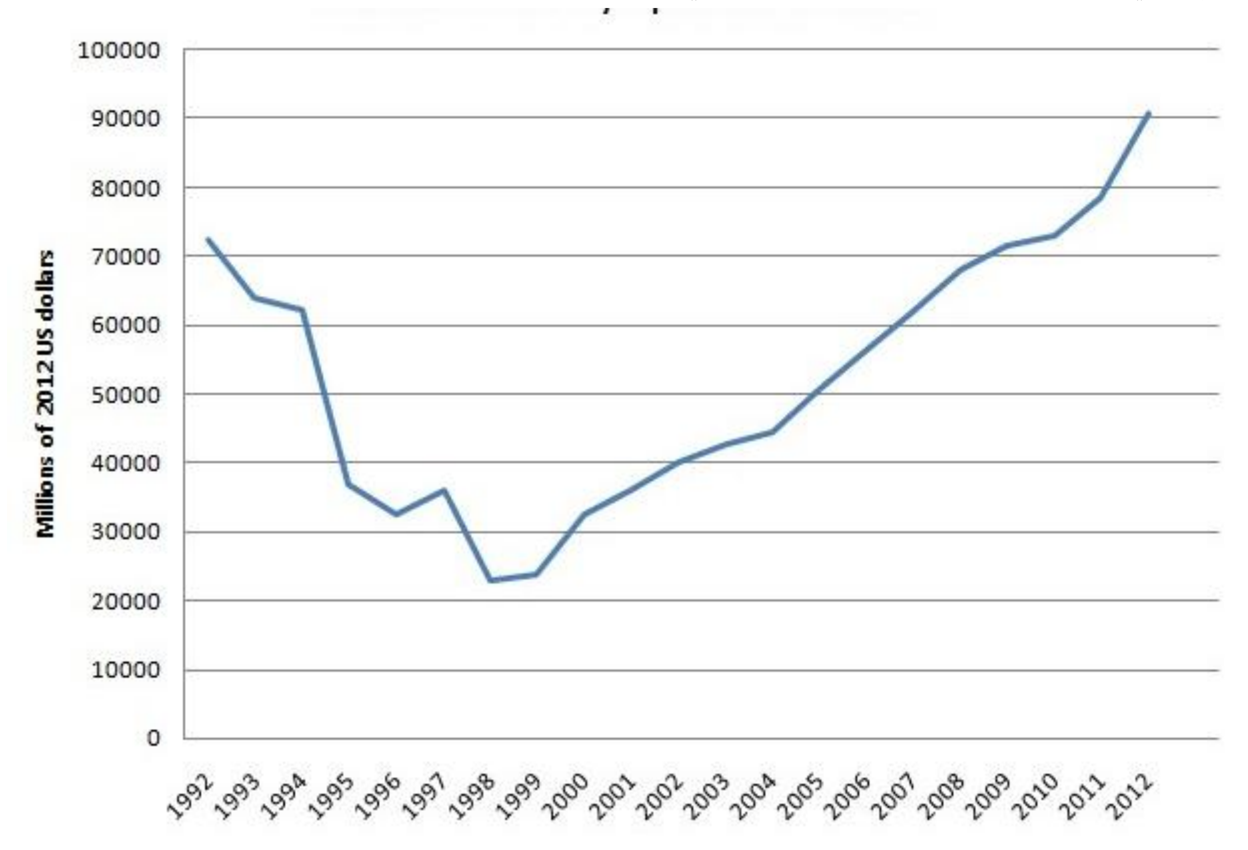
رسم بياني يظهر الإنفاق العسكري في روسيا ودول غرب أوروبا الأساسية 1995–2014 [456]



[456] الموقع الإلكتروني:
https://www.google.com/search?q=russian+military+expenditures&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi4yvryIM_LAhWCtxoKHSwJAJUQsAQIMQ&biw=1366&bih=641#imgrc=dBftp1B4264TZM%3A (دخول 20 شباط 2016).

الملحق رقم 5:

رسم بياني يظهر تطور الإنفاق العسكري الروسي ما بين 1992 و2012[457]



---

[457] الموقع الإلكتروني:

https://www.google.com/search?q=russian+military+expenditures&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi4yvryIM_LAhWCtxoKHSwJAJUQsAQIMQ&biw=1366&bih=641#imgrc=qC6Jy5db-epOVM%3A (دخول 21 شباط 2016).

الملحق رقم 6:

خريطة مشروع شبكة Tap لنقل الغاز والنفط [458]



---

[458] الموقع الإلكتروني: http://www.tap-ag.com/the-pipeline (دخول 22 شباط 2016).

الملحق رقم 7:

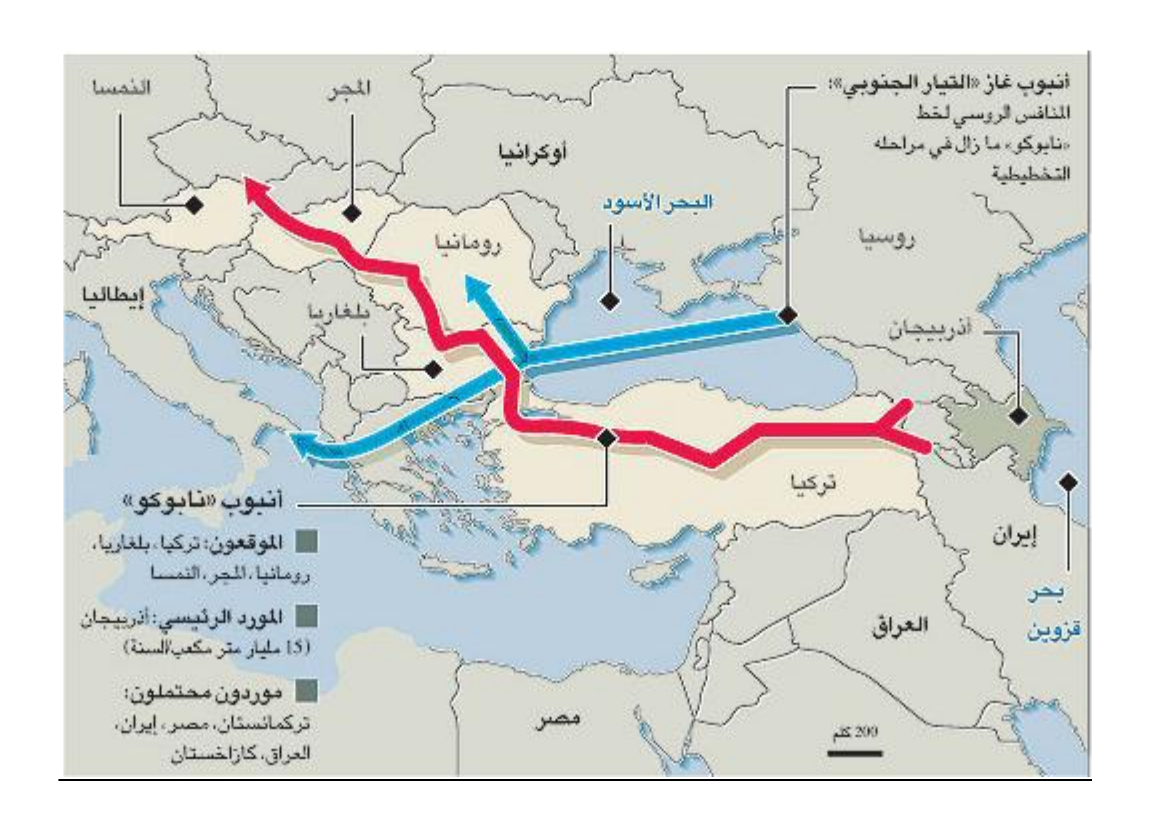
خريطة مشروع شبكة أنابيب نابوكو[459]



[459] Judy Dempsey, "Victory for Russia As the EU's Nabucco Gas Project Collapses", in Carnegie Europe, July2013, http://carnegieeurope.eu/strategiceurope/?fa=52246 (accessed December 14, 2015)

الملحق رقم 8:

خارطة مشروع خط أنابيب نابوكو وخط غاز التيار الجنوبي[460]



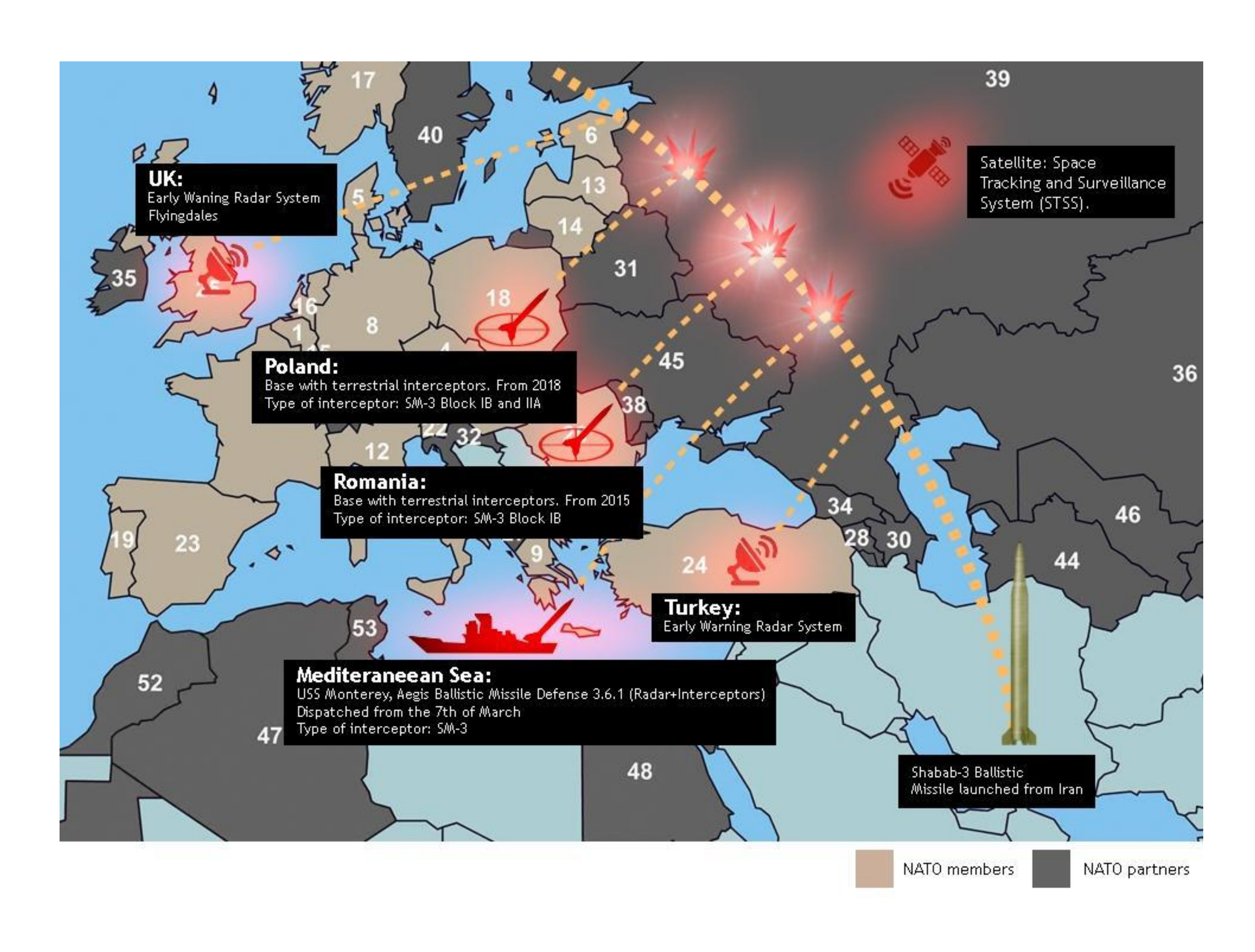
---

[460] الموقع الإلكتروني:

https://www.google.com/search?q=%D9%86%D8%A7%D8%A8%D9%88%D9%83%D9%88&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi5ibqT1M7LAhWFChoKHfPLBEUQsAQIHA&biw=1366&bih=596#imgdii=yEZyUYyY4yzUoM%3A%3ByEZyUYyY4yzUoM%3A%3BndzVAyjLQzIiJM%3A&imgrc=yEZyUYyY4yzUoM%3A (دخول 20 شباط 2016).

الملحق رقم 9:

خارطة إنتشار الدرع الصاروخي الأميركي [461]



---

[461] الموقع الإلكتروني:

https://www.google.com/search?q=United+States+missile+defense&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwii0M2Gz87LAhXGd5oKHb8nA64QsAQIMA&biw=1366&bih=641#imgdii=1ZIkE5Hnfh9fcM%3A%3B1ZIkE5Hnfh9fcM%3A%3Bk4Cyww4jISMPQM%3A&imgrc=1ZIkE5Hnfh9fcM%3A (دخول 20 شباط 2016).

الملحق رقم 10:

توسيع حلف شمال الأطلسي (NATO)[462]



---

[462] الموقع الإلكتروني:

https://www.google.com/search?q=United+States+missile+defense&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwii0M2Gz87LAhXGd5oKHb8nA64QsAQIMA&biw=1366&bih=641#imgdii=1ZlkE5Hnfh9fcM%3A%3B1ZlkE5Hnfh9fcM%3A%3Bk4Cyww4jISMPQM%3A&imgrc=1ZlkE5Hnfh9fcM%3A (دخول 20 شباط 2016).

الملحق رقم 11:

توسيع حلف شمال الأطلسي ما بين 1990 و2009.[463]



[463] الموقع الإلكتروني:

https://www.google.com/search?q=nato+expansion+russia&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwiP4Zfn2c7LAhXJCBoKHXrDDcEQsAQIHA&biw=1366&bih=641#imgrc=LluL657byXXzHM%3A (دخول 20 شباط 2016).

الملحق رقم 12:

خارطة تظهر تواجد قواعد NATO حول روسيا لغاية العام 2008.[464]



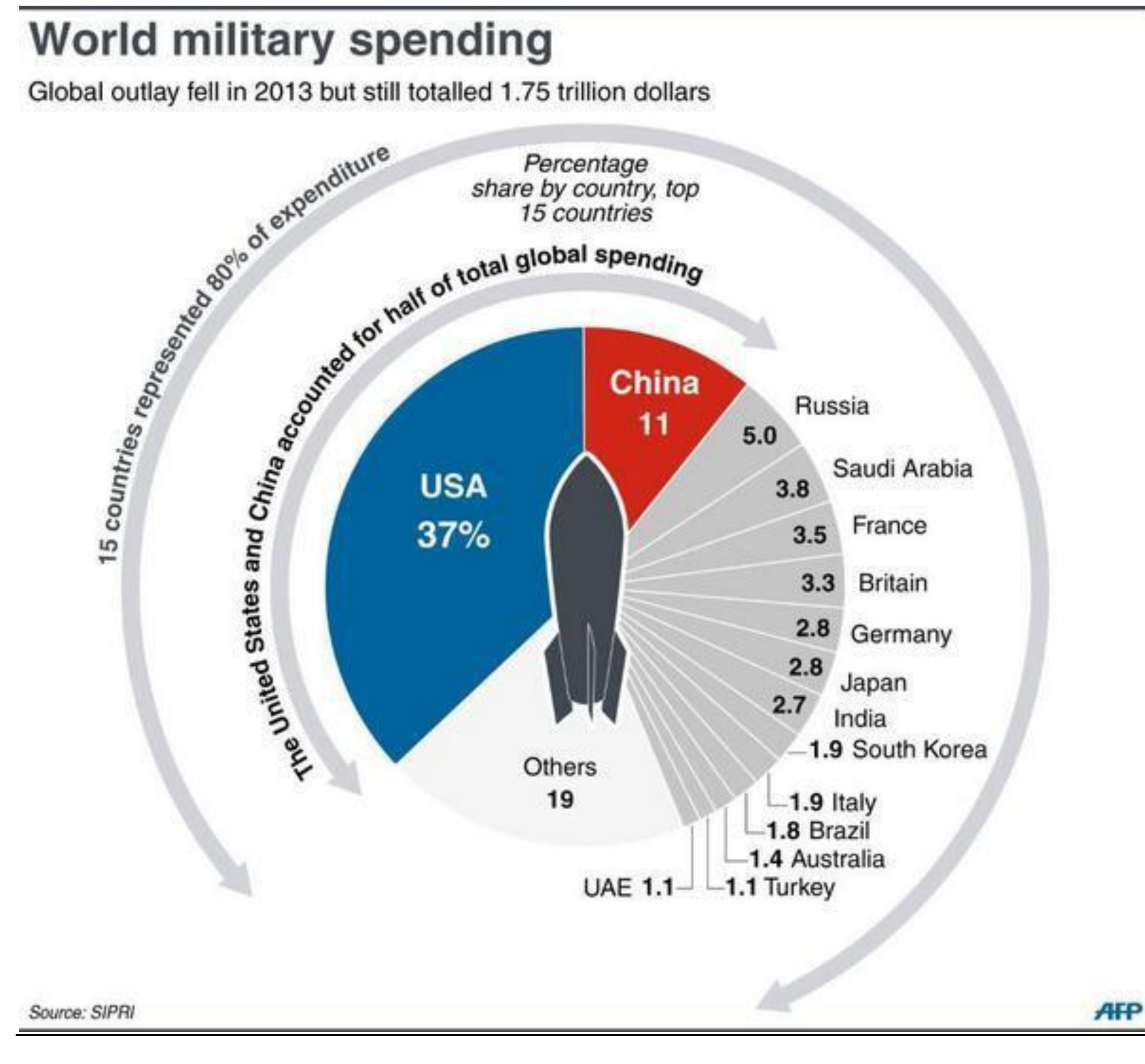
---

[464] الموقع الإلكتروني:

https://www.google.com/search?q=nato+expansion+russia&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwiP4Zfn2c7LAhXJCBoKHXrDDcEQsAQIHA&biw=1366&bih=641#imgdii=LIuL657byXXzHM%3A%3BLIuL657byXXzHM%3A%3B3Iq4i5OJvoxK1M%3A&imgrc=LIuL657byXXzHM%3A (دخول 20 شباط 2016).

الملحق رقم 13:

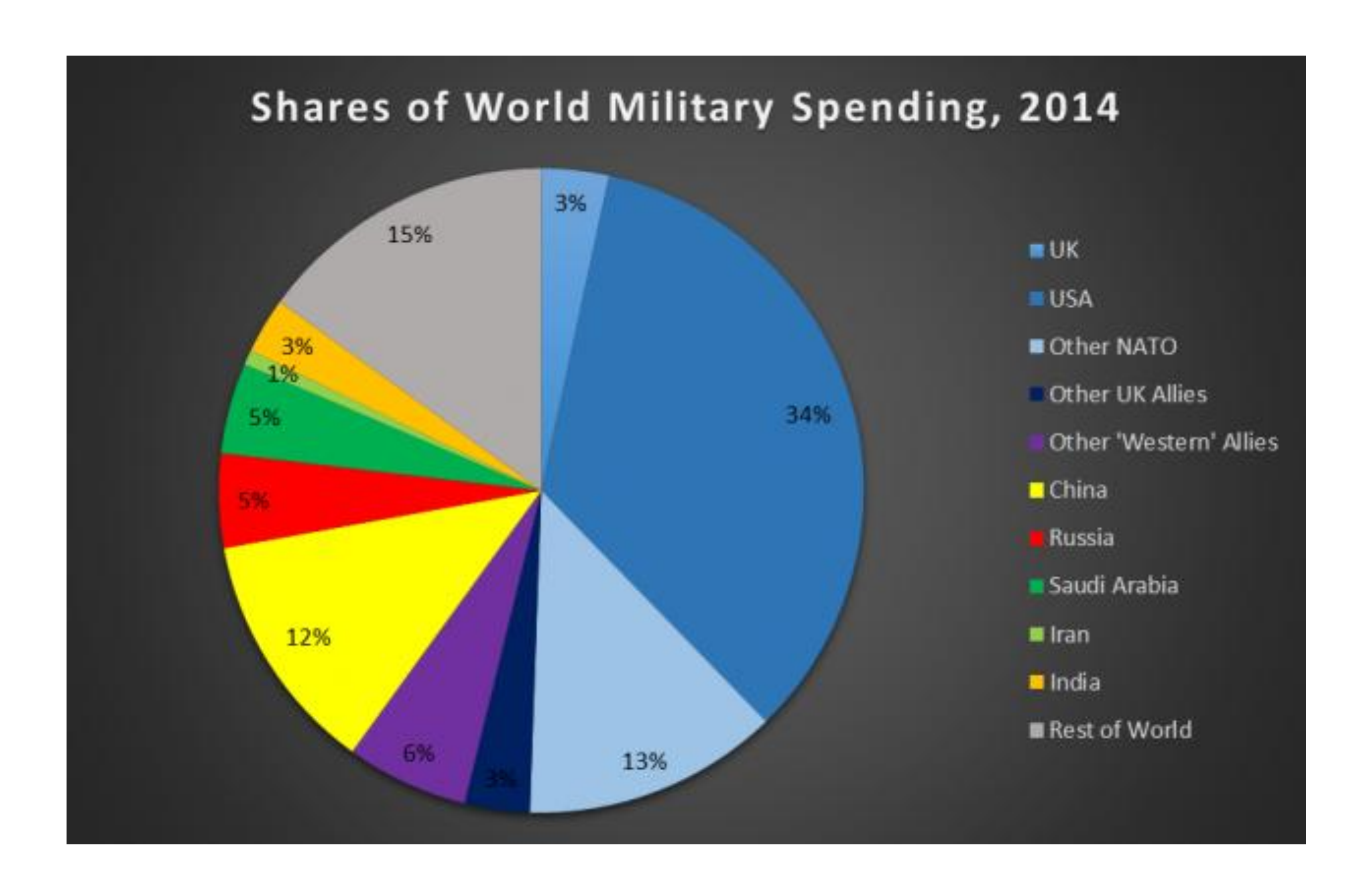
الإنفاق العسكري العالمي للعام 2013.[465]



[465] الموقع الإلكتروني:
https://www.google.com/search?q=russian+military+expenditures&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi4yvrylM_LAhWCtxoKHSwJAJUQsAQIMQ&biw=1366&bih=641#imgrc=9m2GLLa-58QgOM%3A (دخول 23 شباط 2016).

الملحق رقم 14:

الإنفاق العسكري العالمي للعام 2014.[466]

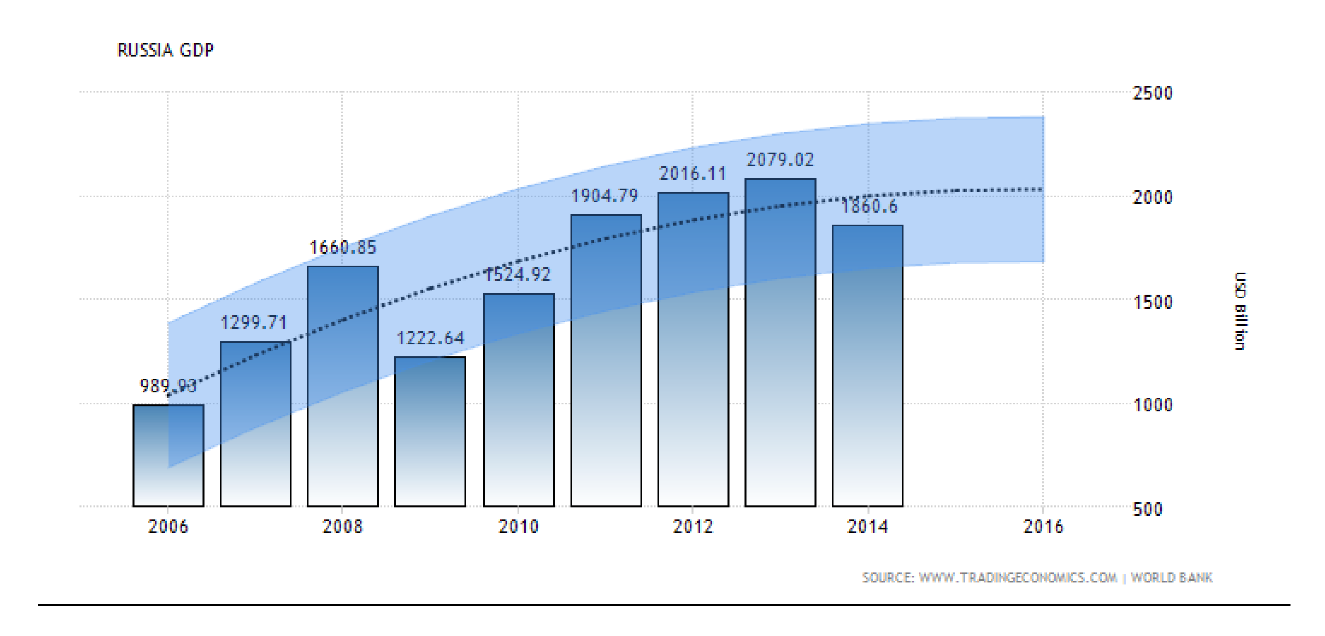


[466] الموقع الإلكتروني:

https://www.google.com/search?q=russian+military+expenditures&rlz=1T4TSNP_enLB500LB50 1&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi4yvryIM_LAhWCtxoKHSwJAJUQsAQIM Q&biw=1366&bih=641#imgrc=3IB2BI80BMggeM%3A (دخول 22 شباط 2016).

الملحق رقم 15:

رسم بياني يظهر تطور الناتج القومي الروسي من العام 2006 لغاية العام 2014 والمتوقع للعام 2016.[467]



---

[467] الموقع الإلكتروني: http://www.tradingeconomics.com/russia/gdp/forecast (دخول 14 آذار 2016).

المراجع

أولاً: الكتب باللغة العربية

- أبو النور، محمد، روسيا في مطلع القرن الحادي والعشرين: القضايا والآفاق في آفاق التحولات الدولية المعاصرة، تحرير وليد عبد الحي، دار الشروق، عمان، 2002.
- الإمارة، لمى مضر، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، طبعة أولى، بيروت، 2009.
- الإمارة، لمى مضر، روسيا الإتحادية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، الإمارات العربية، 2005.
- الأمارة، لمى، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009 .
- أوغلو، أحمد داود ، العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010.
- بلاتونوف، أندريه، إكليل الشوك الروسي: التاريخ السري للماسونية 1731– 1996، ترجمة مازن نفاع، دار علاء الدين، دمشق، 2006.
- جوني، علي، "روسيا : يلتسن والتحديات الجديدة"، مجلة شؤون الأوسط العدد 23، تشرين أول 1992.
- الحاج، علي، سياسات الإتحاد الأوروبي في المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 2005.
- حسين، أحمد سيد، دور القيادة السياسية في إعادة بناء الدولة (روسيا في عهد بوتين)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2015.
- حسين، فوزي حسن ، الصين واليابان ومقومات القطبية العالمية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2009.
- حقي توفيق، سعد، العلاقات العربية الدولية في مطلع القرن الحادي والعشرين، دار وائل، الطبعة الأولى، عمان، 2003.
- خولي، معمر فيصل، اللعلاقات التركية– الروسية، من إرث الماضي الى آفاق المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة وبيروت، الطبعة الأولى، 2014.
- دوغين، ألكسندر، أسس الجيوبولتيكا "مستقبل روسيا الجيوبولتيكي"، ترجمة : عماد حاتم، ط1، دار كتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004.
- زكي، صلاح، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995.
- زيدان، ناصر، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013.
- زيوغانوف، غينادي، روسيا والعالم المعاصر، ترجمة عدنان جاموس، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1996.
- سلامة، سلامة وآخرون، الشرق أوسطية: هل هي الخيار الوحيد، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1995.
- سيليرييه، بيير، الجغرافية السياسية والجغرافيا الستراتيجية، ترجمة أحمد عبد الكريم، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1988.
- شحاتة، رضا، "اتجاهات السياسة الخارجية الأميركية نحو روسيا المعاصرة"، في الإمبراطورية الأميركية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2002.
- الشحف، حاتم، العلاقات الروسية الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 2005.

- الشحف، فريد، العلاقات الروسية – الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس، دار الطليعة، دمشق، 2005.
- الشيخ، نورهان، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، لبنان، نيسان 1998.
- شيفتسوفا، ليليا، روسيا بوتين، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2006.
- صبح، علي، النزاعات الإقليمية في نصف قرن (1945–1995)، دار المنهل اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.
- الطائي، طارق ذنون، "العلاقات الأميركية الروسية بعد الحرب الباردة"، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بغداد وبيروت، دون طبعة، 2012.
- عبد الحميد، عاطف، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، طبعة الأولى، 2009.
- عبد ربه، أحمد، مستقبل التغيير في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2013.
- قبيسي، هادي، السياسة الخارجية الأميركية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، لبنان، 2008.
- كلير، مايكل، الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات الدولية، ترجمة عدنان حسن، دار الكتاب العربي، بيروت، 2002.
- كلير، مايكل، دم ونفط: أخطار ونتائج إعتماد أميركا المتزايد على النفط، تعريب هيثم جلال غانم، دار الشروق، عمان، 2007.
- لاكور، والتر، الإتحاد السوفياتي والشرق الأوسط، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1959.
- المجدوب، محمد، "الوسيط في القانون الدولي العام"، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1999.
- المعايعة، محمد، التغيير في الوطن العربي أي حصيلة؟، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2013.
- نوفل، ميشال، "القوقاز ومستقبل روسيا"، مجلة شؤون الأوسط، العدد 37، كانون الثاني 1995.
- هويدي، أمين، في السياسة والأمن، معهدالإنماءالعربي– برنامج الدراسات الإستراتيجية، بيروت، الطبعة الأولى، 1982.
- يارغر، هاري، الإستراتيجية ومحترفو الأمن القومي، ترجمة راجح علي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، الطبعة الأولى،2011.

ثانياً: مقالات إلكترونية

- " 15% زيادة في صادرات الأسلحة الروسية منذ يناير"، الموقع الإلكتروني: http://www.alriyadh.com/846768
- " تعويم أسعار الفائدة أحدث خطوات الصين لتحفيز اقتصادها"، الخليج أونلاين، 23 تشرين الأول 2015، الموقع الإلكتروني:/http://alkhaleejonline.net/articles (دخول 30 تشرين أول 2015).
- " ريابكوف، منافسو روسيا في سوق الأسلحة العالمية يمارسون الإبتزاز السياسي"، سبوتنيك نيوز، 10تشرين أول 2015، الموقع الإلكتروني: http://arabic.sputniknews.com/russia/20150909/1015547724.html#ixzz3oBaoOhYF (دخول 12 تشرين أول 2015).

- " زيادة ميزانية الدفاع في الصين لتبلغ 145 مليار دولار"، بي بي سي، 2015/03/04، الموقع الإلكتروني: http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2015/03/150304_china_military_budget_increases (دخول 21 كانون الأول 2015).
- "سفن حربية روسية تشارك في مكافحة القرصنة في خليج عدن"، وكالة أنباء البحرين، الموقع الإلكتروني: http://www.bna.bh/portal/mobile/news/470069 (دخول 15 كانون الأول 2015).
- "أردوغان: موقف روسيا والصين من الأزمة السورية يسمح باستمرار القتل هناك دون هوادة"، موقع سيريانيوز، 2012/09/28، الموقع الإلكتروني: /http://www.syria-news.com (دخول 17 كانون الأول 2015).
- "البرازيل والولايات المتحدة تتجاوزان خلاف التجسس ولكن علاقاتهما لازالت متباعدة"، الموقع الإخباري العربي، 2015/04/09، الموقع الإلكتروني: http://arabic.news.cn/world/2015-04/09/c_134137185.htm (دخول 12 تشرين أول 2015).
- "الثابت والمتغير في سياسة أميركا تجاه الشرق الأوسط بعد الربيع العربي"، جريدة العرب اللندنية، عدد 6 أيار 2014، الصباح نيوز، الموقع الإلكتروني: /http://www.assabahnews.tn/article (دخول 13 كانون الأول 2015).
- "السعودية والإمارات من بين أكثر الدول تسلحا"، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/news/international/2014/3/17 (دخول 02 تشرين الثاني 2015).
- "العلاقات الروسيّة الهنديّة"، وكالة الأخبار الاسلاميّة (نبأ)، الموقع الإلكتروني: http://www.islamcnews.net/Common/ViewItem.asp?DocID=49875&TypeID=2&ItemID=322 (دخول 16 تشرين أول 2015).
- "الكونغرس الأمريكي يقر موازنة 2016 بقيمة 3.871 تريليونات دولار"، آر تي (Russia TV)، نقلاً عن وكالة أ ف ب تاريخ 2015/05/06، الموقع الإلكتروني: -https://arabic.rt.com/news/782118 (دخول 20 كانون الأول 2015).
- "النزاع وصراع المصالح بين الولايات المتحدة، روسيا، أوروبا الغربية"، منتدى الدراسات والبحوث السياسية، تشرين ثاني 2009، الموقع الإلكتروني: http://press-is.yoo7.com/t102-topic أنظر أيضاً: "ما هي مخططات الاستراتيجية الروسية في العالم؟"، الموقع الإلكتروني:https://www.aljaml.com (دخول 10 تشرين أول 2015).
- "اليكم الدول المصدرة للاسلحة في العالم"، الموقع الإلكتروني: http://www.annahar.com/article/221538 (دخول 12 كانون الأول 2015).
- "بوتين يعتبر أن الاقتصاد الروسي تخطى "ذروة" صعوباته"، euronews، الموقع الإلكتروني: http://arabic.euronews.com/2015/04/16/putin-swats-down-russian-worries-on-annual-televised-call-in/ (دخول 13 تشرين الأول 2015).
- "زيادة حجم موازنة الدفاع الروسية بشكل كبير على حساب التعليم"، الأيام نت، العدد 8850 الأربعاء 3 يوليو 2013 الموقع الإلكتروني: http://www.alayam.com/online/international (دخول 20 كانون الأول 2015).
- "مجموعة السبع: رفع العقوبات عن روسيا بشروط والأخيرة تحاول المناورة بين أوبك وإيران"، موقع وكالة النبأ، الموقع الإلكتروني: http://n.annabaa.org/news98 (دخول 12 تشرين أول 2015).
- "مشاريع روسية- إيرانية بـ 40 بليون دولار"، جريدة الحياة، الخميس، 22 تشرين الأول 2015، الموقع الإلكتروني: http://www.alhayat.com/Articles (دخول 10 كانون الأول 2015).
- "مقتطفات من استراتيجيه الأمن القومي لروسيا الاتحادية حتى عام 2020"، مركز صقر للدراسات الإستراتيجية، الموقع الإلكتروني: http://www.saqrcenter.net/index.php?page=1846 (دخول 12 تشرين أول 2015).

- "ميدفيديف: روسيا لا تدافع عن الأسد بل عن مصالحها القومية"، موقع أم تي في الإخباري،2015/10/17، الموقع الإلكتروني: mtv.com.lb (دخول 17 تشرين الأول 2015).
- "ميزانية الدفاع الروسية 100 مليار دولار فى 2015"، موقع ساتل الإخباري نقلاً عن موقع أنباء موسكو، 2012/09/25، الموقع الإلكتروني: http://www.satelnews.com/ (دخول 20 كانون الأول 2015).
- "ميزانية روسيا تتحمل حربا طويلة في سوريا"، هافينغتون بوست، تشرين الأول 2015، موقع العنكبوت، الإنترنت: http://www.alankabout.com/arabic_international_news/news_of_the_middle_east_and_the_arab_world/87643.html
- "هكذا تؤسس روسيا لخارطة جديدة للشرق الأوسط"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 17كانون الثاني 2015، الموقع الإلكتروني: http://rawabetcenter.com/archives/8387 (دخول 13 كانون الأول 2015).
- "هل تسحب قطر أموالها من لندن بعد حملة "التلغراف"؟، وكالة القدس الآن الإخبارية، الموقع الإلكتروني: http://www.alqudsalaan.com (دخول 05 تشرين الثاني 2015).
(دخول 22 كانون الأول2015).
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/10/3
- أبو ناصر، عدنان، الدور الروسي والواقع الجديد في العلاقات الدولية، مجلة الوحدة الإسلامية، العدد123، آذار2012، الموقع الإلكتروني: http://www.wahdaislamyia.org/issues، (دخول 20 أيلول 2015).
- اشتيوي، بثينة، "روسيا وإسرائيل : توتر واستقرارفي العلاقات وفقاً لظروف المنطقة"، موقع ساسة بوست، 2014/01/05، الموقع الإلكتروني: http://www.sasapost.com/israeli-russian-relations/ (دخول 19 كانون الأول 2015).
- البرقوقي، محمد، " نفط القطب الشمالي ينذر بحرب عالمية ثالثة"، الموقع الإلكتروني: http://www.masralarabia.com/ (دخول 13 كانون الأول 2015).
- جريدة الإتحاد، "الناتو يعلن اكتمال التدريبات في البحر الأسود"، 2008/09/11، الموقع الإلكتوني: <http://www.alittihad.ae/details.php?id=37909&y=2008> (دخول 16 تشرين الأول 2015).
- درار، عبد المنعم، " شركات الصلب الكبرى بالصين تخسر 4.4 مليار دولار في 9 أشهر"، رويترز، 28 تشرين الأول 2015 ، الموقع الإلكتروني: http://ara.reuters.com/article/businessNews/idARAKCN0SM1KI20151028 (دخول 30 تشرين الثاني 2015).
- دياب، أحمد، " هل تسترجع روسيا تاريخها السوفياتي في الشرق الأوسط؟ حلفاء روسيا.. وإرث بريجينيف"، الموقع الإلكتروني: http://arb.majalla.com/2013/10/article55248205 (دخول 20 كانون الأول 2015).
- رضوان، أنس الوجود، " أصداء زيارة الرئيس السيسي إلى روسيا في الإعلام الغربي"، جريدة الوفد الإلكترونية، تاريخ 2015/08/27، الموقع الإلكتروني: http://alwafd.org/أخبار-وتقارير/899354-أصداء-زيارة-الرئيس-السيسي-إلى-روسيا-في-الإعلام-الغربي (دخول 16 تشرين الأول 2015).
- **ساسين، جورج**، "حوكمة مغايرة على أساس سيادة الدول والقانون الدولي"، الجمهورية، الموقع الإلكتروني: http://www.elnashra.com/news/show (دخول 15 تشرين أول 2015).
- سالم، بول، تنافس القوى العظمى على مستقبل الشرق الأوسط، الحياة، الموقع الإلكتروني: http://arabic.carnegieendowment.org، (دخول 16 كانون الأول 2015).
- السعد، محمد نجيب، "أوروبا وإمدادات الطاقة الروسية"، صحيفة الوطن العمانية، العدد 8654، 4 نيسان 2007، السنة الـ36، الموقع الإلكتروني: http://www.alwatan.com/graphics/2007/04apr/4.4/dailyhtml/qadaia.htm (دخول 12 تشرين أول 2015).

- سعدي، علا، "موافقة روسية على تسليم مصر 46 مقاتلة من طراز ميج 29"، موقع فيتو الإخباري، الموقع الإلكتروني: http://www.vetogate.com/1647748 (دخول 16 كانون الأول 2015).
- سلامه، عبد الغني، "السياسة الروسية في الشرق الأوسط"، الحوار المتمدن، العدد 3335، 2011/04/13، الموقع الإلكتروني: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=254815 (دخول 21 كانون الأول 2015).
- السليمان، صالح، "حرب البترول العالمية الثانية: السعودية وإيران وروسيا"، ميدل ايست أونلاين، 2014/12/20، http://middle-east-online.com/?id=190537، (دخول 12 تشرين الأول 2015). (الحرب البترولية العالمية الأولى كانت عام 1973 وقامت بها دول الخليج رداً على التحيّز الأميركي لصالح إسرائيل).
- سمعان، جورج، " سورية بين «نظرية» بريماكوف و«هجوم» بوتين"، جريدة الحياة، عدد 21 أيلول 2015، الموقع الإلكتروني: http://www.alhayat.com/Opinion/Abdullah-nasser-Al-Othiabi (دخول 10 كانون الأول 2015).
- سوركوف، نيقولاي، " إسرائيل أهم في موسكو من العالم العربي"، موقع العربي الجديد، 2014/08/10، الموقع الإلكتروني: http://www.alaraby.co.uk/opinion/2014/8/10/إسرائيل-أهم-في-موسكو-من-العالم-العربي (دخول 21 كانون الأول 2015).
- شادي، هاني، "روسيا والربيع العربي: مصالح ومخاوف"، الأهرام الرقمي، الموقع الإلكتروني: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx، (دخول 22 كانون الأول 2015).
- شبارو، أسرار، "مناورات المتوسط .... هل يترجم الإستعراض الروسي على الأرض"، النهار، 21 تشرين الثاني 2015، الموقع الإلكتروني: http://www.annahar.com/article/286482-مناورات-المتوسط-هل-يترجم-الاستعراض-الروسي-على-الارض (دخول 03 كانون الأول 2015).
- شحادة، مأمون، "البريسترويكا الروسية الجديدة بمفهوم بوتين"، الحوار المتمدن، 2009/12/09، الموقع الإلكتروني:.http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=194542 (دخول 16 تشرين الأول 2015).
- شعيبي، عماد،" الصراع على الشرق الأوسط: الغاز أولاً"، شبكة فولتير، الموقع الإلكتروني: http://www.voltaire.org/article، (دخول 15 كانون الأول 2015).
- شلبي علي، مغاوري، الإقتصاد الروسي بين آليات السوق ورأسمالية الدولة، الأهرام الرقمي، الموقع الإلكتروني: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx ، (دخول 24 أيلول 2015).
- شومان، توفيق، " أزمة أوكرانيا والنظام العالمي الجديد"، 2014/04/28، الموقع الإلكتروني: https://faysaljalloul.wordpress.com/2014/04/28 (دخول 14 تشرين الأول 2015).
- الشيخ، نورهان، "روسيا... الشريك الطبيعي للصين"، السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات، الموقع الإلكتروني: http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/12/116/1593 (دخول 12 تشرين أول 2015).
- الشيخ، نورهان، "هل تتّجه روسيا إلى استعادة دورها العالمي"، ملف الأهرام الإستراتيجي، العدد 106،أكتوبر 2003، المجلّد التاسع، الموقع الإلكتروني: http://www.ahram.org.eg/acpss/ahram/2001/1/1/FI1E11.HTM (دخول 13 تشرين أول 2015).
- صالح، عبد الله، من يرسم السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط؟، الموقع الإلكتروني: http://alasr.ws/articles/view، (دخول 16 كانون الأول 2015).
- الطحلاوي، أحمد عبد الله ،"استعادة الدور: المحددات الداخلية والدولية للسياسة الروسية"، المركز العربي للبحوث والدراسات، الموقع الإلكتروني: http://www.acrseg.org/16360 (دخول 13 كانون الأول 2015).
- عبد الحميد، عاطف معتمد، " عقبات في طريق مملنة النفط الروسية "، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/983c3c65-44c8-411a-847b-f41acdcd0135 (دخول 12 تشرين أول 2015).

- عبد الحميد، عاطف معتمد، "الموقف الروسي من احتلال العراق.. عام من التغيير"، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/10/3 (دخول 22 كانون الأول 2015).
- عبد الحميد، عاطف، " العنصرية في روسيا جريمة بلا عقاب"، الجزيرة نت، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/12/12 (دخول 20 كانون الثاني 2016).
- عبد الحي، وليد، دراسات مستقبلية وعلاقات الدولية، الموقع الإلكتروني: http: //www.aljazeera.net، (دخول 20 كانون الأول 2015).
- العسلي، بسام، "روسيا المستقبل والسياسات الدولية"، مجلة الدفاع العربي، دار الصياد، بيروت، الموقع الإلكتروني: arabdefencejournal.com/article.php?categoryID=9&articleID=636 (دخول 22 كانون الأول 2015).
- علي، مغاورى شلبي، "يلتسن يقود روسيا للهاوية"، جريدة الحوادث المصرية، الموقع الإلكتروني: http://www.alhawadeth.info/ReadNews.aspx?Lang=en&Style=blue&ArtID=Qc1sTVuzVNs==&CatID=1AF+UGx8zf8=&CatNewsID=7G2d8TVMszg (دخول 16 تشرين الأول 2015).
- عودة، طه، "الأزمة الدبلوماسية بين تركيا وروسيا، النتائج والأبعاد"، الجزيرة نت، 2008/09/16، الموقع الإلكتروني: <http://www.aljazeera.net/opinions/pages/668ec3f1-2ffa-43d1-9e6b-a481de92e018> (دخول 16 تشرين الأول 2015).
- عيران، عوديد، " رؤية "إسرائيلية" للسياسة الروسية وإمكانية التقارب معها"، معهد أبحاث الأمن القومي الصهيوني، ترجمة وإصدار مركز دراسات وتحليل المعلومات الصحفية، سلسلة ترجمات 176، 2010/9/23، الموقع الإلكتروني: http://www.alzaytouna.net/permalink/5509.html (دخول 15 أيلول 2015).
- فيله، دويتشه، " تقارب أوروبي روسي بخصوص التعاون في قطاع الطاقة"، 2006/10/21، الموقع الإلكتروني: http://www.dw.com/ar (دخول 14 كانون الأول 2015).
- **كوتشما**، آنا، "روسيا تسمح للأجانب بالاستثمار في قطاع الثروات الطبيعية الضخمة"، موقع روسيا ما وراء العناوين، 2015/09/03، الموقع الإلكتروني: http://arab.rbth.com/author (دخول 14 كانون الأول 2015).
- **كوتشما**، آنا، "**هل يخوض النفط الروسي معركة أوروبا؟**"، موقع روسيا ما وراء العناوين، 2015/10/22، الموقع الإلكتروني: http://arab.rbth.com/author (دخول 14 كانون الأول 2015).
- ماجن، تسفي، "روسيا والشرق الأوسط الجديد"، البلاد، الموقع الإلكتروني: http://www.albiladdaily.com (دخول 20 تشرين الأول 2015).
- محلي، حسني، "تعاون مع روسيا على تزويد أوروبا بالغاز: تركيا.. حرب الأنابيب والمعادلات الصعبة"، القبس، 2009/08/07، الموقع الإلكتروني: .<http://www.alqabas.com.kw/node/648787> (دخول 19 تشرين الأول 2015).
- محمد، مهدي، "عوامل قوة الدولة"، المدونة الإلكترونية، تشرين الثاني 2009، نقلاً عن مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، الموقع الإلكتروني: http://bohothe.blogspot.com/2009/11/blog-post_4002.html
- محيو، سعيد، "قمة معاهدة شنغهاي: نحو نظام عالمي جديد"، الجيش العربي، الموقع الإلكتروني: http://www.arabic-military.com (دخول 18 تشرين أول 2015).
- مختار، مؤمن،"البحرية الروسية تكثف نشاطها أمام السواحل الصومالية لمكافحة القرصنة"، 2 كانون الثاني 2015، اليوم السابع، الموقع الإلكتروني: http://www.youm7.com/story/2015/1/2 (دخول 15 كانون الأول 2015).

- مسعد، نيفين عبدالمنعم، " العلاقات الإيرانية الروسية: بين الحمولة التاريخية والآفاق المستقبلية"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الموقع الإلكتروني:
http://www.ecssr.ac.ae/ECSSR/appmanager/portal/ecssr (دخول 16 تشرين الأول 2015).
- معهد أبحاث السياسة الخارجية الأمريكي، "3 أسباب تدفع الاقتصاد الروسي نحو الركود خلال 2015"، الجزيرة، نقلاً عن موقع الأناضول الإخباري، الموقع الإلكتروني:
http://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2015/3/2/3- (دخول 30 تشرين الثاني 2015).
- نجيب، عمر، الصراع الأميركي الروسي هل هي عودة إلى الحرب الباردة؟ الموقع الإلكتروني:
http://www.alarab.co.uk، (دخول 23 كانون الأول 2015).
- نصر، مارسيل، " زيادة التجارة بين القاهرة وموسكو 86 في المئة إلى 5.4 بليون دولار"، جريدة الحياة، 2015/08/27، الموقع الإلكتروني: http://www.alhayat.com/Articles (دخول 18 تشرين الأول 2015).
- نومكن، فيتالي، العلاقات الروسية مع أوروبا والولايات المتحدة الامريكية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، 2006، ص 35، أنظر أيضاً عمر كوش، " الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة "، 27/6/2009، الجزيرة، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/home/print/92804797-74a7-4675-b919-6682990f8cbe/d9038a97-2a2c-411c-9387-1c8e49c7fd2a (دخول 22 كانون الأول 2015).
- هلال، علي الدين، "النظام الدولي الجديد، آفاق ما بعد الحرب الباردة"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، عدد106، 2010، الموقع الإلكتروني:
http://www.alkutubcafe.com/book/vdFkAq.html (دخول 10 تشرين أول 2015).
- وكالة الأنباء الكويتية، "وزير الخارجية الروسي وصل الى اسطنبول لبحث تطورات الوضع في منطقة القوقاز"، كونا، 2008/09/02، الموقع الإلكتروني:
http://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?language=ar&id=1935133. (دخول 16 تشرين الأول 2015).

ثالثاً: مقالات

- "الصراع بين جورجيا وأبخازيا"، مجلة معلومات، المركز العربي للمعلومات، بيروت، العدد 59، تشرين الأول 2008.
- "العالم الجيوسياسي المعاصر في مرحلة ما بعد الدخول الروسي الى جورجيا"، مجلة معلومات،المركز العربي للمعلومات، بيروت العدد 59، تشرين الأول 2008.
- "أوراسيا، دببة بوتين الشرسة تحرس جسور القوقاز"، مجلة معلومات، العدد 59، تشرين أول 2008، المركز العربي للمعلومات، بيروت.
- أبو عامود، محمد سعيد، "تحولات السياسة الأميركية تجاه إيران وتركيا وروسيا،" السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 147، كانون الثاني 2002.
- الأشول، نجوان، "العلاقات الأوروبيّة – الأميركية: بين الاستقلال والتبعيّة"، السياسة الدوليّة، العدد 157، تموز 2004، القاهرة.
- الأصفهاني، نبية، "السياسة الخارجية الروسية"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 136، مجلد 34، 1999.
- الأصفهاني، نبية، "مستقبل التعاون الروسي– الإيراني في ضوء التقارب الأخير"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 144، المجلد 36، نيسان 2001.
- باكير، علي حسين، العلاقات الاستراتيجية الصينية–الروسية، الدفاع الوطني، 56، لبنان، نيسان 2006.
- باكير، علي حسين، عالم متعدد الأقطاب: روسيا تتحدى تفرد الولايات المتحدة الأميركية، مجلة الدفاع الوطني، العدد54، اليرزة، تشرين الأول 2005.

- بيلنكايا، م ، "الشرق الأوسط الكبير بين روسيا والسبعة الكبار"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 128، 2008.
- ترينين، ديميتري، "من اسطنبول الى تركيا: هل ثمة أرضية مشتركة بين تركيا وروسيا"، رؤية تركية، العدد 2، صيف 2013.
- تشومسكي، نعوم، "أوسيتيا– روسيا– جورجيا: التفكير في اللامفكّر فيه"، مجلة معلومات، المركز العربي للمعلومات، بيروت، العدد 59، تشرين الأول 2008.
- حاتم، عماد الدين، "المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 112، خريف 2003.
- الحروب، خالد، "انتقال مركز الثقل في المنطقة"، شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد 130، 2007.
- حيدر، بادية، الملف النووي الإيراني، المركز العربي للمعلومات، العدد 39، بيروت، 2007.
- الخوري، نسيم، "مشروع الشرق الأوسط الكبير أو المبادرة المستحيلة"، مجلة الدفاع الوطني، اليرزة، العدد 50، تشرين أول 2004.
- دوجنين، ألكسندر، "محور روسيا– طهران"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 76، تشرين أول، 1998 .
- دياب، أحمد، "روسيا والغرب: من المواجهة إلى المشاركة"، السياسة الدولية، العدد 149، القاهرة، حزيران 2002.
- دياب، أحمد، "عودة بوتين: تحديات وطموحات روسيا بعد انتخابات الرئاسة"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 188، المجلد47، نيسان 2012.
- راشد، باسم، "المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي"، سلسلة أوراق، وحدة الدراسات المستقبلية، الإسكندرية، عدد 9، 2013.
- زاده، بيروز، "النظام القانوني لحوض قزوين: الجغرافيا السياسية"، مجلة شؤون الشرق الأوسط، العدد 109، مركز الدراسات الإستراتيجية للبحوث والتوثيق، بيروت، 2003.
- سلامة، عبد الغني، "السياسة الروسية في الشرق الأوسط"، شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد 151، خريف 2012.
- سلطانوف، شامل، "روسيا والعالم العربي"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 128، ربيع 2008.
- شلبي، السيد أمين، "بوتين وسياسة روسيا الخارجية"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 175، المجلد 44، كانون الثاني 2009.
- شلهوب، فكتور، "بعد الصحوة الروسية: مداخل سياسة موسكو الخارجية في الشرق الأوسط"، آراء حول الخليج، جدة، العدد 38، تشرين الثاني 2007.
- الشناق، فاروق، "مستقبل الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط"، آراء حول الخليج، جدة، العدد 38، تشرين الثاني 2007.
- شوبين، فلاديمير، "عقيدة السياسة الخارجيّة الروسيّة"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد112 ، خريف 2003.
- الشيخ، نورهان، "روسيا والاتحاد الأوروبي: صراع الطاقة والمكانة"، السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات، العدد 164، القاهرة، نيسان 2006.
- الشيخ، نورهان، "الإستمرار والتغيير في السياسة الروسية تجاه العراق (في فترة ما بعد الإحتلال الأميركي)"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 24، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.

- الشيخ، نورهان، "العلاقات الروسية– الأوروأطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الإستراتيجية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 70، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2007.
- طاهر، أحمد، "العلاقات الهنديّة الإسرائيليّة و تداعيات 11 سبتمبر"، السياسة الدوليّة، القاهرة، نيسان 2002.
- طلعت، محمد، "العلاقات التركية– الروسية: مجالات التقارب وقضايا الخلاف"، رؤية تركية، العدد 2 ، صيف 2013.
- عابدين، صدقي، "التقارب الروسي– التركي"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 132، المجلد 33، أبريل 1998.
- عبد الفتاح، بشير، "السياسة الخارجية التركية وقضية تأمين الطاقة"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 182، تشرين الأول 2010.
- عبد القادر، نزار، "روسيا والأزمة السورية– مصالح جيو استراتيجية وتعقيدات مع الغرب"، الدفاع الوطني اللبناني، اليرزة، العدد 84، نيسان 2013.
- عبد القادر، نزار، "الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط"، الدفاع الوطني اللبناني"، اليرزة، العدد 93، تموز 2015.
- العزي، غسان، روسيا ما بعد الحرب الباردة من "اليلتسينية" إلى "البوتينية"، مجلة الدفاع الوطني، العدد33، لبنان، حزيران 2000.
- عطوان، خضر عباس، "سياسة روسيا العربية والإستقرار في النظام الدولي"، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 20، خريف 2008.
- علّو، أحمد، السياسة الخارجية الروسية في علاقاتها الدولية، مجلة الجيش، اليرزة، العدد263، أيار2007.
- عواد، عامر، التحول في العلاقات الروسية الأميركية، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 26، ربيع 2010.
- فرح، سهيل، "الجيوبولتيك الروسي: ملامح القوة والضعف"، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 112، خريف 2003.
- فواز، زكريا، "الأسس الإقتصادية للقوة العسكرية"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، اليرزة، العدد 33، حزيران 2000.
- كيالي، ماجد، "التجاذب الإيراني– الأمريكي"، شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد 30، 2007.
- مانكوف، جيفري، "روسيا والغرب: نظرة أبعد مدى"، ترجمة جمال صالح خضر أبو ناصر، مراجعة محمد مجد الدين باكير، مجلة "الثقافة العالمية"، الكويت، السنة 26، العدد 148 ، أيار – حزيران 2008.
- محمّد، عبد العاطي، "عودة الدب الروسي إلى الشرق الأوسط"، صحيفة الخليج في الإعلام، مؤسّسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، تاريخ 2013/11/20.
- منصور، تريز، "البورصات الآسيوية تتكبد خسائر كبيرة– هل يواجه العملاق الأصفر أزمة حقيقية؟"، مجلة الجيش، العدد 264، تشرين الأول 2015.
- مهدي الراوي، عبد العزيز، "توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة"، دراسات دولية، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، بغداد، العدد 35.
- موسى، راندا، "بين التوتر والتوازن: حسابات وقضايا العلاقات الروسية– الأمريكية"، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 194، المجلد 48، أكتوبر 2013.
- موسى، محمود، "السياسة التركية تجاه أرمينيا وأذربيجان، حسابات الربح والخسارة"، السياسة الدولية، القاهرة، العدد 182، تشرين الأول 2010.
- نصار، وليم، "روسيا كقوة كبرى،" المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 20، خريف 2008.

- هلال، رضا محمد، " البرازيل–أميركا: مستقبل العلاقات"، السياسة الدولية، القاهرة، العدد 151، كانون الثاني 2003.
- يوسف، أيمن طلال، "روسيا البوتينية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولويات الجيوبوليتيكية الخارجية، 2000 – 2008،" المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، السنة 31، العدد 358 ، كانون الأول 2008.

رابعاً: دراسات ورسائل ومحاضرات

- الإستراتيجية العسكرية، الجيش اللبناني، مديرية التعليم، اليرزة، دون تاريخ نشر.
- الشيخ، نورهان ، "دور النخبة الحاكمة في إعادة هيكلة السياسة الخارجية: دراسة حالتي الإتحاد السوفياتي (1987–1991) والجمهورية الروسية (1991–1996)"، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، 2000.
- عبد الحميد، عطارد، مستقبل منظومة التعاون الاقليمي لدول جنوب شرق اسيا مكانتها في البيئة الاقليمية، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، بغداد، 2009.
- كين، بينيث، محاضرة في كلية الدفاع في المملكة المتحدة، 19 أيار 2015.

خامساً: مقالات صحفية

- "الكونغرس يقرّ موازنة الدفاع" ، صحيفة السفير، تاريخ 2014/12/13.
- "الملخص التنفيذي لتقرير مجموعة الأزمات الدولية"، ترجمة نسرين ضاهر، جريدة النهار، 2008/08/27.
- "ميدفيديف يعترف باستقلال أوسيتيا وأبخازيا"، جريدة السفير، العدد 11084، تاريخ 2008/08/27.
- بريماكوف، يفغيني: محاضرة لبريماكوف حول روسيا في السياسة العالمية، ترجمة سهيل فرح، جريدة النهار، عدد 20089، بيروت 1998.
- حيدر، رندة، "العلاقات اللاإسرائيلية الروسية المعقدة"، النهار، العدد 25808 تاريخ 2015/04/24.
- خليفة، عادل، "الممرات الإنسانية في القانون الدولي"، جريدة الأخبار، العدد 1768، لبنان، 2012/7/27.
- خليفة، عادل، "عودة روسيا إلى الساحة الدولية عبر البوابة السورية"، جريدة الأخبار، العدد 1746، لبنان، 2012/7/12.
- رصاص، محمد سيد، المواجهة مستمرة فوق الحلبة السورية، جريدة الأخبار، العدد 1690، لبنان، 2012/4/23.
- السعد، محمد نجيب، " قضايا.. روسيا والشرق الأوسط"، جريدة الوطن العمانية، 29 آب 2015.
- الشوربجي، منار،"الثابت والمتغير في الساسة الأميركية تجاه الشرق الاوسط"، جريدة الحياة، 10 تشرين الأول، 1993.
- العلاقات الروسية الصينيّة، وكالة الأخبار الإسلاميّة (نبأ)، تاريخ 2008/2/17.
- كرم، سمير، "المسألة القومية تطل من جديد"، جريدة السفير، العدد 11098، 2008/09/12.
- مازن عباس،" تركمانستان تمد خطي أنابيب لنقل الغاز الطبيعي خارج الأراضي الروسية"، جريدة الحياة، العدد 17030 تاريخ 2009/11/19.
- محمّد، عبد العاطي ، "عودة الدب الروسي إلى الشرق الأوسط"، صحيفة الخليج في الإعلام، مؤسّسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، تاريخ 2013/11/20.
- مسلم، سعيد، "العودة الروسية إلى الشرق الأوسط"، جريدة الثورة، العدد 14026، تاريخ 25 / 12/ 2009.

سادساً: تقارير

- جريدة الأهرام، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، التقرير الإستراتيجي 2004- 2005، تموز 2005، ص 129- 130.

First : Books

- Clausewitz, Carl von. *On War*, ed. and translated by Michael Howard and Peter Paret. Princeton: Princeton University press, 1976.
- Considine, Jennifer and Kerr, William. "*The Russian Oil Economy".* Northampton: Edward Elgar, 2002.
- Cooper, Robert. *The Breaking of Nations: Order and Chaos in the 21st Century*. New York: Atlantic Monthly press, 2003.
- Fredholm, Michael. "*The Russian Energy Strategy & Policy: Pipeline Diplomacy or Mutual Dependance"*. Watchfield: Conflict Studies Research Centre, 2005.
- Goldstein, Avery. *China's grand strategy and international security*. California: Standford University, 2005.
- Graham, Thomas. *Resurgent Russia and US Purposes* .Washington: The Century Foundations, 2009.
- Larsson, Robert. "*Russia's Energy Policy: Security Dimensions and Russia's Reliability as an Energy Supplier"*. Stockholm: Swedish Defence Research Agency, 2006.
- Lewis Gaddis, John. *Strategies of Containment: A Critical appraisal of American National Security Policy during the Cold War* .New York: Oxford University Press, 2005.
- Lucas, Edward. *The New Cold War, Putin's Threat to Russia and the West.* London: Bloomsbury Publishing, 2014.
- Mahan, Alfred. *The problems of Asia and its Effects upon Internationals Policies*. Boston: Little, Brown and company, 1900.
- Paton, John. *Knowledge Encyclopedia* . Leicester: Grisewood and Dempsey Ltd, 1984.
- Porter, Patrick. *The Global Village Myth. Distance, War, and the Limits of Power.* London: Hurst and Company, 2015.
- Primakov, Yevgeny. *Middle East in the lime light and behind the scenes*. Moscow: first edition, 2006.
- Smith, Adam. *an Inquiry into the nature and causes of THE WEALTH OF NATIONS*, Edited by Edwin CANAAN. New York: The Modern Library, 1994.

- Smith, Keith C. *"Russian Energy Politics in the Baltics, Poland and Ukraine – a New Stealth Imperialism?"* . Washington: Center for Strategic and International Studies Press December 2004.
- Todd, Emmanuel. *Après l'Empire* : Essai sur la décomposition du système américain . Paris :Editions Gallimard, 2002.
- Trenin, Dmitri. *The end of Eurasia on the border between geopolitics and globalization*. Washington: Carnegie, endowment for international peace, 2002.
- Troyakova, Tamara. *A view from the Russian Fareast: Russia – China relations in a changing Asia*. Washington DC: Carnegie Endowment for International Peace, 2000.
- Webber, Mark. *The International Politics of Russia and the Successor States*. New York: Manchester University Press 1996.
- Zurcher, Christoph. *The Post-Soviet Wars*. New York: New York University Press, 2007.

Second: Chapter in book

- Barabanov, Mikhail. "Changing the Force and Moving Forward after Georgia," in *Brothers Armed: Military Aspects of the Crisis in Ukraine*, ed. Colby Howard and Ruslan Pukhov . Minneapolis, USA: East View Press, 2014.
- Cox, Michael. "From the Cold War to the World Economic Crisis," in *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations*, eds. John Baylis, Steve Smith and Patricia Owens. Oxford: Oxford University Press, 2011.
- Kobrinskaya, Irina. "Russia: Facing the Facts," in *Enlarging NATO: The National Debates*, eds. Gale A. Mattox and Arthur R. Rachwald . Boulder, CO: Lynne Rienner, 2001.
- Law, David. "Why Spain Should Have Been NATO's Last Member," in *The Future of NATO: Enlargement, Russia, and European Security, eds. Charles-Philippe David and Jacques Lévesque* .Montreal: McGill-Queen's University Press, 1999.
- Menkiszak, Marek. Towards Strategic partnership? Turkish- Russian relations at the turn of the Twenty- first century, in *Center of Eastern Studies Report*. Warsaw: The International Relations and security Network, July 2008.

- Olcott, Martha. "*The Energy Dimension In Russian Global Strategy – Vladimir Putin and the Geopolitics of Oil"*. Houston: The James Baker III Institute for Public Policy, Rice University, 2004.
- Plekhanov, Sergei. "NATO Enlargement as an Issue in Russian Politics," in *The Future of NATO: Enlargement, Russia, and European Security*, eds. Charles-Philippe David and Jacques Lévesque. Montreal: McGill-Queen's University Press, 1999.

Third: Dissertations

- Gures, Gulsah. *Security Dimension of Turkey's Relations with Russia: 2000- 2010*. A Thesis Submitted to the Graduate School of Social Sciences of the Middle East Technical University, January 2011.
- Karayel, Gulperi. "*Rivals or Partners? Turkish - Russian Relations in the Greater Black Sea Region since 1999*". Thesis, Istanbul Bilgi University, 2006.
- Kari Roberts, "*Institutions and Individuals in the Making of Russian Foreign Policy Toward the United States Since 1991*". Paper prepared for presentation at the 43rd Annual International Studies Association (ISA) Convention in New Orleans, LA, 24-27 March 2002.
- Monaghan, Andrew. "*Russian Oil and EU Energy Security*". Watchfield: Conflict Studies Research Centre, 2005.
- TimoKivinen, Col, "*Russia's National Interests and Ukraine. What Policies Might Russia Adopt in Pursuing These Interests?*". London: Research Paper, Royal College of Defence Studies, July 2008.

Fourth: Articles

- "Russia Buys a Vowel in Kyrgyzstan", Investor's Business Daily, February 04, 2009.
- Alexander, Lukin. "What the Kremlin Is Thinking," *Foreign Affairs* 93, no. 4 (2014), 86.
- Allison, Roy. "The Russian Case for Military Intervention in Georgia: International Law, Norms and Political Calculation", in *European Security* 18, No. 2 (2009): 172.
- Andrew Monaghan, "An enemy at the gates or from victory to victory? Russian foreign policy," *International Affairs* 84, no. 2 (2008): 717.
- Barlak, Karl. "Tchtchenie, une guerre sans nom", *Le monde Diplomatique*, Mai (1995), 4.
- BAYOU, Céline et VERLUISE, Pierre. Russie -UE : quelles stratégies énergétiques. *défense nationale*, Novembre 2006 , P. 56.
- Biersack, John and O'Lear, Shannon. "The Geopolitics of Russia's Annexation of

Crimea: Narratives, Identity, Silences and Energy," *Eurasian Geography and Economics* 55 no. 3 (2014): 257-260.

- De Haas, Marcel. Medvedev's security policy: A provisional assessment, *Russian analytical digest*, No. 62, 18 June, 2009, p3.
- de Montbrial, Thierry. Perspectives, in « RAMSES : Les grandes tendances du monde », sous direction de Thierry de Montbrial et Philippe Moreau Defarges. DUNOD :IFRI, 2003, P.21.
- Fitzpatrick, Mark. "The Ukraine Crisis and Nuclear Order," in *Survival: Global Politics and Strategy*, 56, no. 4 (2014): 81.
- Freedman, Lawrence. "Ukraine and the Art of Crisis Management," in *Survival: Global Politics and Strategy*, 56, no. 3 (2014): 9.
- Freedman, Lawrence. "Ukraine and the Art of Crisis Management", *Survival: Global Politics and Strategy,* 56, No.3, (May 2014), 7-42.
- Goldman, Marshall. "Russian Energy: A Blessing and a Curse". *Journal of International Affairs*, Fall 1999, 53, no.1, The Columbia University, New York, 80.
- Gomart, Thomas. politique étrangère russe : l'étrange inconstance . *politique étrangère*, janvier 2006, P.13.
- Hamilton, Robert. E. Russia's Strategy in the war against Georgia, The center for Strategic and International Studies, *Critical question*, August 14, 2008, 1-2.
- Illarionov, Andrey. "*Another Look at the August War",* Center for Eurasian Policy, Hudson Institute, Washington (September 12 2009,), 7.
- Independent International Fact-Finding Mission on the Conflict in Georgia, *Report*, Vol 2, (September 2009), 18.
- James W. Warhola and William. Mitchell, "The warming of Turkish - Russian relations: Motives and Implications", *Demokratizatsiya*, vol. 14, no. 1 (winter 2006), p. 11.
- Lain, Sarah. "The Bear and the Dragon, Same old Suspicions or Real Pivot East?", *RUSI Journal* ,Vol.160 No.1, 68.
- McDermott, Roger N. "Russia's Conventional Armed Forces and the Georgian War", *Parameters* (Spring 2009): 65.
- Mearsheimer, John. "Why the Ukraine Crisis is the West's Fault." *Foreign Affairs* 93, No. 5, (2014), 77 – 89.
- Puglisi, Rosaria. Clashing Agendas? Economic interests, elite coalations and prospects for cooperation between Russia and Ukraine, Europe-Asia Studies, vol. 55, No 6, 2003, p 832-834.
- Sarazin, Michel. Scénarios pour l'aprèspétrole . *Défense nationale*, avril 2006, P.117.

Fifth: Reports

- Independent International Fact-Finding Mission on the Conflict in Georgia, Report, Vol 2, (September 2009).

Sixth: Electronic Articles

- "A sea change in the Caribbean", Investor's Business Daily, May 12, 2008. http://news.investors.com/120508-452055-a-sea-change-in-the-caribbean.htm?p=full (accessed November 12,2015)
- "Budapest Memorandums on Security Assurances, 1994,". http://www.cfr.org/nonproliferation-arms-control-and-disarmament/budapest-memorandums-security-assurances-1994/p32484 (accessed September 8, 2015).
- "Kyrgyzstan, Uzbekistan: Moscow's Maneuvers in Central Asia", Stratfor, July 13, 2009. https://www.stratfor.com/analysis/kyrgyzstan-uzbekistan-moscows-maneuvers-central-asia (accessed Oct 13 2015).
- "*Recent Development in Russia Energy Outlook*". http://www.eia.doe.gov/emeu/cabs/Russia/background.html; (accessed Sep15 2015).
- "Road Map EU-Russia Energy Cooperation until 2050". https://ec.europa.eu/energy/sites/ener/files/documents/2013_03_eu_russia_roadmap_2050_signed.pdf (accessed January 10, 2016).
- "Russian's interest in South America should alert the US", Los Angeles Times. November 26, 2008. http://www.latimes.com/opinion/editorials/la-ed-medvedev26-2008nov26-story.html (accessed November 12, 2015).
- "The Petersburg Experience: Putin's Political Career and Russian Foreign Policy", www.cdi.org/russia/johnson/8097-16.cfm (accessed September 14, 2015).
- Allen, Charles D. "Creative Thinking for Individuals and Teams", in Strategic Thinking (Carlisle, PA; US Army War College, 2007). http://oai.dtic.mil/oai/oai?verb=getRecord&metadataPrefix=html&identifier=ADA511957. (accessed October 18, 2015).
- Bhalla, Reva. "Quantum Geopolitics", Stratfor. https://www.stratfor.com/weekly/quantum-geopolitics?utm_source=freelistf&utm_medium=email&utm_term=Gweekly&utm_campaign=20150728&utm_content=readmoretext&mc_cid=6a57dd2b30&mc_eid=06f8b4d85f (accessed January 08, 2015).

- Breedlove, General Philip. Press Briefing in the Pentagon Briefing Room, February 25, 2015. http://www.defense.gov/Transcripts/Transcript.aspx?TranscriptID=5598 (accessed November 26, 2015).
- Central Inteligence Agency, The World Factbook, Russia 2015. https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/rs.html (accessed September 16, 2015).
- Cohen, Ariel. Domestic Factors Driving Russia's Foreign Policy, Published on November 19, 2007. http://www.heritage.org/about. (accessed December 15, 2015).
- Country Report 2015, Russia, Euler Hermes Economic Research, p1. http://www.eulerhermes.com (accessed September 15, 2015).
- Eke, Steven. Russian faces demographic disaster, BBC news, 7th June 2006. http://news.bbc.co.uk/2/hi/europe/5056672.stm (accessed September 16, 2015).
- European Commission, "EU-Russia energy relations". http://ec.europa.eu/energy/russia/overview/index_en.htm (accessed January 10, 2016).
- European Union External Action, "EU relations with Russia". http://eeas.europa.eu/russia/about/index_en.htm (accessed January 03, 2016).
- European Union Newsroom, "EU sanctions against Russia over Ukraine crisis". http://europa.eu/newsroom/highlights/special-coverage/eu_sanctions/index_en.htm (accessed January 08, 2016).
- Freedman, Robert O. "Russian policy towards the Middle East under Putin: The Impact of 9/11 and the war in Iraq", Alternatives, vol. 2, no. 2 (summer 2003). http"//www.alternativesjournal.net/volume2/number2/putin.htm>. (accessed Dec 12, 2015).
- Freedom, George. security and justice. http://www.delrus.ec.europa.eu/en/p_223.htm (accessed January 10, 2016).
- Friedman, George. "Russia's Window of Opportunity", Stratfor Global Intelligence, August 21, 2007. http://www.stratfor.com/russia_window_opportunity (accessed Dec 12 2015).
- Friedman, George. "Russia's Strategy", Geopolitical Weekly, Stratfor Global Intelligence, April 24, 2012. https://www.stratfor.com/weekly/russiasstrategy?elq=15cfbf7957ba4eb5a98dac3f979fd68e&utm_campaign=20120 424&utm_content=title&utm_medium=email&utm_source=freelist-f&utm_term=gweekly (accessed Dec 12, 2015).
- Friedman, George. "Russia's Strategy", Geopolitical Weekly, Stratfor Global Intelligence, April 24, 2012. https://www.stratfor.com/weekly/russiasstrategy?elq=15cfbf7957ba4eb5a98dac3f979fd6

8e&utm_campaign=20120424&utm_content=title&utm_medium=email&utm_source=freelist-f&utm_term=gweekly (accessed Dec 12, 2015).

- Geotimes. Cold wars: Russia claims Arctic land, August 01, 2007,.http://www.geotimes.org/aug07/article.html?id=WebExtra080107.html (accessed December 12, 2015).
- Information about BRICS, Brazilian Ministry of External Relations. HTTP://BRICS.ITAMARATY.GOV.BR/ABOUT-BRICS/INFORMATION-ABOUT-BRICS (ACCESSED OCTOBER 13 2015).
- Ivanov, Ivan. "*Russia's Oil and Gas Complex and Foreign Investment*". *http://www.dlib.eastview.com/sources/article.jsp?id=2822193* – (accessed December 15, 2015).
- Joshi, Shashank. "Iran Nuclear talks: the Final Stretch," *RUSI Analysis* November 19, 2014. https://www.rusi.org/analysis/commentary/ref:C546C8F79D761A/#.VWxYXmDbLmI (accessed November 24, 2015).
- Judy Dempsey, "Victory for Russia As the EU's Nabucco Gas Project Collapses", in Carnegie Europe, July2013, http://carnegieeurope.eu/strategiceurope/?fa=52246 (accessed December 14, 2015)
- King, Colbert I. "Is Syria the beginning of the end of Putinism?", The Washigton Post, October 27, 2015. https://www.washingtonpost.com/opinions/the-beginning-of-the-end-of-putinism/2015/11/27/5080978c-9462-11e5-8aa0-5d0946560a97_story.html (accessed November 11, 2015).
- Kozlovsky, Oleg. "Putin's Gulag Stability", The Washington Post, May 19, 2008. http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2008/05/18/AR2008051801911.html (accessed October 16, 2015).
- Kramer, Andrew E. "Russia's energy business is Putin's personal Project", The New York Times, January 29, 2009. http://www.nytimes.com/2009/01/29/world/europe/29iht-29putin.19765474.html.(accessed November 12, 2015).
- Le Monde Diplomatique: La nouvelle russie de Vladimir putin, France-Paris- Mensuelle, Fevrier 2007. https://www.monde-diplomatique.fr/2007/02/CHAUVIER/14403 (accessed Dec 12, 2015).
- Lukin, Alexander. 'What the Kremlin is Thinking, Putin's Vision for Eurasia', *Foreign Affairs.* https://www.foreignaffairs.com/articles/russia-fsu/2014-06-16/what-kremlin-thinking (accessed 24 July 2015).
- Merritt, Giles. "The Post Russian World order", Syndicate project, March 19, 2014. http://www.project-syndicate.org/commentary/giles-merritt-examines-the-likely-fallout-from-the-kremlin-s-international-isolation. (Accessed October 10 2015).

- Nasdaq, Crude Oil WTI (NYMEX) Price, May 2014 – May 2015. http://www.nasdaq.com/markets/crude-oil.aspx?timeframe=1y (accessed September 15, 2015).
- Novoderzhkin, Anton. "*Georgia's NATO bid prompts new treaty between Abkhazia, Russia, says foreign minister,*" Tass Russian News Agency, October 25, 2014. http://tass.ru/en/world/756498 (accessed November 3, 2014).
- Ping Chan, Szu. "Russia remains defiant as EU sanctions and oil price fall paralyse economy," The Telegraph, April 21, 2015. http://www.telegraph.co.uk/finance/economics/11552014/Russia-remains-defiant-as-EU-sanctions-and-oil-price-fall-paralyse-economy.html (accessed September 16, 2015).
- REED, STANLEY. "A Gas Discovery in Egypt Threatens to Upend Mideast Energy Diplomacy",The New York Times, 28/10/2015. http://www.nytimes.com/2015/10/29/business/energy-environment/a-gas-discovery-in-egypt-threatens-to-upend-mideast-energy-diplomacy.html?_r=0 (accessed Dec 20, 2015).
- Schwirtz, Michael. "*Russian Push on Treason Raises Fears*", The New York Times, December 20, 2008. http://www.nytimes.com/2008/12/21/world/europe/21russia.html?_r=0 (accessed October 16, 2015).
- Shah, Nup. The Arms Trade is Big Business, Global Issue, November 09, 2009. http://www.globalissue.org/article/74/the-arms-trade-is-big-buisness (accessed November 02, 2015).
- Soal, Judith. "Kasparov attacks Brown for ignoring Russian democracy's plight", Hay festival, 1st June 2008. http://www.theguardian.com/books/2008/jun/01/hayfestival2008.guardianhayfestival (accessed November 20, 2015).
- Stratfor Global Intelligence, Russia's Expanding Influence, 8 March, 2010. https://www.stratfor.com/analysis/russias-expanding-influence-introduction-targets (accessed December 10, 2015).
- The Washington Post, http://www.washingtonpost.com/blogs/worldviews/wp/2014/01/30/9 (accessed 24 Feb, 2016).
- Trenin, Dmitri and Ma lashenko, Alexey. "Iran: Aview from Moscow", Carnegie Endowment for International Peace, 2010. http://carnegieendowment.org/files/iran_view_moscow.pdf (accessed Dec 15, 2015).
- Trenin, Dmitri. "Russia's Breakout from the Post–Cold War System: The Drivers of Putin's Course," Carnegie Institute Moscow Centre, December 22, (2014).

http://carnegie.ru/2014/12/22/russia-s-breakout-from-post-cold-war-system-drivers-of- putin-s-course/hxsm# (accessed May 6, 2015).

- World Energy Outlook 2004, p. 307. *http;//www,iea.org/textbase/nppdf/free/2004/weo2004.pdf* (accessed August 4, 2015).
- Wyplosz, Charles. Why Russia's Economy will not collapse, Project Syndicate, https://www.project-syndicate.org/commentary/russia-economy-wont-collapse-by-charles-wyplosz-2015-01, (accessed October 10, 2015).

Seventh: Websites

- http://www.tap-ag.com/the-pipeline (accessed 22 Feb 2016).
- http://www.tradingeconomics.com/russia/gdp/forecast (accessed 14 March 2016)
- https://www.google.com/search?q=%D9%86%D8%A7%D8%A8%D9%88%D9%83%D9%88&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi5ibqT1M7LAhWFChoKHfPLBEUQsAQIHA&biw=1366&bih=596#imgdii=yEZyUYyY4yzUoM%3A%3ByEZyUYyY4yzUoM%3A%3BndzVAyjLQzIiJM%3A&imgrc=yEZyUYyY4yzUoM%3A(accessed 20 Feb 2016).
- https://www.google.com/search?q=nato+expansion+russia&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwiP4Zfn2c7LAhXJCBoKHXrDDcEQsAQIHA&biw=1366&bih=641#imgrc=LIuL657byXXzHM%3A (accessed 20 Feb 2016).
- https://www.google.com/search?q=nato+expansion+russia&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwiP4Zfn2c7LAhXJCBoKHXrDDcEQsAQIHA&biw=1366&bih=641#imgdii=LIuL657byXXzHM%3A%3BLIuL657byXXzHM%3A%3B3lq4i5OJvoxK1M%3A&imgrc=LIuL657byXXzHM%3A (accessed 20 Feb 2016).
- https://www.google.com/search?q=russian+military+expenditures&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi4yvrylM_LAhWCtxoKHSwJAJUQsAQIMQ&biw=1366&bih=641#imgrc=dBftp1B4264TZM%3A (accessed 20 Feb 2016).
- https://www.google.com/search?q=russian+military+expenditures&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi4yvrylM_LAhWCtxoKHSwJAJUQsAQIMQ&biw=1366&bih=641#imgrc=qC6Jy5db-epOVM%3A (accessed 21 Feb 2016).

- https://www.google.com/search?q=russian+military+expenditures&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi4yvryIM_LAhWCtxoKHSwJAJUQsAQIMQ&biw=1366&bih=641#imgrc=9m2GLLa-58QgOM%3A دخ) (accessed 23 Feb 2016).
- https://www.google.com/search?q=russian+military+expenditures&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwi4yvryIM_LAhWCtxoKHSwJAJUQsAQIMQ&biw=1366&bih=641#imgrc=3IB2BI80BMggeM%3A (accessed 22 Feb 2016).
- https://www.google.com/search?q=United+States+missile+defense&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwii0M2Gz87LAhXGd5oKHb8nA64QsAQIMA&biw=1366&bih=641#imgdii=1ZlkE5Hnfh9fcM%3A%3B1ZlkE5Hnfh9fcM%3A%3Bk4Cyww4jISMPQM%3A&imgrc=1ZlkE5Hnfh9fcM%3A (accessed 22 Feb 2016).
- https://www.google.com/search?q=United+States+missile+defense&rlz=1T4TSNP_enLB500LB501&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwii0M2Gz87LAhXGd5oKHb8nA64QsAQIMA&biw=1366&bih=641#imgdii=1ZlkE5Hnfh9fcM%3A%3B1ZlkE5Hnfh9fcM%3A%3Bk4Cyww4jISMPQM%3A&imgrc=1ZlkE5Hnfh9fcM%3A (accessed 20 Feb 2016).

الفهرس

القسم الثاني: تأثير وفعالية الدور الروسي في الشرق الأوسط............................ 107